الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر

كلية اللّغة العربيّة وآدابها واللّغات الشرقية **قسم علوم اللسان**

آليات الحجاج في أسلوب عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه "دلائل الإعجاز".

رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث
تخصص: لسانيات تداولية.

إعداد الطالبة: رزيقة شادي.

السنة الجامعية:2017/2016.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر

كلية اللّغة العربية وآدابها واللّغات الشرقية **قسم علوم اللسان**

آليّات الحجاج في أسلوب عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه "دلائل الإعجاز".

رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث
تخصص: لسانيات تداولية.

إعداد الطالبة: رزيقة شادي

إشراف: أ.د فتيحة لعلاوي.

أعضاء اللّجنة:
أ.د مفتاح بن عروس عضوا مناقشا.
أ.د حياة أم السعد عضوا مناقشا.
أ.د مولود بغورة رئيسا.
أ.د فتيحة لعلاوي مشرفا ومقررا.
أ.د جمال موسى عضوا مناقشا.
أ.د قدور عمران عضوا مناقشا.

السنة الجامعية:2017/2016.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى

روح والديّ الطاهرة.

إلى زوجي وأبنائي عبد الرحيم

وعبد الرحمان

إلى إخوتي وأخواتي.

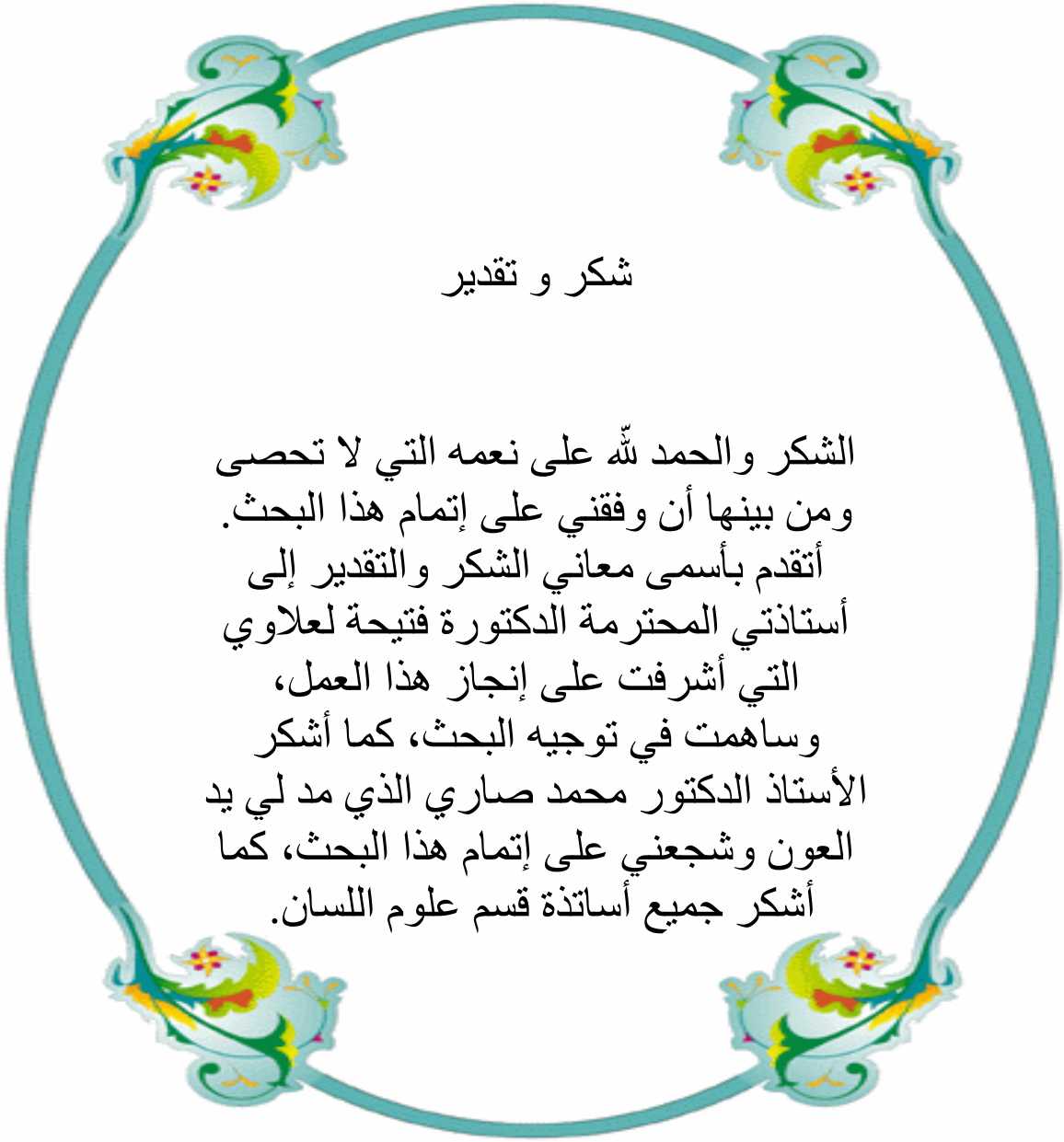

شكر و تقدير

الشكر والحمد لله على نعمه التي لا تحصى
ومن بينها أن وفقني على إتمام هذا البحث.
أتقدم بأسمى معاني الشكر والتقدير إلى
أستاذتي المحترمة الدكتورة فتيحة لعلاوي
التي أشرفت على إنجاز هذا العمل،
وساهمت في توجيه البحث، كما أشكر
الأستاذ الدكتور محمد صاري الذي مد لي يد
العون وشجعني على إتمام هذا البحث، كما
أشكر جميع أساتذة قسم علوم اللسان.

مقدمة

- **مقدّمة:**

يعدّ القرآن الكريم منطلقا أساسيا لمختلف الدّراسات اللّغوية والبلاغيّة عند العرب، حيث أثّر في الدّراسات الأصوليّة والنّحوية وكذا الأبحاث البلاغيّة، إذ أنّها وقفت على خفايا النص القرآني ببيانه وأسلوبه وألفاظه ومعانيه، ما انجرّ عنه مذهبان مختلفان منهم من يرد الإعجاز إلى بيان القرآن وأسلوبه؛ أي إلى معناه، فيما ذهب جماعة منهم إلى القول بمبدأ الصرفة، فكان هناك انشطار في الرأي بين أنصار المعنى وأنصار اللّفظ، ومن هنا نشأت جدليّة فكرية بين اللّفظ والمعنى، في زمن عجّ بالمذاهب والنّحل الّتي تجاذبت قضيّة القرآن وبلاغته.

وإذا كان الحجاج نظريّة غربية أسّس لها من جانبين: جانب تداولي من خلال أعمال أوزوالد ديكرو"O Ducrot"، وجانب خطابي مع بيرلمان "Perelman"، رغم اختلاف خلفياتهما المعرفية، فإنّه يعدّ موضوعا خصبا، فالحجاج بمثابة تصوّر لإنجاز الواقع، وذلك بالاعتماد على بعض المعطيات الخاصّة بكل من المحاجج والمقام الّذي يتولّد عنه الخطاب.

ولهذا عمدنا إلى استثمار نظريّة الحجاج في تطبيقها على كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، لأنّه يقف موقف المحاجج عن الإعجاز القرآني، فهذا الكتاب يعدّ خطابا موجّها إلى متلق، لأنّه يحمل أفكارا ويدافع عنها بتبني موقف معيّن قصد الإقناع والتأثير بالحجّة البيّنة والاستدلال، وعليه سنوضّح تجلّيات الحجاج وآليّاته في الفكر الجرجاني، من خلال دفاعه عن النص القرآني وبلاغته، فالجرجاني الأشعري عاش في عصر جدال ومناظرة، ممّا جعل خطابه يمتاز بالطّابع السجالي الحواري.

وسيعالج هذا البحث إشكاليّة رئيسيّة مفادها: ما هي الآليّات الحجاجيّة الّتي اعتمدها مؤلّف "دلائل الإعجاز" في الدّفاع عن موقفه وإقامة حجّته؟ وما مدى توفيقه في ذلك؟ بالإضافة إلى إشكاليّات فرعيّة: ما مظاهر الاستدلال الحجاجي في الخطاب الجرجاني؟ وما خصائص الاستدلالات الّتي اشتغل بها؟

وهل وردت صريحة أم ضمنيّة؟ وإلى أيّ حدّ التزم بها في إنتاج أطروحاته البلاغية وتفنيد أطروحات معارضيه؟ هذا عن دواعي البحث وإشكاليته.

أمّا عن أسباب اختيارنا للموضوع فهو رغبتنا في دراسة الكتب التراثية من ناحية، وطبيعة المدوّنة الّتي تعجّ بالقرائن السجاليّة في الدّفاع عن إعجاز النص القرآني، بالإضافة إلى البعد الحجاجي لهذه المدوّنة، ومن هنا حصل التوافق بين اختيارنا من جهة، والقناعة الموضوعيّة الّتي غدتها اعتبارات علميّة من جهة أخرى.

ونظرا لأهميّة كتاب "دلائل الإعجاز" وقيمته العلميّة، جعلت منه منهلا للعديد من الدراسات والأبحاث، نجد دراسة بعنوان "عبد القاهر الجرجاني أعمال ندوة"، جامعة صفاقس، منشورات كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، 1998، حيث تطرّق مجموعة من المؤلفين إلى الأفكار والآراء المطروحة في كتابه، من بينها فكرة "سياق الحجاج في دلائل الإعجاز" لـ: حافظ قويعة، حيث تطرّق إلى السياق العام والملابسات الّتي دفعت عبد القاهر الجرجاني إلى تأليف كتابه، لكنّه لم يتعرّض إلى الآليات الحجاجية التي اعتمدها في إثبات مقولاته.

كذلك نجد دراسة بعنوان "الاستدلال البلاغي" لشكري المبخوت، حيث انطلق في دراسته من مقاربة استدلالية للبلاغة العربيّة من خلال مشروعين هامّين "مشروع عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز"، ومشروع أبي يعقوب السكّاكي في "مفتاح العلوم"، لبيان جهاز التحليل الاستدلالي عند الجرجاني، فتناول مفهوم الاستدلال كجهاز مفاهيمي في الفصل المعنون ب" الاستدلال بالمعنى على المعنى مشروع عبد القاهر الجرجاني"، غير أنّنا سنتطرّق في بحثنا إلى بيان خصائص الاستدلال الطبيعي الّتي اعتمدها الجرجاني في تناوله للمسائل البلاغية؛ أي قراءة المدوّنة قراءة استدلالية، بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل الجامعية.

وأمّا الهدف من هذا البحث، فهو استجلاء الآليّات الحجاجيّة الموظّفة في الخطاب الجرجاني، أمّا عن المنهج الّذي سنتّبعه هو المنهج الوصفي التحليلي، حيث سنتّبع الوصف في طريقة عرض الأفكار، وسنعتمد التحليل في قراءتنا وتحليلنا للمدوّنة، من أجل استخلاص آليات الحجاج.

وقد جاء هذا البحث في فصلين يتصدّرهما مدخل: سنتطرّق فيه إلى الحجاج في الفكر اليوناني والعربي القديم، كالحجاج عند السوفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، أمّا في الفكر العربي، ففيه سنتحدّث عن الحجاج في الفكر الإسلامي، ثم الحجاج في البلاغة العربية، كالحجاج عند الجاحظ وابن وهب والسكاكي.

في الفصل الأوّل: والموسوم بـ: الحجاج مفهومه ونظريّاته وأنواعه وخصائصه وآليّاته، سيكون لنا حديثا عن مفهوم الحجاج، وأهم النظريات الّتي برزت في هذا المجال، فمن نظريّة البلاغة الجديدة إلى نظريّة الحجاج في اللّغة ثم نظريّة المساءلة ثمّ نظريّة تولمن، ثمّ سنتناول أنواع الحجاج (فلسفي وتداولي وبلاغي)، مع خصائص كلّ منهما، بالإضافة إلى الآليّات الحجاجيّة، والّتي تختلف من آليّات لغويّة وبلاغيّة، وآليّات شبه منطقيّة.

في الفصل الثاني(التطبيقي) : والمعنون بـ : الآليّات الحجاجيّة في أسلوب عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"، ففيه سنتطرّق إلى التعريف بصاحب خطاب دلائل الإعجاز، ثمّ التعريف بمدوّنة البحث، ثمّ نوع الخطاب والسياق الّذي أنتجه، كما سنتطرّق إلى الآليّات الحجاجيّة في كتاب دلائل الإعجاز؛ فنحلّل المدوّنة تحليلا حجاجيّا لاستجلاء الآليّات اللّغوية والبلاغيّة والشبه منطقيّة في الخطاب الجرجاني.

ومن جملة الصعوبات التي واجهت هذا البحث صعوبة التنقل بين الجامعات لجلب المراجع، بالإضافة إلى بعد المسافة.

مدخل

- **مدخل: الحجاج من المنظور اليوناني والعربي القديم.**

1- الحجاج في التراث اليوناني.

1-1 الحجاج السوفسطائي.

1-2 الحجاج عند أفلاطون.

1-3 الحجاج عند أرسطو.

2- الحجاج في الفكر الإسلامي.

2-1 علوم القرآن.

2-2 علم التفسير.

2-3 علم أصول الفقه.

2-4 علم الكلام.

3- الحجاج في البلاغة العربية.

3-1 الحجاج عند الجاحظ.

3-2 الحجاج عند ابن وهب.

3-3 الحجاج عند السكاكي.

1- الحجاج في التراث اليوناني:

1-1 الحجاج السوفسطائي.

تمثّل البلاغة السوفسطائية فجوة عميقة في تاريخ الفلسفة، نظرا لما تعرّضت له من ضروب الطمس والتدليس، وقد قام مجموعة من الباحثين بإعادة تأهيل تاريخ التراث السوفسطائي، نجد منهم جورج بريكو كرفريد "Goerge brisscoe kreferd" (1915-1998) « الّذي اهتمّ بقراءة تاريخ وتأويلات هذا التيّار، وذلك انطلاقا من البحث عن أثر هذه النصوص في مؤلّفات الكتّاب الّذين جاؤوا بعد السوفسطائيين».[1]

ويعرّف السوفسطائيون في الأدبيّات اليونانية، على أنّهم معلّموا الخطابة وفن الإلقاء وتلقين المعارف، ويعتمدون في ذلك على سلطة المنطوق، ما أدّى إلى شيوع الثقافة الشفويّة، والسّبب في ذلك هو النقاش الديمقراطي الّذي كان يستعمل في ساحات أثينا، وتلك المرافعات القضائيّة الّتي كانت تجري في قاعات المحاكم، وكذا الخطب السياسيّة والعسكريّة، بالإضافة إلى الأعمال الدراميّة الّتي كانت تعرض على مسارح اليونان.[2]

والسفسطائيّة اسم أطلق على تلك «المماحكات* الزّائفة عمدًا».[3] ويعرّفها أرسطو بقوله: «هي ظاهرة خطابيّة، كما أنّها استدلال صحيح في الظّاهر معتلّ في الحقيقة».[4]

---

[1] أحمد يوسف، البلاغة السوفسطائية وفاتحة الحجاج(تهافت المعنى وهباء الحقيقة)، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة،ج2، مدارس وأعلام، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص2.

[2] المرجع السابق، ص4.

* فالمماحكة تقتصر على مضايقة الخصم، في حين تقوم السفسطة على خداع المستمع بمقاييس تضليلية.

[3] روبير بلانشي، المنطق وتاريخه، من أرسطو حتّى راسل. تر: خليل أحمد خليل، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ص26.

[4] رشيد الرّاضي، السفسطات في المنطقيّات المعاصرة، التوجّه التّداولي الجدلي نموذجا، عالم الفكر، مجلّد 36، ع 4، أفريل، 2008، ص135.

لهذا دعا أرسطو إلى ضرورة التّمييز بين المقاييس الصّحيحة وغير الصّحيحة، واهتمّ بدراسة الخطاب السوفسطائي، لمعرفة الحيل وأنواع المغالطات الّتي يعتمدونها في خطاباتهم لأنّ سفسطات الغير ليست دائما عفويّة، فرأى أنّ كل «من أراد الانشغال بالبرهان أو الجدل، أن يحيط علما كذلك بالسّفسطة، حتّى يسلم من الوقوع في حيّلها المغلطة، خصوصا أنّ هناك شبها كبيرا بينها وبين الخطابة».[1] فالمخاطبة السوفسطائيّة تفتقد إلى العلميّة، وتغيب فيها تقنيّات الحوار وتهدف حسب أرسطو إلى: [2]

- إلزام المخاطب أمرا شنيعا معلوم كذبه.
- إيقاع المخاطب في الشك.
- جعل المخاطب يدلي بكلام مستحيل المفهوم.
- دفع المخاطب إلى الإتيان بالهذر.
- تبكيت المخاطب.

فمن خلال هذا الطّرح، يتّضح أنّ البلاغة السوفسطائية بلاغة تمارس التّظليل، ولهذا وصفهم أرسطو بأنّهم يتظاهرون بالحكمة، وأنّهم أصحاب مغالطات لا صحّة منطقيّة في حجاجهم البلاغي، كما أنّهم أشباه فلاسفة، فلم يكونوا حكماء إلاّ في نظر العامّة، وأنّ خطابهم يخالف القصد، ويحيد عن مساره. غير أنّ هناك من رأى أنّ بلاغة السوفسطائيين تحمل في أحشائها بذورا لتفكير حجاجي، قد وسمه تاريخ الفكر بأنّه ينهض على قواعد المغالطة، وأنّ بلاغتهم أخصبت فن النقاش وتقنيته ليتمخّض عنه الجدال، كما أنّها كانت محفّزا لظهور التّعريفات والحدود فكانت تمهيدا لميلاد المنطق، في حين ذهب غيتري "W .K .ch . Guthrie" في كتابه السوفسطائيّة "les sophistes" إلى أنّ السوفسطائيون: «تيّار عقلي وثقافي موحّد».[3]

---

[1] رشيد الرّاضي، السفسطات في المنطقيّات المعاصرة، التوجّه التّداولي الجدلي ، ص135.

[2] المرجع السابق، ص136.

[3] أحمد يوسف، البلاغة السوفسطائية وفاتحة الحجاج(تهافت المعنى وهباء الحقيقة)، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2: مدارس وأعلام، ص5.

ويرى هيدجر"Hiedger"، أنّ السوفسطائيون يمثّلون حركة اجتماعيّة وسياسيّة، كما أنّهم يعدّون بمثابة الخطوة الأولى الّتي مهّدت لميلاد الفلسفة.[1] إلاّ أنّ البلاغة السوفسطائية واجهت نقدا لاذعا من طرف الفلاسفة، فتولّد نتيجة هذا النقد نوعان من الحجاج: «حجاج بحجاج في مسائل فلسفيّة مختلفة، وحجاج في ما ينبغي أن يكون به الحجاج، خطابان متقابلان ناشران لنظريّتين مختلفتين إلى وضع القول في علاقته بمسألتي المعرفة والقيم الحاضنة للاجتماع الإنساني».[2]

وعليه يمكننا القول أنّ ازدهار الخطابة في العصر السوفسطائي، مكّنت الفلاسفة (أفلاطون وأرسطو) من تبنّي مواقف اتّجاه ممارساتهم السوفسطائيّة، من أجل تحرير الخطابة والجدل من هيمنة السّفسطة.

1-2 - الحجاج عند أفلاطون.

- خلفيّات تحامل أفلاطون على الحجاج الخطابي.

أسّس أفلاطون(ت.397 ق.م) بلاغته في محاورته جورجياس"Gorgias"، على أساس مناهضته للسفسطائيين، لأنّه رأى أنّ بلاغتهم تختصّ باستمالة الحشود الشعبيّة، وذلك لأغراض سياسيّة واجتماعيّة، فهذه الحشود هي المستهدفة في مقام الإغراء الّذي تقيمه البلاغة،« حيث يمكن بسهولة إقامة واقع إقناعي بل قهري للخطاب البلاغي ».[3]

إنّ الدّافع من وراء اهتمام السوفسطائيين بالخطابة دافع سياسي وتعليمي محض، يقول لاوسبيرغ "Lausberg" :« إنّ البرنامج التربوي للخطابة وتطلّعها إلى أن تكون

---

[1] أحمد يوسف، البلاغة السوفسطائية وفاتحة الحجاج(تهافت المعنى وهباء الحقيقة)، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2: مدارس و أعلام، ص20.

[2] هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، مقال ضمن كتاب أهم نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة تونس، مجلدxxxix، 1998، ص51.

[3] محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، ع2، مجلد40، أكتوبر ديسمبر، 2011، ص21.

أيضا صناعة نظريّة ذات قيمة مستقلّة، قد كانا السّبب في تعرّض الخطابة لمقاومة الفلسفة».[1]

فالخلفيّات الّتي جعلت أفلاطون يتبنّى موقفه إزاء حجاج السوفسطائيين، هي انكسار طموحه الشّخصي في السياسة، بالإضافة إلى إقدامه على إنشاء أكاديميّته وهو مشروع تعليمي، كان يتوخّى من خلاله تأهيل النجباء للبحث في الحقيقة والعدالة(...)، فالأمر يتعلّق بتسويق المشروع العلمي التّعليمي لأفلاطون.[2]

كما اختلف السوفسطائيون مع الفلاسفة كذلك حول مفاهيم المعرفة والعقل، حيث أقرّ السفسطائيون بأنّ المعرفة تترتّب عن الإدراكات الحسيّة، في حين رأى الفلاسفة أنّ العقل هو وسيلة المعرفة، فالعقل هو أساس المعرفة وليس الظن أو الرأي.[3]

يرفض أفلاطون رفضا مطلقا معرفة السوفسطائيين القائمة على الإدراكات الحسّية باعتبارها جزئية وتقوم على الظّن، ويدافع عن معرفة أساسها العقل الّذي يسعى إلى الحقائق المطلقة، ثمّ إنّ السّبب في مهاجمة الخطابة من طرف الفلاسفة هو تخوّفهم من تأثيرها في السياسة، وذلك من أجل السلطة لأنّ الخطباء لهم القدرة على التأثير، وبالتالي الفوز بمواقع النفوذ السياسي بسبب نوازعهم الشعبية، على عكس الفلسفة.

وتشكّل محاورتا جورجياس"Gorgias" وفيدر"Phèdre" موقف أفلاطون من بلاغة السوفسطائيين، وبناء الحجاج البديل، فاشتهرت المحاورة الأولى بكونها مخصّصة للخطابة،« فالخطابة هي الموضوع المركزي (...)، فهي معروضة على نقد لاذع إلاّ أنّ السياسة تنال نصيبها من هذا النّقد (...)، لأنّها هي المستفيدة من الخطابة (...)، لقد تكلّف سقراط بملف الدّفاع عن الفلسفة واتّهام الخطابة في مواجهة دراميّة أمام بقيّة المحاورين وهم جورجياس وبوليوس وكاليكس».[4]

---

[1] محمد الولي، تأمّلات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، مقال ضمن كتاب البلاغة والخطاب. إعداد وتنسيق: محمد مشبال، دار الأمان، الرباط، ط1، 2014، ص50.

[2] عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص36-37 بتصرّف.

[3] المرجع السابق، ص36.

[4] محمد الولي، تأمّلات في محاورتي جورجياس وفيدر مقال ضمن كتاب " البلاغة والخطاب". ص51.

إذا كانت محاورة جورجياس نقداً لاذعاً لخطابة السوفسطائيين وبلاغتهم الإقناعية، فإنّ محاورة فيدر"Phèdre"، « قد كرّسها لتحديد خصائص الحجاج البديل الّذي يدعو إليه، فأمام استحالة خطر فن الخطابة داخل المجتمع الأثيني، اقتنع أفلاطون بإمكانيّة الإبقاء عليه وإصلاحه وذلك عبر ربطها بالفلسفة، حيث دعا إلى قيام نوع من الخطابة الفلسفيّة الّتي لا تقتنع بإيهام الجمهور تبعا لأهواء الخطباء بل تلتزم تعبيرا عن الحقيقة والتّوجيه إلى الخير».[1]

انطلاقا من محاورتي" جورجياس وفيدر"، نلاحظ أنّ أفلاطون سعى إلى محاربة كل أشكال التوظيف السلبي للملكة الخطابيّة(البلاغيّة)، ولتقنياتها المتنوّعة، وتخليص الخطابة من تصوّرات السوفسطائيين الباطلة، وممارساتهم المنحرفة، فأفلاطون كما يؤكّد رولان بارت"Roland Barthes "، يعالج بلاغتين:« بلاغة الحديث، وهي نشاط يتعلّق بكتابة أي خطاب، وموضوعها الاحتمال والإيهام، وهي بلاغة معلّمي البلاغة والسوفسطائيين، وبلاغة الحق، وهي البلاغة الحقيقيّة؛ البلاغة الفلسفيّة وأيضا الجدليّة».[2]

وإجمالا يمكن القول، أنّ أفلاطون يؤكّد أنّ البلاغة لا أهميّة لها في المجتمع متخوّفا في الوقت نفسه من تأثيرها. إنّ التّناقض الّذي وقع فيه أفلاطون رافضًا للبلاغة تارة، ومندّدا بها تارة أخرى، دعت إليه أسباب سياسيّة بحتة، ممّا جعله يقرّ ببلاغة فلسفيّة؛ أي (دمج الفلسفة في البلاغة).

لقد طوّر أفلاطون التصوّر الثاني للبلاغة في محاورة فيدر"Phèdre"، فدعى إلى بلاغة فلسفيّة ذات صبغة شبه منطقيّة وشبه علميّة، فالمنهج الّذي تتّبعه البلاغة الإقناعيّة بالمعنى الّذي يدافع عنه أفلاطون في محاورته فيدر الجدل، لقد قصد أفلاطون من خلال المعارضة إلى تخليص فيدر من حجاج السوفسطائيين المموّه، وإدماجه في حجاج الفيلسوف الّذي يبني الخطابة الحقيقيّة.[3]

---

[1] عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص41.

[2] رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة. تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، 1994، ص17.

[3] عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص42. بتصرّف.

وممّا سبق يتّضح أنّ السوفسطائيين اقتحموا فن القول في مختلف الموضوعات، وارتبطت مقاصدهم بالإثارة والاستهواء، ممّا جعل أفلاطون يندّد بالحجاج الّذي يتوخّى الحقيقة والقيم الأخلاقية، وعليه يمكننا الحكم على أنّ الحجاج يتجاذبه كل من الجدل والخطابة، فالجدل يهتم بتحليل فن الحوار، وتختصّ الخطابة بفن الكلام، فهما وجهان لعملة واحدة، والحجاج يوظّف في كليهما.

1-3- الحجاج عند أرسطو.

تعدّ أعمال أرسطو(ت.322 ق.م) المنطقيّة، والّتي جاءت في شكل رسائل جمعت تحت اسم " الأورغانون" والّذي يعني الوسيلة، بمثابة العمل الحجاجي الكامل الّذي بلوره أرسطو بعدما جعل من إسهامات السوفسطائيين وأفلاطون اللّبنة الأولى لأبحاثه المنطقيّة عامّة، وأبحاثه في المجال الحجاجي خاصّة، وتظهر أعماله المرتبطة بالممارسات الحجاجيّة من خلال مصنّفاته والّتي تتكوّن من:[1]

- المواضع: Topiques
- التبكيتات السوفسطائية: Les véfutations Sophistiques
- الخطابة:Rhétorique

بالإضافة إلى كتابي التحليلات الأنالوطيقا: "تحليلات أولى" في جزئين تعرض نظريّة القياس و"تحليلات ثانيّة" في جزئين أيضا: تتناول البرهان؛ القياس القائم على المقدّمات الاحتماليّة.[2] كما قدّم الأستاذ" هشام الرّيفي" مقالاً، عرض فيه لنظريّة "الحجاج عند أرسطو" ضمن مؤلّف جماعي،"أهم نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم"، حيث تطرّق لمفهوم الحجاج من خلال الجدل والخطابة عند أرسطو، معتمدا في ذلك على شرح الخطابة لابن سينا، وتلخيص الخطابة لابن رشد وكتاب الخطابة للفارابي، ونظرا لأهميّة هذا المقال سنعتمده في استجلاء بعض خصائص الممارسة الحجاجيّة عند أرسطو.

[1] عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص46.

[2] روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتّى راسل. تر: خليل أحمد خليل، ص37.

- **الحجاج الجدلي.**

عالج أرسطو في كتابه الطوبيقا (المواضع les topiques) أو من البرهان إلى الجدل، كل ما يتعلّق بالجدل وموضوعاته، بالإضافة إلى كتاب التبكيتات السوفسطائية، واعتبرا هذان الكتابان وحدة متكاملة، فرأى الدّارسون أنّ التبكيتات في الأصل هي المقالة التّاسعة من المواضع، عرض فيهما نظريّته في الاستدلال الجدلي والّذي يبنى بوسيلتين اثنتين: « ثبت المشهورات " Répertoiredes idées admises" والمواضع "Topöi "».[1]

ففي كتاب المواضع اهتمّ أرسطو بدراسة الجدل، ويعرّفه بقوله: «الحجاج في المسائل الفكريّة الخلافيّة، وقصد إلى بيان قواعد الاختبار الأنطولوجي المنطقي للقضايا، ودور الجدل في توفير عدد كبير من المقدّمات الّتي يقوم عليها الاستدلال البرهاني».[2]

ويتّضح لنا أنّ أرسطو أراد أن يوسّع من مجال الجدل، وذلك بدراسته للاستدلال في ضوء القيم الاجتماعيّة، كما يقوم الجدل عنده على مقدّمات محتملة تبحث في إقرار قضايا أو إبطالها، وأطلق على هذه القضايا اسم المطلوب الجدلي "Le Problème dialectique". ويختصّ المطلوب الجدلي عند أرسطو مجالات معرفية ثلاث: الأخلاق"Ethique" والطّبيعة "Physique" والمنطق، مع مراعاة اختيار الحمول وفحص القضايا، وهذه الحمول أو المطالب الجدليّة تكون إمّا حدّا "Définition" أو عرضا "Accident" أو جنسا "Genre" أو خاصّة "Propre" وتشكّل في مجملها مواضع تستمد منها القضايا الجدليّة.[3]

كما تتّخذ الاستدلالات عنده أشكالا عدّة منها: القياسSyllogisme والاستقراء Induction والمثال Exemple، فميّز بين ثلاث أنواع من القياس: القياس البرهاني والقياس الجدلي والقياس الخطابي.[4]

---

[1] هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، مقال ضمن كتاب أهم نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص96.

[2] المرجع السابق، ص97.

[3] عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص49.

[4] هشام الرّيفي، الحجاج عند أرسطو، ص101.

ومن خلال ما سبق، يتّضح أنّ أرسطو درس الاستدلالات الّتي يتحقّق بها الحجاج الجدلي، واستعرض قواعده، ممّا يجعلنا ندرك أنّه تناول الحجاج تناولاً منطقياً، ورأى أنّ المناقشة ينبغي أن تقنّن تقنينا دقيقا، لأنّها تشتمل على كل ما هو فكري، في حين رأى أنّ الخطابة أداة ووسيلة في خدمة المجتمع؛ فهي تختصّ بكل ما هو أخلاقي واجتماعي وسياسي.

- **الحجاج الخطابي.**

يتجلّى المشروع الأرسطي في هذا المجال من خلال كتابه الخطابة "Rhétorique"، حيث تناول علاقة الخطابة بالجدل ومفاهيمها، فهما يشتركان في هدف واحد، وهو بناء الاعتقادات، وكلاهما يكمّل الآخر، لذا يقتصر الجدل على كل ما هو استدلالي؛ أي كل ما يتعلّق بالفكر، أمّا الخطابة فموضوعها القيم والبحث عن الأساليب الّتي تسعى إلى إقناع الجمهور، فالخطابة عند أرسطو هي:« الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع»[1]، وهذا الإقناع يتوقف عنده على ثلاثة أركان: أخلاق القائل، ويسمّى حجّة الإيتوس"Ethos"، وتصيير السامع في حالة نفسية ما، وتسمى حجّة الباتوس" Pathos"، والقول نفسه من حيث هو يثبت أو يبدو أنّه يثبت، وهو ما ينعت بحجّة اللغوس "Logos".

ويحدّد أرسطو في كتابه" الخطابة" الأقسام الثلاثة الّتي يقوم عليها فن الإقناع. حيث يقول في حجة الإيتوس:« والخطيب يقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يلقى على نحو يجعله خليقا بالثقة، لأنّنا نستشعر الثّقة على درجة أكبر وباستعداد أوسع، بأشخاص معتبرين في كلّ الأمور وبوجه عام، وهذا الضرب من الإقناع ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلّم، لا عن طريق ما تظنّه النّاس عن خلقه قبل أن يتكلّم،(...) ينبغي أن يعدّ خلقه أقوى عناصر الإقناع لديه».[2]

[1] عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، حدود وتعريفات، ص28.

[2] المرجع السابق، ص28.

ويقول متحدّثا عن حجّة الباتوس:« إنّ الاقتناع يمكن أن يتمّ بحسب حالة السامعين إذا كانت الخطبة مثيرة لمشاعرهم، فأحكامنا حين نكون مسرورين ودودين ليست هي أحكامنا حين نكون مغمومين ومعادين، ونعتقد أنّ معظم الّذين يصنّفون في الخطابة اليوم يريغون بكل جهودهم نحو إحداث هذه الآثار».[1]

أمّا حجّة اللّوغوس فيقول عنها:« وأخيرا، فإنّ الإقناع يحدث عن الكلام، إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة، بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة».[2]

أمّا أنواع الخطابة عند أرسطو فثلاثة: وهي الخطبة المشورية" discours délibératif" وتناسبها حجّة الإيتوس ، والخطبة التثبيتية " discours épidictique" وتناسبها حجّة الباتوس، أمّا الخطبة المشاجريّة " discours judiciaire" فتقابلها حجّة اللّغوس.

ومن خلال المفاهيم السابقة يمكننا القول، إنّ الخطابة الأرسطية تشكل نقطة التقاء كل من علم الأخلاق والجدل حيث يقول أرسطو:« الخطابة فرع من الجدل، وأيضا فرع من علم الأخلاق يمكن أن يدعى بحق علم السياسة».[3]

[1] عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، حدود وتعريفات، ص29.

[2] المرجع السابق، ص29.

[3] هشام الرّيفي، الحجاج عند أرسطو، مقال ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص98.

وتسعى الخطابة الأرسطيّة إلى تحقيق مجموعة من القيم الاجتماعيّة، فهي تبحث في الأخلاق والانفعالات والأفعال والفضائل، بالاعتماد على وسائل متنوّعة تهدف إلى الإقناع، وقد مثّل محمّد العمري لهذه الوسائل بالخطاطة التّالية:[1]

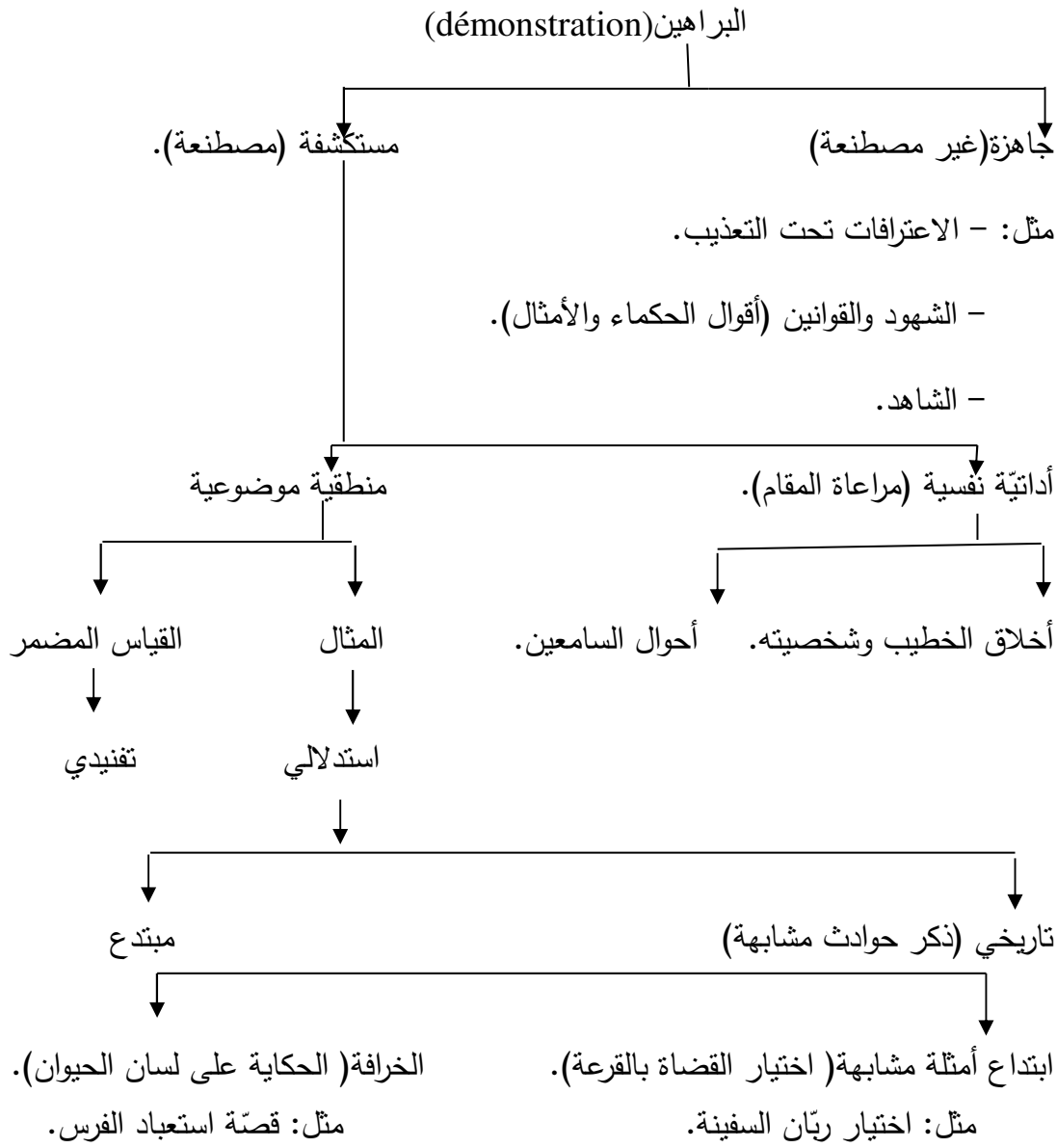

[1] محمّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي(مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربيّة. الخطابة في القرن الأوّل نموذجا)، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2002، ص27.

وإجمالا يمكن القول أنّ الخطابة الأرسطيّة تتوخّى البناء الإقناعي للخطاب معتمدة في ذلك على التّصديقات الصناعيّة، وغير الصناعيّة الّتي تهدف إلى إقناع الجمهور مع مراعاة أحوال السّامعين ومقاماتهم، ويتحقّق الإقناع الخطابي بعناصر حجاجيّة متنوّعة: كالمثل l'exemple، والاستقراء والاستدلال والقياس المضمر l'enthymème.

وإذا كان للحجاج في الفكر اليوناني دور مهم في المجتمع، حيث احتلّت الخطابة المرتبة الأولى باعتبارها خادمة للمجتمع في جميع المجالات: السياسيّة والاقتصاديّة والقضائيّة، فما هي مكانته في الفكر العربي والإسلامي؟.

2- الحجاج في الفكر الإسلامي:

2-1 في علوم القرآن.

يتحدّد النّص القرآني في طبيعتة الخطابيّة والجدليّة، لذا كان محل اهتمام البلاغيّين والأصوليّين فجعلوه مدار دراساتهم، لأنّ الكثير من المصنّفات تهتم بدراسة أسلوب القرآن في الحجاج، نجد منهما كتاب" البرهان في علوم القرآن" لبدر الدين الزّركشي[1]، حيث ترد فيه ألفاظ الحجاج بمشتقّاتها، فهو يستعمل ألفاظ المحاجّة والحجاج والاحتجاج كمرادفات للجدل.

وأفرد السّيوطي في كتابه" الإتقان في علوم القرآن". بابا بعنوان" في جدل القرآن"، حيث رأى أنّ القرآن اشتمل على جميع أنواع الأدلّة والبراهين، لذا فهو يستخدم مصطلحي" الجدل والحجاج "، على أنّهما مترادفان، ويتّضح لنا ذلك من خلال تعريفه للمذهب الكلامي بقوله: «هو احتجاج المتكلّم على ما يريد إثباته بحجّة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام»[2].

وفي كتاب" الموافقات" للشّاطبي، نجده تناول بعض الظواهر الخاصّة بأسلوب القرآن في الاحتجاج، ورأى أنّ الآيات القرآنية المكيّة محكمات، فهي آيات عموميّات لا تحتمل التّخصيص، وجاءت احتجاجا على الكفّار ورداّ عليهم في اعتقادهم، ولو كانت

---

[1] الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج2، 1972، ص24 -27.

[2] السّيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2012، ص508.

تحمل التّخصيص في المعنى لم يكن فيها ردٌ عليهم، ولما قامت عليهم بها حجّة، لأنّ العموم إذا خصّ لا يبقى حجّة.[1]

كما يحتجّ في مشروعه الأصولي في مواجهة الفكر التّأويلي الباطني بشتّى أنواعه، هذا الفكر الّذي سعى إلى إخراج النص القرآني من ظاهره وسياقه، وادّعى المقصود من النص هو ما وراء هذا الظّاهر، ولا سبيل إلى نيله بعقل أو نظر، ودعا إلى ضرورة الأخذ بالأسباب الّتي تنزّل القرآن في سياقاته وشروطه وضوابطه اللّغوية.[2]

2-2 علم التفسير*.

يعدّ كتاب" تفسير التّحرير والتّنوير" لمحمّد الطّاهر بن عاشور من أهم كتب التّفسير الّتي تطرقت إلى بيان آليّة الإقناع في الخطاب القرآني، حيث أشار في تفسيره إلى لفظتي الحجاج و الجدل في القرآن، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾.[سورة البقرة، الآية: 258]. فمعنى حاجّ: خاصم، و هو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لحاجّ في الاستعمال فعل مجرّد دالّ على وقوع الخصام، ولا تعرف المادّة الّتي اشتقّ منها، فالحجّة في كلام العرب البرهان المصدّق للدّعوة مع أن حاجّ لا يستعمل غالبًا إلاّ في معنى المخاصمة، والأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل، فمعنى ﴿الَّذِي حَاجَّ إبراهيمَ﴾ أنّه خاصمه خصاما باطلا في شأن صفات الله ربّ إبراهيم.[3]

وقال في شأن الجدل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.[سورة النساء، الآية:107]. والمجادلة: مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على

---

[1] ينظر: الشاطبي أبي إسحاق، الموافقات. تقديم وتعليق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار عثمان بن عفّان للنّشر، المملكة العربيّة السعودية، م2، ط1، 1997، ص384 بتصرّف.

[2] ينظر: إدريس مقبول، الأفق التداولي(نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثيّة العربيّة)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص70 بتصرّف.

* هو علم يعرف به فهم كتاب اللّه المنزل على نبيّه، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، ويستمد ذلك من علم اللّغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ. الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص12.

[3] بن عاشور محمّد الطّاهر، تفسير التّحرير والتّنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج3، د.ط، 1984، ص32.

الخصام والحجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك.[1] وقال: المجادلة المخاصمة بالقول، وإيراد الحجّة عليه، فتكون في الخير كقوله تعالى: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.[سورة هود، الآية: 74]. وتكون في الشر كقوله تعالى:﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِ﴾.[سورة البقرة، الآية: 197]. [2]

وردت لفظتي الحجاج والجدل في الآيات بمعنى المخاصمة، غير أنّ معنى الحجّة عند ابن عاشور، تقتصر على البرهان، في حين يدلّ معنى الجدل على القدرة على المنازعة، بهدف الإقناع ويكون في الخير والشر، لذا يمكننا القول أنّ علم التّفسير اهتمّ بالجانب الحجاجي للقرآن ودوره في فهم النص القرآني من حيث إعجازه.

2-3 علم أصول الفقه.

يعدّ كتاب" المنهاج في ترتيب الحجاج"، كتابا مهمّا في علم أصول الفقه، فمن خلال العنوان يتّضح أنّه أورد لفظة الحجاج، غير أنّه أشار في مقدّمته على أنّه كتابا في الجدل. يقول: «(...) لمّا رأيت بعض أهل عصرنا على سبيل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين (...) أزمعت على أن أجمع كتابًا في الجدل».[3]

ويعرّف الجدل بقوله: « هو تردّد الكلام بين اثنين، قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه».[4]

ويذهب أبو الوليد الباجي مذهب ابن عاشور في تفسيره للجدل، فاقتصر مفهوم الجدال عنده على التّحاور بين اثنين، لإثبات قول أو نفيه ويخصّهما معا؛ أي (المتحاورين).

---

[1] بن عاشور محمد الطاهر، تفسير التّحرير والتّنوير، ج5، ص194.

[2] المرجع السابق، ج12، ص60.

[3] الباجي أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج. تح: عيد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1987، ص7.

[4] المرجع السابق، ص11.

2-4 علم الكلام.

يعرّف علم الكلام بأنّه:« علم يقتدر به على إثبات العقائد الدّينية، بإيراد الحجج عليها ورفع الشبهة عنها، وموضوعه ذات الله تعالى وصفاته».[1] كما يعرّفه "الفارابي" في كتابه" إحصاء العلوم" بأنّه: « صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة، الّتي صرّح بها واضع الملّة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل ».[2] ويعرّفه "ابن خلدون"ت821هـ في "مقدّمته" بقوله: «هو العلم الّذي يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانيّة بالأدلّة العقليّة، والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات».[3] كما يختلف علم الكلام عن علم أصول الفقه، لأنّ دائرة بحثه المسائل العقائديّة، أمّا علم أصول الفقه فدائرة بحثه الأحكام الشرعيّة العمليّة.

أثار علم الكلام اختلافا في أوساط العلماء فبعضهم قال بتحريمه، في حين أحلّه بعضهم، واتّخذ فريقا ثالثا موقفا وسطا، فقد حرّمه كل من الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل، وجميع أهل السلف، في حين ذهب الفريق الثاني إلى إباحة تعليمه، وهم يقولون في ذلك أنّ علم الكلام هو علم الحجاج عن العقائد بالأدلّة والبراهين، وكيف يكون ذكر الحجّة والمطالبة بها، والبحث عنها محضورا، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ وقال: ﴿فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ﴾، كما أنّ القرآن من أوّله إلى آخره محاجّة مع الكفار، في حين وقف الإمام الغزالي موقفا وسطا بين التحليل والتّحريم، يقول الغزالي في قواعد العقائد من" إحياء علوم الدّين":« إنّ فيه منفعة وفيه مضرّة، ففي وقت الانتفاع حلال ومندوب إليه أو واجب، كما تقتضيه الحال، وهو باعتبار مضرّته في وقت الضر ومحلّه حرام، أمّا مضرّته فإثارة الشّبهات وتحريك العقائد، وأمّا منفعته، فقد يظنّ أنّ فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، ولكن هيهات فليس في الكلام وفاء بهذا الطّلب الشّريف، ولعلّ التّخطيط والتّضليل فيه أكثر من الكشف والتّعريف(...)، ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور،

---

[1] قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1980، ص124.

[2] يحي هويدي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، ص102.

[3] عبد الرحمان ابن حلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر،ج1، ص580.

ولكن على الندور في أمور جليّة، تكاد تفهم قبل التعمّق في صنعة الكلام، بل منفعته شيء واحد، وهو حراسة العقيدة الّتي ترجمناها على العوام، وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل».[1]

3- الحجاج في البلاغة العربية:

3-1 الحجاج عند الجاحظ.

اهتمّ الجاحظ ت255هـ في مشروعه البلاغي اهتماما كبيرا بالخطابة، حيث رأى فيها نوعا أدبيّا ولغويّا ينبغي تعلّمه وتعليمه والاعتناء بأصوله، فارتبطت الخطابة عنده بالبعد الدّيني العقائدي، حيث نجده في كتابه "البيان والتّبيين" يتعرّض لهذا الجنس اللّغوي ويفصّل القول فيه، كما يورد خطبا ورسائلا لأشهر الخطباء، وذكر الشروط الّتي ينبغي أن تتوفّر في الخطيب، وذلك من أجل بلورة آرائه في البيان واللغّة والبلاغة، غير أنّ اهتمام الجاحظ بهذا النّوع الأدبي يرجعه جلّ الدّارسون إلى أسباب دينيّة وسياسيّة، ويؤكّد حمّادي صمود ذلك بقوله: «لم يكن الجدل الكلامي الدّاعي الوحيد إلى اعتماد هذا الجنس، فلقد حرّكت الجاحظ إلى تأليف "البيان والتّبيين" نوازع التصدّي لتيّار ذي صبغة سياسيّة واضحة، اتّخذ من الطعن في الجنس العربي وموروثه الحضاري والاستنقاص من قدرة العرب على الخطابة والبلاغة، فردّ عليهم المؤلّف حججهم وكان ردّه السبب المباشر في حديثه المطوّل عن خصائص الخطيب وإثباته لأشهر الخطب المعروفة إلى عهده».[2]

وعليه يمكن طرح التساؤل الآتي: ماهي مقصديّة الجاحظ بالبيان والتّبيين؟

1- الإفهام في بلاغة الجاحظ.

تتأسّس النظريّة البلاغيّة عند الجاحظ على مفهوم البيان، ويعرّفه بقوله: «هو اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشفَ لكَ قناعَ المعنَى، وهَتَكَ الحِجَابَ دونَ الضَّميرْ، حتَّى يُفضيَ السّامعُ إلى حقيقتِهِ، ويَهجُمَ عَلىَ مَحْصُولِهِ كائنًا مَا كانَ ذلكَ البيانُ، ومِنْ أيِّ

[1] يحي هويدي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، ص103-104 بتصرّف.

[2] حمّادي صمّود، التّفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)، منشورات كليّة الآداب، منّوبة، تونس، ط 2، 1994، ص306.

جنسٍ كانَ الدّليلُ، لأنَّ مدارَ الأمرِ والغَايَةَ الّتي إليها يجرِي القائلُ والسّامعُ، إنّما هو الفهمُ والإفهامُ، فبأيِّ شيءٍ بلغتَ الإفهامَ، وأوضحْتَ عن المعنَى، فذلكَ هو البيانُ في ذلكَ الموضع».[1]

يتّضح لنا من خلال هذا التّعريف، أنّ البيان عند الجاحظ هو ما دلّ دلالة ظاهرة على معنى خفي، وما دلّ على معنى فهو بيان، لذا رأى أنّ الدِّلالات على المعاني قد ترد من لفظ وغير لفظ، فجمع أصناف الدّلالات، فأوّلها اللّفظ، ثمّ الإشارة، ثمّ العقد، ثمّ الخطّ، ثمّ الحال الّتي تسمّى نصبة.[2] كما رأى الجاحظ أنّ رداءة البيان مذمّة وتخلّ بالحجّة، لأنّ الغاية منه هي الفهم والإفهام، وتحقيق الإفادة، ومهمته تقتصر على وظيفة الإفهام، والقدرة على إيصال المعاني إلى ذهن السّامع لتحقيق الفهم.

ويرى "الشاهد البوشيخي"، أنّ لفظة البيان: «تعني التّعبير الواضح البليغ في حدّ ذاته (...) فهي مرادفة من هذه الوجهة للفظة التّبيين، والّتي تعني الشيء نفسه بالنّسبة للمتكلّم، أمّا التبيّن هي الّتي تعبّر عن وضع السّامع الّذي مهمّته الفهم، في مقابل لفظة البيان الّتي تختصّ بالقائل الّذي مهمّته الإفهام».[3]

وإجمالا يمكن القول، أنّ الجاحظ أولى عناية خاصّة بالخطابة، لأنّها بواسطتها يتحقّق الإقناع الّذي يبنى على عمليّتي الفهم والإفهام، لذا اهتمّ بالخطاب وشروط تحقّقه، ويتّضح لنا ذلك من خلال تعريفه لمفهوم البيان، فبلاغة الجاحظ ذات بعد تداولي.

2- وظيفة الإقناع في بلاغة الجاحظ.

ارتبط تفكير الجاحظ البياني بوظيفة الإقناع ارتباطا وثيقا، فغرضه هو الإبانة عن المقاصد وإفهام السامع، يقول عبد الواسع الحميري: «إنّ الجاحظ لم يكن معنيا بقضيّة الفهم فحسب، بل كان مهتمّا أيضا بقضيّة الإفهام، (إفهام السّامع

[1] الجاحظ أبو عثمان، البيان والتّبيين. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط7، 1998، ص76.

[2] المرجع السابق، ص76.

[3] الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقديّة وبلاغيّة في كتاب البيان والتبيّن للجاحظ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1995، ص32.

وإقناعه، وقمع المجادل وإفحامه) لذلك فقد سلّط اهتمامه على شروط إنتاج الخطاب، حيث سار في كتابه "البيان والتبيين" حسب تصميم منطقي مضمر؛ عرض من خلاله العمليّة البيانيّة بمختلف مراحلها، منطلقا من شروط الإنتاج الجيّد والمبين، إلى متطلّبات الحصول على الاستجابة المرجوّة».[1]

كما اهتمّ الجاحظ ببلاغة الكلام الّتي يتحقّق بها الإقناع، فالبلاغة عنده تقتصر على الحجّة البيّنة، وحمل المستمع على الإذعان والتّأثير، حيث يقول: «جِمَاعُ البلاغةِ البَصرُ بالحجَّةِ، والمعرفةُ بمواضعِ الفرصةِ».[2] ودعا إلى ضرورة مراعاة قدرة السّامع على الفهم ومنزلته، لأنّ: «مدارُ الأمرِ على إفهامِ كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتهِمْ، والحملِ عليهم على أقدارِ منازلِهم».[3] فيما يذهب الباحث "محمّد العمري" إلى أنّ كتاب البيان والتّبيين: «هو محاولة لوضع نظريّة لبلاغة الإقناع مركزها الخطاب اللّغوي الشفوي».[4]

من خلال ما سبق، يمكننا الحكم على بلاغة الجاحظ بأنّها بلاغة بيانيّة خطابيّة، حيث اهتمّ بشروط إنتاج الخطاب في مستواه التّأويلي، وسعى إلى الاهتمام بالمخاطِب(المتكلّم)، والمخاطَب (السّامع)، وأحواله النفسيّة والاجتماعيّة، غير أنّ عناصر العمليّة التخاطبيّة تبقى في حاجة إلى المقام الّذي يؤدّي دورًا بالغا في عمليّة الإقناع.

---

[1] عبد الواسع أحمد الحميري، شعرية الخطاب في التّراث النّقدي والبلاغي، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص124 .

[2] الجاحظ أبو عثمان، البيان والتّبيين، ج1، ص88.

[3] المرجع السابق، ص93.

[4] محمّد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدّرس البلاغي، مجلة دراسات سيميائيّة أدبيّة ولسانيّة، ع5، 1991، ص11.

3- إلزامات المقام ودورها في الإقناع.

يُوصف المقام في الوعي البياني أو البلاغي على أنّه:« جُمّاعُ عمليّة التّواصل الإنساني أو بوصفه ما يستدعي عمليّة التّلفظ، ويفرض شروط الملفوظ».[1]

إنّ أوّل من كتب رسالة في البلاغة هو بشر بن المعتمر(210هـ)، وهو أحد بلغاء المعتزلة، بيّن فيها أهمية المقام خلال عمليّة التّلفظ، فنقل عنه الجاحظ مقولته في هذا السياق:«....والمعنَى ليسَ يشرفُ بأن يكونَ من معاني الخاصّةَ، وكذلك ليسَ يتَّضعُ بأن يكونَ من معانِي العامَّة، وإنَّمَا مدارُ الشرفِ على الصّوابِ وإحرازِ المنفعةِ، مع موافقةِ الحالِ، ومَا يجبُ لكلِّ مقامٍ من المقالِ».[2] كما وضّح الجاحظ أهميّة المقام، وما ينبغي على المتكلّم مراعاته خلال عمليّة التكلّم، حيث يقول: « وينبغِي للمتكلِّمِ أن يعرفَ أقدارَ المعانِي، ويوازنَ بينها وبين أقدار المستمعينَ، وبينَ أقدارِ الحالات، فيجعلَ لكلِّ طبقةٍ من ذلك كلامًا، ولكلِّ حالةٍ من ذلك مقامًا، حتَّى يقسِّمِ أقدارَ الكلامِ على أقدارِ المعانِي، ويقسّمَ أقدارَ المعانِي على أقدارِ المقامات، وأقدارَ المستمعينَ على أقدارِ تلكَ الحالات».[3]

يشكّل المقام في العمليّة البيانيّة والتخاطبيّة عند الجاحظ شرطاً من شروط نجاح المتكلّم في إقناع السّامع، فالإفهام يعتمد على وضوح المعنى وبيانه، وملاءمته لمقتضى الحال في عمليّة التبليغ؛ أي أنّ المتكلّم عليه أن يراعي أحوال السّامع النفسيّة، وأن يوفي المنازل والألفاظ حقّها، بالإضافة إلى توخّي مقصديّة الكلام، فالأفهام تتفاوت والمقامات تختلف.

---

[1] عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحلّله، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، ص55.

[2] الجاحظ أبو عثمان ، البيان والتّبيين، ج1، ص17.

[3] المرجع السابق، ج1، ص138-139.

3-2 الحجاج عند ابن وهب.

1- البيان عند ابن وهب.

ألّف أبو الحسين إسحاق ابن وهب الكاتب(ت337هـ) كتابه المسمّى" البرهان في وجوه البيان"، وقد ذهب في مقدّمته إلى أنّ الجاحظ لم يأت فيه بوصف البيان، حيث يقول:« ذكرتَ لي وقوفكَ على كتاب الجاحظ الّذي سمّاه" البيان والتّبيين"، وإنّكَ وجدتَهُ إنّما ذكر فيه أخبارًا منتحلةً وخطبًا منتخبةً، ولم يأت فيه بوظائفِ البيانِ، ولا أتى على أقسامهِ في هذا اللّسان، فكان عندَ ما وقفتُ عليه غير مستحقٍّ لهذا الاسم الّذي نُسبَ إليه، وسألني أن أذكر جملاً من أقسام البيان آتيةً على أكثر أصولِهِ، محيطةً بجماهيرِ فصولهِ، يعرفُ بها المبتدئُ معانيه، ويستغني بهذا النّاظرُ فيه، وأن أختصرَ ذلك لئلا يطول به الكتاب».[1]

كما نوّه في مقدّمته بأهمّية كتابه فيقول: « وقد ذكرتُ في كتابي هذا جملاً من أقسامِ البيانِ، وفقرًا من آدابِ حكماءِ أهل هذا اللّسان، لم نسق المتقدّمينَ إليها، ولكنّي شرحتُ في بعض قولي ما أجملُوه، واختصرتُ في بعض ذلك ما أطالُوه».[2] هذا عن سبب تأليفه لكتابه وأهميّته، أمّا أنواع البيان عنده: بيان الأشياء بذواتها ويسمّيه بيان الاعتبار، وبيان الاعتقاد وبيان العبارة وبيان الكتاب.

فبيان الاعتبار عند ابن وهب هو بيان الحال أو النّصبة عند الجاحظ، والبيان عند ابن وهب هو« تأثير الكائنات ومشاهد الطبيعة على قلب الإنسان وعقله، ولا يخفى أيضا أن الكلام في هذا الوجه من البيان والعناية به يرجع إلى مذهب من مذاهب المتكلّمين في إثبات الخالق ووجوب الإيمان به».[3]

---

[1] الكاتب ابن وهب، البرهان في وجوه البيان. تح: حفني محمّد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ط، 1969، ص49.

[2] المرجع السابق، ص51.

[3] محمد كريم كواز، البلاغة والنقد(المصطلح والنشأة والتجديد)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص70.

ويقسّم ابن وهب بيان الاعتبار إلى نوعين: ظاهر يدرك بالحس أو العقل، وخفي باطن يستدل عليه، حيث يقول:« إنّ الظاهرَ من ذلك ما أدرك بالحسِّ، كتبيُّينِنَا حرارةَ النّارِ وبرودة الثلجِ، وما أدركَ بنظرةِ العقلِ الّتي تتساوَى العقولَ فيهَا مثل: تبيُّننا أنّ الزّوجَ خلافَ الفردَ، وأنّ الكلَّ أكثرَ من الجزءِ، والباطنُ ما غابَ عن الحسِّ، واختلفتِ العقولُ في إثباتهِ، فالظّاهرُ مستغنٍ بظهورهِ عن الاستدلالِ عليه والاجتماعِ عليهِ، لأنّه لا خلافَ له، والباطنُ هو المحتاجُ إلى أن يستدلَّ عليه بضروبِ الاستدلالِ ويعتبرُ بوجوه المقاييس والأشكال».[1] ويرى أن بيان الاعتبار يتمّ بعدّة طرق:

1- القياس: فالقياس يكون نتيجة عن مقدّمات، والّتي تفضي إلى نتائج، وتتمثّل في:

- البرهان: يصدر عن قول مسلّم في العقل، لا خلاف فيه.
- الإقناع: ما صدر عن قول مشهور.
- المغالطة: ما صدر عن قول كاذب.[2]

2- الخبر: وهو نوعان: يقين وتصديق.[3]

3- الظنّ: وهو وجه ثالث من وجوه الاستنباط، يستنبط به عن باطن الأشياء، فالظنّ والتخمين فيما لا يوصل إليه بقياس، ولا يتأتّى فيه خبر، وفي الظنّ حق وباطل».[4]

وفي هذا الصّدد يقول ابن وهب: «فإذا أردتَ أنْ يصدقَ ظنُّكَ فيما تطلبه بالظنِّ ممّا لا تصلُ إلى معرفتِهِ بقياسٍ ولا خبرٍ، فاقسم الشّيءَ الّذي يقع ظنُّكَ إلى سائرِ أقسامهِ في العقلِ، وأعطِ كلَّ قسمٍ حقَّهُ في التأمُّلِ، فإذا اتّجهَ لكَ أنَّ الحقَّ في بعضِ تلك الأقسام، على أكبر الظنِّ وأغلبِ الرّأي جزمتَ عليه، وأوقعتَ الوهمَ على صحّتِهِ».[5]

---

[1] الكاتب ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص65.

[2] المرجع السابق، ص68.

[3] المرجع نفسه، ص77-79.

[4] نفسه، ص79.

[5] نفسه، ص81-82.

انطلاقا ممّا سبق يمكننا القول، أنّ البيان الظّاهر عند ابن وهب يدرك بالحواس والعقل ولا يحتاج إلى استدلال، على عكس البيان الخفي أو الباطن الّذي يستدعي الاستدلال عليه بوجوه مختلفة؛ أي أنّه يحتاج إلى أدلّة وبراهين لأنّ العقول اختلفت في تأويله وإثباته.

كما ذهب ابن وهب إلى أنّ بيان الاعتبار يتمّ عن طريق القياس، والّذي يصدر عن مقدّمات تؤدّي إلى نتائج، تتمثّل في البرهان والإقناع والمغالطة، ويتمّ كذلك عن طريق الخبر، والّذي ينقسم بدوره إلى يقين لا يحتمل الشك، وتصديق، كما جعل ابن وهب لبيان الاعتبار وجها ثالثًا يتمثّل في الظنّ، والّذي لا نحتاج فيه إلى قياس أو خبر، بل يتمّ بإعمال العقل في التدبّر والتفكير للوصول إلى اليقين، فيكون للعقل دور في صحّة الأشياء الّتي تؤدّي به إلى الحقيقة، لأنّه بداية التّخمين للوصول إلى الحقائق.

أمّا بيان الاعتقاد عند ابن وهب: « فيحصلُ في القلبِ عندَ إعمال الفكر واللب» .[1] وهو ثلاثة أنواع: «حق لا شبهة فيه، علم مشتبه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه، ومنه باطل لا شكّ فيه».[2]

وأمّا بيان العبارة فقد خصّص له ابن وهب أوسع أبواب الكتاب، وهو عنده بيان اللّسان أو بيان القول، وبيان العبارة صنفان: «بيان ظاهر لا يحتاج إلى تفسير، وبيان باطن يتوصّل إليه بالقياس والنّظر والاستدلال والخبر».[3]

وأخيرا وقف ابن وهب عند بيان الكتاب، إذ اعتبره أبقى أثرا، وهو لا يقتصر عنده على الشّاهد، بل يعمّ نفعه الشّاهد والغائب، وقد صنّف ابن وهب هذا البيان باعتبار المختصّين في كل فنّ منه إلى خمسة أصناف: كاتب خط وكاتب لفظ وكاتب عقد (الحساب) وكاتب حكم وكاتب تدبير(...).[4]

---

[1] الكاتب ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص56.

[2] المرجع السابق، ص86.

[3] المرجع نفسه، ص92.

[4] عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص69.

2- البعد الإقناعي لبيان ابن وهب.

خصّص ابن وهب في مقدّمة كتابه حديثا مطوّلا عن العقل والتّنويه به: «فالعقل والبيان عنده متكاملان ومتداخلان».[1] والبيان عنده ناتج عن عمليّات عقليّة، ورأى أنّ هناك بيان يدرك بإعمال العقل والحواس، وهو بيان الاعتبار الّذي يبين عن الأشياء وعجيب خلق الله، فيتركّز في نفوسهم ليصبح اعتقادًا، فالمتفكّر يكون عالمًا بمعاني الأشياء، كما خلق اللّسان وأنطق بالبيان وهذا عن طريق بيان العبارة، وبيان الكتاب الّذي تتغيّر فيه الألسن وتبقى الأشياء ثابتة.[2] فابن وهب لم يفصل بين العقل والبيان، ووظائف البيان عنده هي:

1 - وظيفة إخباريّة معرفيّة تعليميّة: إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام. (حالة حياد).

2 - وظيفة تأثيريّة: تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب(حالة الاختلاف).

3 - الوظيفة الحجاجيّة: إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار(حالة الخصام).[3]

ونستنتج ممّا سبق أنّ ابن وهب، اهتمّ في مشروعه البياني بالقياس والاستدلال وبعدهما الحجاجي، وخاصيّة التّفاعل بين المتخاطبين من خلال التّحاور. ويتجلّى لنا ذلك من خلال تعريفه للجدل والمجادلة: « فهما قول يقصد به إقامة الحجّة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين».[4] واهتم كذلك في مشروعه البلاغي بالسّبل والأدلّة الحجاجيّة، الّتي تسعى للبحث عن الحقيقة، فدعا إلى ضرورة خلوّ المقدّمات من الأقيسة الخاطئة الّتي تؤدّي إلى نتائج خاطئة، من أجل الوصول إلى المعرفة والبيان، والّتي تتحقّق عند إعمال العقل وتطبيق قواعد القياس والاستدلال في إدراك المعرفة والابتعاد عن المماراة.

---

[1] عبد الكريم كواز، البلاغة والنقد(المصطلح والنشأة والتجديد)، ص69.

[2] محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص212.

[3] المرجع السابق، ص 212.

[4] عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص72.

3-3 السكّاكي وبلاغة الاستدلال.

1- الحجاج عند السكّاكي.

يقول السكّاكي(ت626ه) في مقدّمة كتابه ونورد النصّ على طوله: « وقد ضمّنتُ كتابيَ هذا من أنواعِ الأدبِ، دونَ نوعِ اللّغةِ ما رأيتهُ لابدَّ منهُ، وهي عدّةُ أنواعٍ متآخذةٍ، فأودعتُهُ علمَ الصّرفِ بتمامِهِ، وأنّه لا يتمّ إلاّ بعلمِ الاشتقاقِ المتنوّعِ إلى أنواعهِ الثّلاثة، وقد كُشفَ عنها القناعُ، وأوردتُ علمَ النحوِ بتمامِهِ، وتمامهِ بعلمي المعانِي والبيانِ، ولقد قضيتُ بتوفيق الله منهما الوطرَ، ولمّا كان تمام علم المعاني بعلمي الحدِّ والاستدلالِ، لم أر بدًّا من التسمُّحِ بهما، وحين كان التدرّبُ في علمي المعانِي والبيانِ موقوفاً على ممارسةِ بابِ النظمِ وبابِ النثرِ ورأيتُ صاحبَ النظمِ يفتقرُ إلى علمي العروض والقوافي، تبنّيتُ عنانَ القلمِ إلى إيرادهِمَا، وما ضمّنتُ جميعَ ذلك كتابيَ هذا إلاَّ بعدَ ما ميّزتُ البعضَ عن البعضِ التّمييزَ المناسبَ، ولخّصتُ الكلامَ على حسبِ مقتضَى المقامِ هنالكَ، ومهّدتُ لكلٍّ منْ ذلكَ أصولاً لائقةً، وأوردتُ حججًا مناسبةً، وقرّرتُ ما صادفتُ من آراءِ السلفِ(...)».[1]

من خلال هذه المقدّمة يتبيّن لنا أنّ السكاكي، خصّص بابا للاستدلال في كتاب موضوعه"علم الأدب"، وهو علم غرضه الاحتراز عن الخطأ في كلام العرب، أمّا مادّته فهي الصرف واللّغة والنحو والبلاغة، كما اعتنى بالنظم، نظم الشعر لتمييز المنظوم من المنثور.

وعليه فإنّ كتاب"مفتاح العلوم" للسكّاكي، يعتبر بالنّسبة للدّراسات البيانيّة بمثابة "الأورغانون"، على حدّ تعبير محمد عابد الجابري، كما تجمع جلّ الدّراسات أنّ البلاغة العربيّة بلغت ذروتها مع السكاكّي، حيث جمع بين علوم البلاغة والمنطق، وهي علاقة أساسها انتماء الجزء(وهو المنطق) إلى الكل(وهو البلاغة)، على نحو يجعل منها علما شاملا للخطابات جميعا، ويستقطب الخطاب الاستدلالي.

[1] السكّاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم. ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص6.

2- الاستدلال في بلاغة السكاكي.

يقول محمّد العمري: « لقد جعل السكّاكي المعاني والبيان تتميما للنّحو، ثم انتبه إلى أنّ المعاني قائمة على علم الحدّ والاستدلال، فخاض فيها تكميلا لمراده، (...) وجعل النّحو والاستدلال في خدمة طرف ثالث موجود بينهما، هو علم المعاني مكمّلا بعلم البيان».[1]

كما أنّ البيان يقع عنده: «ما بين الشعر والمنطق وبين وظيفة التّخييل ووظيفة المعرفة والاستدلال(...)، أمّا المعاني فتقع بين النّحو والمنطق مجالها التّطبيقي المثالي؛ أي الخطاب الإقناعي المرتبط بمقامات ملموسة محدّدة تساهم في تشكيل الخطاب».[2] يقول السكّاكي متحدثا عن الاستدلال: « وعندكَ علمٌ أنَّ مقامَ الاستدلالِ بالنّسبةِ إلى سائرِ مقاماتِ الكلامِ جزءٌ واحدٌ من جملتِهَا، وشعبةً فُردةً من دوحتِهَا، علمتَ أنَّ تتبّعَ تراكيبَ الكلامِ الاستدلالِي، ومعرفة خواصِّهَا ممّا يلزمُ صاحبَ علمَ المعانِي والبيان ».[3]

ومن خلال المقولات السّابقة يتّضح لنا أنّ السكّاكي أسّس مشروعه البلاغي على المعرفة والاستدلال، وأنّ علم المعاني والبيان عنده هو معرفة خواص تراكيب الكلام أي(النّحو)، وكيفيّة صياغة المعاني الّتي تتناسب مع المقامات، فعلمي المعاني والبيان يستقطبهما علم النّحو، كما يخضعهما إلى المنطق الّذي يبنى على الحدّ والاستدلال.

---

[1] محمد العمري، البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، ص483.

[2] المرجع السابق، ص489.

[3] السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ص432.

3- المقام ودوره في الإقناع.

يقول السكّاكي في هذا الصدد: «مقاماتُ الكلامِ متفاوتة، فمقامُ الشكرِ يباينُ مقامِ الشّكايةِ، ومقامُ التّهنئةِ يباينُ مقامِ التعزيةِ، ومقامُ المدحِ يباينُ مقامِ الذمِّ، ومقامُ التّرغيبِ يباينُ مقامَ التّرهيبِ... ولكلٍّ من ذلكَ مقتضَى غير مقتضَى الآخر». [1]

كما رأى السكاكي أنّ للكلام وظيفته في تحديد نوع المقام، حيث يقول:« ثمَّ إذَا شرعتَ في الكلامِ، فلكلِّ كلمةٍ معَ صاحبتِهَا مقامٌ، ولكلِّ حدٍّ ينتهِي إليهِ الكلامُ مقامٌ، وارتفاعُ شأنِ الكلامِ من بابِ الحسنِ والقبولِ، وانحطاطِهِ في ذلك بحسبِ مصادقةِ الكلامِ لما يليق بهِ، وهو الّذِي نسمِّيه مقتضَى الحال».[2]

يميّز السكاكي في هذا النص، بين "مقتضى الحال" و"مقام الكلام"، فمقام الكلام هو الأغراض الّتي يساق لها الكلام، سواء كانت أفعالا قوليّة: كالتشكّر والشّكاية والتعزية، أو أفعال تأثير بالقول: كالترغيب والترهيب. ولهذا فإنّ نجاح عمليّة الإقناع مرتبط بمراعاة المقامات، فهي الأساس الّذي تستند إليه العمليّة التواصليّة في تحقيقها لأهدافها، ويتحدّد البعد الإقناعي عند السكّاكي بطبيعة المقام ومدى خضوعها لمقتضى الحال، لأنّ الكلام ينبغي أن يتوافق مع السّياقات الّتي يرد فيها لحظة التلفّظ به.

وأشار السكاكي كذلك إلى دور المتكلّم والمخاطب في نجاح العمليّة التّخاطبيّة، حيث يقول:« منَ المعلومِ أنَّ حكمَ العقلِ حالَ إطلاقِ اللّسانِ، هوَ أنْ يقرعَ المتكلُّم فيِ قالبِ الإفادةِ ما ينطقُ بهِ تحاشيًا عن وصمةِ اللّاغيةِ، فإذَا اندفعَ في الكلامِ مخبرًا، لزمَ أنْ يكونَ قصدُهُ فِي حكمِهِ بالمسندِ للمسندِ إليهِ فِي خبرِهِ، ذاكَ إفادتُه للمخاطبِ، متعاطيًا منَاطَهَا بقدرِ الافتقارِ».[3]

استنادا إلى ما سبق، نلاحظ أنّ السكّاكي يركّز على قدرة المتكلّم في تحقيق الإفادة من كلامه الإخباري، لكي يتسنّى للمخاطب أو المستمع استظهار مقصديّة الكلام، فقسّم الخبر إلى: ابتدائي وإنكاري وطلبي محدّدا أنواع المتلقّين لهذا الخبر.

---

[1] السكّاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ص168.

[2] المرجع السابق، ص168.

[3] المرجع نفسه، ص170.

يتّضح لنا أنّ البلاغيين العرب من مثل: الجاحظ وابن وهب والسكّاكي، كان لهم الفضل في بلورة مباحث وأقوال تدخل ضمن اللّسانيّات التداوليّة ونظريّات التّواصل، وذلك من خلال البلاغة الّتي تبحث في كيفيّات التّأثير في الآخر وإقناعه، وبيان المقاصد الّتي يسعى إليها كل من السامع والمخاطِب، فالبلاغة تنطلق من المتكلّم وقصده من كلامه، وما يجب أن يتوفّر فيه من شروط حتّى يكون بليغا، لتتّجه نحو المستمع وقدرته على استجلاء فحوى الخطاب. لذا اكتسبت بلاغة الجاحظ منحا تداوليا، في حين نحت بلاغة ابن وهب منحا حجاجيّا، لتصل إلى السكّاكي المتكلّم المعتزلي، الّذي دافع عن بلاغة مقصديّة ومقاميّة تقوم على الاستدلال. كانت هذه رؤية البلاغة العربيّة القديمة للحجاج. فما هي توجّهات البلاغة الجديدة؟

الفصل النظري: الحجاج:

مفهومه وأنواعه ونظرياته

وآلياته

- **تمهيد:**

تعدّ نظريّة الحجاج من بين النظريّات الّتي تهتمّ بها التداولية، إلى جانب نظريّة الأفعال الكلاميّة ونظريّة التّلفظ، فالحجاج يركّز على الإنتاج القولي في عمقه لمعرفة مقامات التّواصل في شروطها، وتقبّل الكلام الإقناعي في آليّاته، (فهم، تأويل... ردود أفعال)، لذا فإنّ مشروعيّته جعلته موضوعا دقيقا، ومنطقا اتّخذ من اللّغة حيّزا من أجل التّأثير والإقناع في الغير، وبذلك تجاوز الخطابة إلى غيرها من المجالات: كالسّياسة والإشهار والسّوق التجاريّة...

وعليه سنتطرق إلى المفاهيم الخاصّة بالحجاج وعلاقته بالإقناع، وعلاقة الدّليل بالحجّة، كما سنتطرق إلى النظريّات الّتي برزت في هذا الاتّجاه، كنظرية البلاغة الجديدة والحجاج في اللّغة ونظريّة المساءلة ونظريّة تولمن، ثمّ سنتعرض إلى أنواع الخطابات الحجاجيّة الّتي تتنوع بين خطابات بلاغيّة وتداوليّة وفلسفيّة، مع الخصائص المميّزة لكلّ منهما، وفي الأخير سنتحدث عن الآليّات الّتي تتمّ بها عمليّة الإقناع.

أوّلا: مفهوم الحجاج:" l'argumentation"

1- المعنى اللغوي:

ورد في أساس البلاغة في مادة حجج:« احتجّ على خصمه بحجّة شهباء وبحجج شهب وحاجّ خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجّة وملاجّة».[1] وفي لسان العرب:« الحجّة: الدليل والبرهان، وقيل: الحجّة: ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجّة: الوجه الّذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاجٌ؛ جدل والتحاج: التّخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج، وحاجّه محاجّة وحجاجا، نازعه بالحجة».[2] وفي القاموس المحيط:[3] المحجاجُ الجَدِلُ، وفي المعجم الوسيط:[4] وردت اللّفظتين الحجاج والجدل على أنّهما مترادفين، والمحجاج هو الّذي يكثر الجدل.

من خلال هذه المعاني اللّغوية، يتّضح أنّ مفهوم الحجاج يكون في معنى الخصومة، ويفيد الجدال بين طرفين، ويتمّ ذلك بتقديم الحجج والبراهين.

2- المعنى الاصطلاحي:

إنّ الخطاب الحجاجي ميدان ثري للدّراسات المتنوّعة، نظرا لتعالقه مع مجالات معرفيّة من فلسفة ومنطق وخطابة وقضاء، لذا فإنّ محاولة تحديد مفهوم عام وشامل له يعدّ أمرا في غاية الصعوبة.

يعرّفه طه عبد الرّحمان بقوله: «هو كل منطوق موجّه به إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها».[5]

---

[1] الزمخشري محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السّود منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ج1، مادة حجج، ط1، 1998، ص169.

[2] ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج4، مادّة حجج، ط1، ص38.

[3] الفيروز أبادي مجد الدّين، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، نسخة مصوّرة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية، ج1، 1980، ص181.

[4] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مجمع اللّغة العربيّة، ج1، ج2، حجج، ط2، 1972، ص200.

[5] طه عبد الرحمان، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص226.

ويعرّف "الشهري" الحجاج بقوله: «هو ممارسة لفظيّة اجتماعية عقليّة، تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبوليّة الموقف، وذلك بصياغة مجموعة تراكميّة من القضايا الّتي تبرّر الدّعوى المعبّر عنها في الموقف أو تدحضها».[1]

إنّ هذان التّعريفان يحصران الحجاج في الجانب المنطوق فقط، غير أنّنا نجد بعض الخطابات المكتوبة الّتي تحمل في طيّاتها سمات حجاجيّة، وذلك من أجل الدّفاع عن أفكار معينة أو الردّ عليها، ويمكن التّمثيل بالنّص القرآني بالإضافة إلى ملصقات أو صور أو لوحات إشهاريّة أو دواوين شعريّة....

ويعرّف بيار أوليرون "Pierre Oléron" الخطاب الحجاجي:« بأنّه يوجّه إلى شخص أو مجموعة من الأشخاص المستمعين، وذلك بحملهم على تقبّل وضعيّة ما، عن طريق تقديم مجموعة من الأدلّة والحجج من أجل الدّفاع عن رأي سواء بإثباته أو دحضه».[2] كما أنّ الحجاج نفسه يحكمه السياق الّذي يتنزّل فيه:« فالمحاجج عليه أن يؤمن بموضوعه على نحو جاد، ويجب أن تهيمن الرغبة في تبادل الأفكار والمشاعر مع متلقّيه على كل شيء آخر» .[3] فممارسة الحجاج الفعليّة خاضعة للأبعاد السياقيّة بالإضافة إلى الأبعاد المنطقيّة واللّغوية، لأنّ الخطاب الحجاجي بوصفه ممارسة، ناتج عن تفعيل الكفاءة الحجاجية في الإطار التواصلي العام.

لذا فإنّ مفاهيم الحجاج نسبيّة ومتعدّدة تختلف باختلاف المقولات والمرجعيّات الّتي تنبثق منها، فالحجاج يتعلّق بكل مظاهر التّواصل وذلك لتحقيق التأثير في الآخر، فهو حاضر في جميع المجالات وفي هذا الصّدد يقول بيار أوليرون "Pierre Oléron":

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليّات الحجاج وأدواته، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، حدود وتعريفات، ص76.

[2] النص في لغته الأصلية:

«L'argumentation peut etre définie de différentes manières .Nous adopterons la definition suivante: démarche par laquelle une personne –ou un groupe- entreprend d'amener un auditoire à adopter une position par le recours à des presentations ou assertions -arguments- qui visent à en montrer la validité ou le bien- fondé ».
-Pierre Oléron, l'argumentation, « Que sais-je », Presses universitaires de France, 5é édition, paris, 2001, p 3.

[3] محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص11.

« إنّ الأحداث والأخبار الّتي نصفها، والصّور الّتي نقدّمها أو نجدها معروضة تشكّل حججا غير ظاهرة تدعّم الأطروحات الّتي ندافع عنها، حتّى وإن كانت هذه الأطروحات خفيّة».[1]

كما يرى الأستاذ "طه عبد الرحمان" أنّ حدّ الحجاج:« ذو فاعليّة تداوليّة جدليّة، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي،(...) وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلاليّة أوسع وأغنى من البنيات البرهانيّة الضيّقة».[2] يهدف الحجاج إذن إلى الإقناع أو الاعتراض عن أطروحة ما، ويحتكم إلى سياق معين (السياق الّذي ينتجه)، لهذا تستقطبه كلّ من التداوليّة على اعتبار أنّ إنتاجه يتطلّب ظروف مقاميّة وحيثيات وملابسات مختلفة، كما يقوم على الجدل القائم بدوره على الاستدلال، والّذي يهدف إلى الإقناع.

إنّ هذه الخاصيّة التفاعليّة الّتي يتميّز بها الحجاج كونه جدلي وتداولي جعله أوسع من البرهان، لأنّه يحوي الكثير من المقدّمات الّتي تؤدّي إلى نتائج حتميّة فهو يمثّل: «مجالاً من النّشاط اللّغوي».[3]

هناك مجموعة من المفاهيم تلتبس بمفهوم الحجاج، كالبرهنة والاستدلال لذلك نجد أوزوالد ديكرو"O.Ducrot" يميّز بين البرهنة اللّسانية والحجاج:« فدراسة البرهنة اللّسانية يجب أن تقارن باللّغات الشّكليّة (...) أمّا دراسة الحجاج فتتمثّل وظيفته في توجيه باقي الخطاب فهو يمثّل طريقة للفعل في الآخر؛ (المحاور) أو المرسل إليه».[4]

---

[1] النص في لغته الأصلية:

« Et même la description d'événements, voire la presentation d'images sont parfois des arguments implicites en faveur de theses que l'habileté de leurs défenseurs conduit ici à ne pas démasquer davantage ».

− Pierre Oléron, l'argumentation, p 4.

[2] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص65.

[3] باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب(عن كتاب نحو المعنى والمبنى). تر: أحمد الوردني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص6.

[4] المرجع السابق، ص 8.

في حين نجد أنّ غرايس"J .P.Grize" يقابل بين الاستدلال والحجاج حيث يرى أنّ الاستدلال:«لا يمكن أن يضع في اعتباره"المقام المحسوس" للفاعل القائم بالبرهنة وللجمهور الّذي يتوجّه إليه... ، في حين أنّ الحجاج، والّذي يسمّيه منطقا طبيعيا يضع في اعتباره السياق وفواعل التّواصل، وهو بذلك يحتوي على عمليّات أخرى تتجاوز الاستدلال الخالص».[1]

ومن خلال ما تمّ عرضه، يتّضح أنّ ديكرو سعى إلى إخضاع اللّغة لمقتضيات المنطق(البرهان اللّساني)، في حين رأى غرايس، أنّ الحجاج ذو بعد تواصلي وتفاعلي للتأثير في الآخر، فتوجّه كل من أوزوالد ديكرو وغرايس نحو الحجاج هو توجه قائم على أنّ الحجاج يتجاوز البرهنة والاستدلال، وتدخل فيه عمليّات أخرى: كالسياق والفاعلين (أطراف الحجاج).

ثانيا: الإقناع" persuasion ".

يعرّف" حازم القرطاجني" الإقناع في معرض حديثه عن مواقع المعاني في النفوس بقوله:« هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده، أو التخلّي عن فعله واعتقاده».[2] فالإقناع عنده يكون إمّا بتسليم النفوس على قبول شيء ما أو رفضه، مع شرط الاعتقاد؛ أي أنّ الإقناع حسب القرطاجني هو عمليّة مزدوجة تجمع بين ما هو نفسي وعقلي، هذا من منظور لغوي.

ومن منظور لساني يعرّف: « على أنّه أحد طرفي العلاقة بين رسالة هادفة إلى توجيه الفكر أو الاعتقاد، وطرفها الآخر هو الاقتناع، وهذان الطرفان متلازمان وجودا وعدما فلا وجود للاقتناع دون وجود الإقناع، أمّا إذا لم يقنع المستقبل بمضمون الرّسالة فلا يصح أن نصف عمل الباث أو المرسل بأنّه إقناع، وعليه لا اقتناع بدون إقناع، ولا يسمّى الفعل مقنعا إذا لم يؤدّي إلى حدوث اقتناع ».[3]

---

[1] باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب(عن كتاب نحو المعنى والمبنى). تر: أحمد الوردني، ص8.

[2] القرطاجني حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تح: محمد الحبيب خوجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3، 1986، ص19.

[3] سمير شريف استيتيه، اللّسانيات(المجال والوظيفة والمنهج)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط2، 2008، ص700-701.

يتحدّد الإقناع من هذا المنظور بكونه رسالة ذات وجهين، وجهها الأوّل الإقناع، ووجهها الثاني الاقتناع؛ أي اقتناع المرسل إليه بمضمون الرّسالة، وإلاّ تعذّر القول بأنّ المرسل يريد الإقناع.

ويعرّف من منظور أسلوبي:« أنّه شحنة منطقيّة يحاول بها المخاطب حمل مخاطبه على التسليم الوضعي بمدلول رسالته، ثمّ إنّها تشمل معنى الإمتاع، باعتباره سعيا حثيثا نحو جعل الكلام قناة تعبره المواصفات التعاطفيّة، فينطفئ عندئذ الجدول المنطقي العقلاني في الخطاب وتحلّ محلّه نفثات الارتياح الوجداني، وتستقطب أخيرا فكرة الإثارة وبموجبها يكون الخطاب عامل استفزاز يحرّك في المتقبّل نوازع ورود فعل ما كان لها أن تستفز بمجرّد مضمون الرّسالة الدلاليّة».[1]

يقدّم لنا هذا التّعريف كيفيّة حدوث عمليّة الإقناع، فهو شحنة منطقيّة محمّلة برسالة دالّة توجّه إلى المخاطِب، تنتج عنها ردود أفعال بمجرّد استقبال الرّسالة وتحليلها، ويتحدّد الإقناع بعمليّة ردّة الفعل. فيما يحدّد هنريش بليث" Heinrich f. plett" الوظيفة الإقناعيّة والّتي تتمثّل في:« قصد المتحدّث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي».[2]

تتّفق هذه التعاريف، على أنّ عمليّة الإقناع تتمّ بين طرفين من أجل إيصال رسالة هادفة لتغيير موقف فكري أو نفسي، فهو بمثابة نشاط عقلي يستهدف التأثير العقلي والوجداني ويكون عن طريق تبني موقف ما إيجابا أو سلبا. إذا كان الحجاج والإقناع يهدفان إلى التأثير في المتلقي. فما طبيعة العلاقة بينهما؟

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوبيّة والأسلوب، الدار العربيّة للكتاب، ط3، ص81-82.

[2] هنريش بليث، البلاغة والأسلوبيّة (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص). تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص102.

- **العلاقة بين الحجاج والإقناع.**

يوضّح لنا الجدول الآتي العلاقة بين" الحجاج والإقناع ".[1] والّتي تتمثّل فيما يلي:

الإقناع	الحجاج
حالة عقليّة مرتبطة بفعل الخطاب.	منطوق يوجّه به إلى الغير.
ناتج عن أثر الفعل بالقول.	خطاب منطقي.
تغيير موقف فكري أو عاطفي عند المتلقي.	حواري فردي وعقلي.
ناتج عن مسارات عامّة للتأثير.	نشاط لغوي واجتماعي.
يكون بوسائل لغوية أو غير ذلك.	حقيقة نسبيّة وذاتيّة.
تبني موقف إيجابا أو سلبا.	يرتبط بالمقام.
لا يدع مجالا لإعمال العقل وحرية الاختيار.	جمهور كوني أو خاص، أو شخص واحد يحاوره الخطيب ويهدف إلى تغيير تمثّلات المخاطب.

نلمس من خلال هذا الجدول أوجه الاختلاف بين الإقناع والحجاج، فإذا قلنا أنّ هناك اختلاف هذا لا يعني أنّ لا علاقة بينهما، لأنّ الهدف من الحجاج هو التأثير والإقناع، ويرى أوستين فريلي"Austin freely": « أنّ الحجاج والإقناع جزئين من عمليّة واحدة، ولا اختلاف بينهما إلاّ في درجة التوكيد».[2] فنحن نحاجج لكي نقنع، وذلك

[1] ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال"مصنف في الحجاج" الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف: حمادي صمود، ص300-301. وينظر: باتريك شارودو ودومينيك مانغنو، معجم تحليل الخطاب. تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص68-69، ص419.

[2] محمد العبد، النص والخطاب والاتّصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005، ص191.

بتقديم الأدلّة والحجج والبراهين، لذا فإنّ كل نص حجاجي نصا إقناعيا بالضرورة، وليس كل نص إقناعي نصا حجاجيا، فالحجاج أعم من الإقناع، والعلاقة بينهما علاقة متداخلة ومتكاملة تحدّدها طبيعة النص ووظيفته.

ثالثا: الحجّة والدّليل.

يذهب الجرجاني في كتابه" التعريفات"، على أنّه لا فرق بين الدّليل والحجّة ويعرّف الحجّة بقوله:« هي ما دلّ به على صحّة الدعوى، وقيل الحجّة والدّليل واحد».[1]

كما يفرّق الباحث" حافظ إسماعيل علوي" بين الحجّة والدّليل، بحيث تعرّف الحجّة على أنّها استدلال موجّه لتأكيد قضيّة معيّنة أو دحضها أو تفنيدها، ويعرّف الدّليل:على أنّه عمليّة توجّه التفكير بصورة يقينيّة ومقنعة، وبذلك يتّخذ الدّليل صورة الاستدلال، تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدّمات الّتي انطلقت منها، ويحيل الدّليل من جهة أخرى على الواقع ليأخذ من ثمّة مضمونا ماديّا، تصبح بموجبه الوقائع والأحداث والوثائق بمثابة أدلّة، ويتميّز الدّليل عن الأشكال الأخرى للاستدلال بميزة الحقيقة، إذ أنّ كل ما يحمل عليه يعتبر في غالب الأحيان حقيقيا.[2]

في حين يميّز الباحث" طه عبد الرحمان" بينهما، فرأى أنّ هناك ميزتين تختّص بهما الحجّة دون الدّليل: وهي أنّ الحجّة تفيد" الرّجوع أو القصد"، كما تفيد" الغلبة"، ويتبيّن من هذا المعنى أن الحجّة ترد في سياق الجدل والمناظرة، أمّا الدّليل فيقصد للعمل به، ولتحصيل الغلبة على الخصم مع نصرة الحق أو نصرة الشبهة، وبهذا يكون الدّليل أعم من الحجّة فلا يقصد للعمل به فحسب، بل قد يوضع لمجرّد النّظر فيه كما لا يؤتى به في موطن الردّ على الخصم فقط، بل قد يبنى في موطن مستقل عن أي خصومة.[3]

---

[1] الجرجاني الشريف، التّعريفات. تح: إبراهيم الأنباري، دار اللسان العربي، بيروت، لبنان، د.ط،1992، ص73.

[2] حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته(دراسة نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة). التقديم، ج1، حدود وتعريفات، ص3.

[3] طه عبد الرحمان، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص137.

ويوسّع الباحث "طه عبد الرحمان" من معاني الحجّة لتشمل الإثبات، لأنّ كلّ قول ينبغي أن نثبته ليصير حجّة. كما أنّ الحجّة ينبغي أن تتكوّن من دعوى أو نتيجة بالإضافة إلى مقدّمة، وكل قول ولو كان لفظا واحدا هو حجّة دخل الحذف على بعض عناصرها لاعتبارات سياقيّة أو مقاميّة.[1] وعليه « فالحجّة تستدعي حجّة مؤيّدة أو مضادّة، والدّليل يفضي إلى نتيجة والنتيجة تفضي إلى دليل آخر».[2]

من خلال ما سبق، يتّضح أنّ هناك من يستخدم الحجّة والدّليل على أنّهما مترادفين، في حين فرّق الباحث" حافظ إسماعيل علوي" بين الحجة والدّليل، فالدّليل أشمل من الحجة ويعدّ أغنى مضمونا من صور الاستدلال الأخرى، كما أنّه يتميّز كذلك بصفة الحقيقة.

ويرى الباحث" طه عبد الرحمان"، أنّ الدّليل أعم من الحجّة كونه يتضمّن مقصديّة العمل ونتيجته، ويكون في موضع خصومة أو غيرها، كما أنّ كل حجّة ينبغي أن تدعّم بإثبات أو دليل للبرهنة على مدى صحّتها أو بطلانها. نستنتج من خلال هذا التفريق أنّ الحجّة توجّه لإثبات أطروحة معيّنة أو دحضها، باستخدام الدّليل الّذي يحدّد صدق الحجّة أو كذبها.

رابعا: نظريات الحجاج الحديثة.

4-1- البلاغة الجديدة: بيرلمان وتيتيكاه.

شكّل كتاب مصنّف في الحجاج، البلاغة الجديدة" Traité de l'argumentation, La nouvelle rhétorique" الّذي نشر عام 1958، ثم 1970، لمؤلّفيه الفيلسوف والقانوني البلجيكي الأستاذ في جامعة بروكسل" شايم بيرلمان" (1912-1984)"Chaïm Perleman" بمشاركة لوسي ألبريتش تيتيكاه" Lucie Olbrechts Tyteca" اهتماما كبيرا بالبلاغة، فقد أعيد نشره وترجمته أكثر من مرّة.

[1] طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د.ط، د.ت، ص5.

[2] أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسّسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2010، ص19.

إنّ مفهوم" البلاغة الجديدة"، هي العنوان الفرعي للكتاب بالتقليد الأرسطي وتقوم بتحديثه، هذه البلاغة الجديدة،« تدخل في عمليّة قطيعة مع المنطق البرهاني وفلسفة الوضوح على الطريقة الديكارتية، وذلك لفتح المجال أمام منطق حجاجي غير رياضي».[1]

ويحدّد بيرلمان موضوعه قائلا:« إنّنا نقدمها باعتبارها بلاغة جديدة، وهناك أسباب عديدة دعتنا لتفصيل المقاربة البلاغيّة، أوّلها اللّبس الّذي تؤدّي إليه عودتنا إلى أرسطو،(...) والسبب الآخر وهو يرتبط بالرّوح ذاتها الّتي جعلت الأقدمين يقرنون الجدل بالبلاغة».[2]

ويقول بيرلمان:« نحن نبحث عن صياغة تحليل للوسائل الإقناعية، الّتي تخدم العلوم الإنسانية: القانون والفلسفة، نحن نختبر الحجج، الإشهار المعروض في الجرائد، والحجج الّتي يستخدمها السياسيون في خطاباتهم، والمحامون في مرافعاتهم، والقضاة في جلساتهم، والفلاسفة في مصّنفاتهم».[3] فجعل مهمّة نظريته هي« استعراض الأطروحات المتناقضة والمتعارضة ذهنيا واستجلاء منطلقاتها المنطقيّة والاستدلاليّة، لمعرفة طابعها الإقناعي».[4]

---

[1] فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريّات الحجاج. تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النّشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدّة، ط1، 2011، ص41.

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص67.

[3] النص في لغته الأصلية:

« Nous chercherons à la construire en analysant les moyens de preuve dont se servent les science humaines, le droit et la philosophie, nous examinerons des argumentations présentées par des publicistes dans leurs journaux, par des politiciens dans leurs discours, par des avocats dans leurs plaidoiries, par des juges dans leur attendus, par des philosophes dans leurs traités ».

- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts Tyteca, traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, éditions de l'université de Bruxelles, 5eme éd, 1988. P13.

[4] جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص30-31.

كما تهدف نظرية بيرلمان إلى:« دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بتغيير الاعتقادات وتجعلها تسلّم بالأطروحات المعروضة عليها».[1]

ومن خلال هذا الطرح يتّضح أنّ بيرلمان، أراد التأسيس لبلاغة جديدة قائمة على أنقاض البلاغة القديمة، حيث عمّم رؤيته للخطاب الحجاجي، لأنّ الحجاج يتعلّق بحقول معرفية متنوّعة، كالقضاء والقانون، كما اقتصر عمله على قراءة النصوص السياسية والفلسفية والقضائية من أجل البحث عن تمظهر الحجاج في الخطاب.

4-2 نظرية الحجاج عند بيرلمان"Perlema".

إنّ التصوّر الّذي قدّمه بيرلمان في مصنّفه يتعلّق بتوسيع مجال الحجاج، فالحجاج عنده يختصّ« بالبحث في المماثل و المعقول والمحتمل».[2]

ويرى" محمد الأمين الطلبة" أنّ بيرلمان، لا يولي اهتماما كبيرا لآليات التواصل اللّغوي المباشر والمألوف، أي ذلك التواصل الّذي يدور في إطار البديهي والمعتاد، ولكنّه يهتم بمظاهر جديدة من التواصل والتجاوب(في المكتوب، والمنطوق، والإشاري)، يكون فيها الهدف تأسيس بناء فكري عميق تندمج فيه أبعاد المتكلّم والسامع والمقام معا، بحيث يحمل المنتج الجديد الخصائص الجوهريّة لهذه المكوّنات الثلاثة.[3]

وعليه يمكن تعريف الحجاج عند بيرلمان على:« أنّه عمليّة تفاعليّة تسعى إلى إقناع الآخر، ومحاججته برهانيا وعقلانيا، عبر مجموعة من المسارات الحجاجيّة، واستكشاف ردود فعل المخاطَب تجاه الحجاج».[4]

---

[1] النّص في لغته الأصلية:

«L'objet de la théorie (de l'argumentation) come l'étude de techniques discursives permettant de provoquer ou d'accroitre l'adhésion des esprits aux thèses que l'on propose à leur assentiment».

- Christian Plantin, l'argumentation, Histoire, THéories Et Perspectives, Que Sais je?, Paris, 2005, P36.

[2] محمد سالم محمد الأمين طلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة. مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، مدارس و أعلام، ص183.

[3] المرجع السابق، ص184.

[4] جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص32.

4-3- ملامح الحجاج وخصائصه عند بيرلمان.

يتميز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح هي: [1]

- أن يتوجّه إلى مستمع.
- أن يعبّر عنه بلغة طبيعيّة.
- مسلّماته لا تعدو أن تكون احتماليّة.
-لا يفتقر تقدّمه إلى ضرورة منطقيّة.
- ليست نتائجه ملزمة.

كما حدّد لوظائف الحجاج الخصائص التالية: [2]

- الإقناع الفكري الخالص.
- الإعداد لقبول أطروحة ما.
- الدفع إلى الفعل.

4-4 الحجاج: البناء والمكوّنات.

يرى بيرلمان، أنّ المحاجج يبني خططه البرهانيّة على مجموعة التصوّرات، والفرضيّات، والمقدّمات، والّتي تشكّل في مجملها نقاط الانطلاق للحجاج" Points de départ de l'argumentation"، ومن أهم هذه المقدّمات:[3]

- الوقائع: "les faits "، فهي تمثّل كل ما هو مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع الناس، والتسليم بالواقع من قبل الفرد ليس إلاّ تجاوبا منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق، إذ الواقع يقتضي إجماعا كونيا.

- الحقائق: "realité"، يعمد إليها الخطيب والمحاجج، للربط بينها وبين الوقائع ليمنح حجاجه بداية قوية نافذة، فالحقائق تقوم على فكرة الربط بين الوقائع، وبذلك فهي تتأسس في الغالب على مفاهيم فلسفية ودينية وعلمية.

---

[1] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012، ص213.

[2] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، عالم الفكر، الكويت، ع2، المجلّد40، أكتوبر ديسمبر،2011، ص84.

[3] محمد سالم محمد الأمين طلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة. مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2: مدارس وأعلام، ص193.

- الافتراضات: "presomptions "، وإن كان مسلّما بها من قبل المعنيين سلفا، إلاّ أنّ التسليم القوي بها في إطار الخطاب لا يكون كذلك، ما لم يزوّد بأدلّة وأنساق برهانيّة تدعّمها، ثمّ إنّ الافتراضات ليست ثابتة بل هي متغيرة تبعا للوسط والمقام والمتكلّم والسامعين.

- القيم: "valeurs"، عنصر أساسي من عناصر الحجاج، وإلى البحث عنها يرجع بيرلمان الفضل أصلا في اهتمامه بنظرية الحجاج، وللقيم دور بارز في مجالات العلوم الإنسانية، إذ عليها يعتمد في تغيير مواقع السامعين ودفعهم إلى الفعل المطلوب.

إنّ القيم في نظر بيرلمان بمثابة قواعد حجاجيّة، ولها دور فعّال في بناء الثقة بين المتحاورين يقول:« نستند عليها لكي نحمل المخاطب على القيام بأفعال معيّنة بدل أخرى، كما أنّنا نستدعيها خصوصا من أجل تبرير تلك الأفعال بطريقة تجعلها مقبولة أو مؤيّدة من طرف الآخرين، فبالقيم نسطيع تشكيل الحقيقة المطلوبة على الوجه الّذي يريده المبدع».[1]

4-5 دور المقام في توظيف عناصر الحجاج.

يؤدّي المقام في التصوّر البيرلماني دورا بالغ الأهميّة في تشكيل عناصر الحجاج، بالإضافة إلى القصدية، لذا رأى بيرلمان أنّهما أساسيين لكل حجاج خطابي: « فالقصد يحدّد مجال التخاطب، ويحدّد طبيعة المخاطبين الّذين يستهدف المتكلّم التأثير فيهم باحتجاجه، أمّا المقام فيعتبره بيرلمان الإطار المحدّد للخطاب المستوعب لكل محتويات العمليّة الإبداعيّة ولكل المشاركين فيها، وتارة أخرى يعتبره تلك المقدّمات ذات النظام العام الّتي تساعد المبدعين في بناء الحجج وترتيب القيم».[2]

وإذا كانت البلاغة التقليديّة تجعل من الخطيب محور العمليّة الحجاجيّة، فإنّ بيرلمان يؤكّد على السامع أو المخاطب ويعرّفه بقوله:« هو المجموع الّذي يحاول الخطيب

[1] محمد سالم محمد الأمين طلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة. مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2: مدارس وأعلام، ص194.

[2] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، ص84.

التأثير فيه، عبر حجاجه، لكسب أو مضاعفة تعاطفه بشأن الأطروحات المقترحة للحصول على موافقته».[1]

إنّ غرض الحجاج عند بيرلمان، هو استمالة المستمع، ودفعه إلى الفعل؛ أي أنّ الحجاج يكون فكري وعملي في الوقت نفسه، كما أنّ العمليّة الحجاجيّة ينبغي أن تحكمها القصدية وتخضع لشروط المقام، فهما العنصران اللّذين تتحدّد بهما، ويمثّلان الإطار المرجعي لكل حجاج هادف إلى التأثير. إذا كان ما تمّ عرضه هو منطلقات النظريّة الحجاجيّة عند بيرلمان، فما هي الأساسيّات الّتي قامت عليها هذه النظريّة؟

4-6 أساسيّات البلاغة الجديدة.

1- الانتماء للنظرية الأرسطية.

يقول بيرلمان في هذا الصدد: « إن نظرية للحجاج من هذا القبيل توجه الذهن حين النظر إلى موضوعها إلى البلاغة القديمة، ولكنني إذ أعالجها من زاوية هموم عالم المنطق سأضطر لتقليص مباحثي من جانب وتوسيعها من جانب آخر».[2] فأراد أن يعطي للعقلانية الحجاجية« وضعا إبستمولوجيا قويا وتاما، بعيدا عن تصوّرها البسيط والخاطئ».[3] ورأى أنّ بلاغته« يمكن أن تكمّلها منهجيّات متخصّصة تتناسب مع نوع المتلقي ونوع المادّة المطروحة(...) فقد كان همّه فهم آليّة الفكر».[4]

نستنتج ممّا سبق، أنّ توجه بيرلمان المنطقي جعله يؤسّس بلاغته الجديدة من الخطابة الأرسطيّة، وذلك في سبيل بحثه عن منطق للقيم، فوسّع مبحثه من خلال التّمييز الّذي أقامه أرسطو بين نوعين من الاستدلال: الاستدلال التحليلي" raisonnement analytique"، والاستدلال الديالكتيكي"raisonnement dialectique"، حيث ارتبط الاستدلال التحليلي بالمنطق، أمّا الاستدلال الديالكتيكي، ينطلق من مقدّمات تؤدّي إلى استنباط أطروحات، لذا أراد بيرلمان بصنيعه هذا أن يحرّر الحجاج من هيمنة المنطق والجدل، وجعله بلاغة جديدة توجّه إلى كل المتلقين، ورأى أنّ موضوع الحجاج هو دراسة

---

[1] جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص32.

[2] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص70.

[3] فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص43.

[4] المرجع السابق، ص43.

الخطاب غير البرهاني، فالآليّة الّتي تبحث عنها بلاغة بيرلمان هي آليّة الفكر والمتمثّلة في الحجاج.

2- القطيعة مع ديكارت.

يقول بيرلمان:« إنّ فكرة الوضوح الّتي تعتبر صفة للعقل، هي الّتي يجب مناقشتها، إذ أردنا أن نقيم مكانا لنظريّة الحجاج تقرّ باستخدام العقل من أجل التحكّم في فعلنا ومن أجل ممارسة التأثير على أفعال الآخرين».[1]

يرفض بيرلمان تصوّر ديكارت للعقل والاستدلال، فأحدث بذلك قطيعة مع العقلانية الديكارتية الّتي تنحصر في البرهان، بالإضافة إلى أنّه اهتمّ بمسألة الاتّفاق المسبق موليا لقضية المتلقي أهمّية كبيرة.

4-7 تقنيات الحجاج عند بيرلمان.

تتمحور البلاغة الجديدة حول "تحليل تقنيات الحجاج" من جانبين:[2]

1- محور الخطاب: خاص ببنيات الحجاج الموضوعة موضع التنفيذ.

2- محور تأثير الخطاب على المتلقي: علاقة الخطاب بقصدية منتجه.

في الحالة الأولى تجري دراسة الحجج وتصنيفها، وفي الحالة الثانية تتم دراسة الموقف التواصلي، والّذي يمثل حدث الحجاج "acte d'argumenter". ويميّز بيرلمان بين أربع تقنيات للحجاج:

أولا: طرائق الوصل.

1 - الحجج شبه المنطقية: (القياس المضمر عند أرسطو). Quasi logique

وما تتميز به هذه الحجج، أنّها: « تشبه الطرائق الشكليّة والمنطقيّة والرياضية في البرهنة، وتعتمد البنى المنطقية في بناء استدلالها مثل: التناقض Contradiction والتماثل التام أو الجزئي Identité totale partielle، ومثل: قانون التعدية" la

[1] فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص44.

[2] المرجع السابق، ص46.

transtivité"، كما تعتمد الحجج شبه المنطقية العلاقات الرياضية مثل: علاقة الجزء بالكل، وعلاقة الأصغر بالأكبر، وعلاقة التواتر».[1]

تعتمد الحجج شبه المنطقية في برهنتها على الطرائق الشكلية والرياضية، وكذا العلاقات الرياضيّة، والّتي لها دور في بناء استدلال الحجج شبه المنطقية، كما أنّها شبيهة بما هو منطقي وتقوم على مبادئ المنطق.

أ- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية.

- التناقض وعدم الاتفاق: " Incompatibilité ".

التناقض"Contradiction"، هو أن تكون هناك قضيتان" Propositions" في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى.[2] ونقول عن قضيّتين أنّهما متناقضتين إذا كان هناك نفي تام لإحداهما كأن نقول حضر الأستاذ ولم يحضر، في حين ينتج التعارض عن طريق إقصاء أطروحة خاطئة.

- التماثل والحد في الحجاج.

ويقصد:« بالتماثل التام، الّذي مداره على التعريف "Définition " من حيث هو تعبير عن التماثل بين المعرَّف "Le définiens " والمعرّف" Le définien dum " مثل: الرجل، رجل(...)».[3]

ب- الحجج القائمة على العلاقة التبادلية:

Arguments de réciprocité

إنّ الحجج التبادليّة في صميمها حججا عكسية، فهي تحمل الحجّة ونقيضها من مثل قوله تعالى: ﴿ ويلٌ للمُطَففينَ الّذِينَ إذَا اكْتَالُوا علَى النّاسِ يستوفونَ وإذَا كَالُوهُمْ أوْ وَزَنُوهُمْ يُخسرون﴾.[سورة المطففين، الآية: 1-3]. وردت الحجج هنا في وضعيتين متناظرتين Symétriques.[4]

---

[1] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج" البلاغة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه". مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص325.

[2] المرجع السابق، ص325.

[3] المرجع نفسه، ص327.

[4] نفسه، ص328.

- **التّعدية: La transitivité**

تعدّ من الحجج العكسيّة:« فالسّمات الصّورية للتّعدية، قابلة للنقل إلى حقل الحجاج، وعبارة مثل:" أصدقاء أصدقائي هم أصدقائي" يمكن أن تعاد صياغتها وفق مبدأ شبه رياضي: " أعداء أصدقائي هم أعدائي" " أعداء أعدائي هم أصدقائي" وذلك إلى أن تقوم الاستثناءات الناتجة من السياق بعمليّة استرجاع للخاصّية غير الملزمة للصّيغة».[1]

- **المقارنة: La comparaison**

يعرّفها بيرلمان بقوله: « تعتبر حجة شبه منطقية، عندما لا ينتج عنها فكرة أو قياس فعلي، ولكن عندما يكون تأثيرها الإقناعي متشكلا من الفكرة الضمنيّة الّتي نستطيع عند اللّزوم دعم حكمها من خلال عمليّة تحكم، الأمر يتعلّق إذن: بمقارنة فعليّة كلمة بكلمة، وليس بداية قياس أو مثال بسيط».[2]

تستند الحجج شبه المنطقية إلى المنطق ومبادئه، بالإضافة إلى العلاقات الرياضية، وهي تشبه القياس وتعتمد على الفكر في استنباط الأحكام الّتي تؤدّي إلى الإقناع.

2- الحجج القائمة على بنية الواقع*.

رأى بيرلمان أنّ هناك حججا أخرى تقوم على بنية الواقع تنتج عن علاقات تقوم داخل الحجاج، وتمثّل مشروعيته.

---

[1] فيليب بروتون، جول جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص49.

[2] المرجع السابق، ص49.

* هي الحجج الّتي تقتضي ترابطا بين عناصر الواقع الّذي يرتكز إليه من أجل الحجاج، فاستخدام هذه الحجّة يعني إذا التوضيح بصورة جلية للرابط بين القضيّة الّتي يتم الدفاع عنها، وعنصرا مقبولا سلفا لدى المتلقي، هذا الرابط يجب أن يكون معطى مسبقا، ولا يتمّ خلقه وإيجاده عند الحاجة،(...) لذا ميّز بيرلمان"Perleman " بين صنفين من الحجج القائمة على بنية الواقع وفقا للرابط، حيث يمكن أن يكون هذا الرابط: رابط تتابع مثل: العلاقة بين السبب والنتيجة، أو رابط تعالق مثل: الحجة بالسلطة. المرجع نفسه، ص49.

أ- روابط التتابع: Les liaisons de succession

وتتمثّل في الرابط السببي:« إنّ استخدام الرابط السببي يسمح ببناء حجّة مستندة تماما إلى تعاضد في بنية الواقع».[1] إنّ روابط التتابع، روابط سببيّة تربط بين سبب الشيء ونتيجة، وهناك أنواع أخرى من الروابط يمكن استخدامها في الحجاج مثل: العلاقة بين الوسائل والغايات، كما تعدّ الحجة النفعية "argument pragmatique" ذات مشروعية كاملة في الحجاج فهي تربط قيمة السبب بقيمة نتائجه، وهي عناصر يرتكز عليها الحجاج.[2]

ب- روابط التعالق: Les liaisons de coexistence

تربط بين علاقات مختلفة، وتمثّل حقائق تنتمي لمستويات غير متساوية، مثل: العلاقة بين الشخص وأفعاله، وتعتبر الحجة بالسلطة"argument d'autorité " النموذج الأساس لرابط التعايش.[3]

ورأى بيرلمان أنّ هناك حججا تربط بين سبب ما ونتائجه، وحججا أخرى تربط بين الأشخاص وما يصدر عنهم، وهي في مجملها حجج شبه منطقية تعتمد النماذج والصيغ المنطقيّة والرياضيّة.

3- الحجج المؤسسة لبنية الواقع*:

---

[1] فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص51.

[2] المرجع السابق، ص50.

[3] المرجع نفسه، ص52.

* هي الحجج الّتي يتمّ فيها خلق الروابط وتشكيلها كالمثل، فالحجاج في هذه الحالة يقدّم رابطا غير مباشر بين عناصر من الواقع، وهذا يعني أنّ هذا الرابط ليس معطى مسبقا، وإنّما تعود إلى الخطيب المجازفة بتأسيسه، وتقديمه في علاقة ملائمة، كما أنّه هو الّذي يتحمّل مسؤولية فشل هذا الرابط عندما لا تتّضح ملاءمته؛ أي أنّه لم يكن رابطا مقنعا، أو أنّ المتلقي لا يقبل أن تتأسس هذه العلاقة، كما يعدّ الرابط جسرا بين المتلقي والرأي المقترح، لذا فإنّه يعيد بناء الواقع بإظهار العلاقات الغير ظاهرة، ويتمّ وصفها كمؤسسة لبنية الواقع، في مقابل أنواع الحجج السابقة الّتي ترتكز دفعة واحدة إلى واقع معترف به. وقد ميّز بيرلمان"Perleman "، بين نوعين من الروابط الّتي تؤسس الواقع، فهناك استدعاء الحالة الخاصّة: كالمثل والتبيين والنموذج، ومن جهة أخرى هناك الاستدلال بالمماثلة. نفسه ص52.

- **المثل:L'exemple**

إنّ الحجة المثل عند بيرلمان، تعتبر استدلالا كما عند أرسطو، وللدّقة يمكن القول إنّه استدلال استقرائي "Raisonnement par induction " يقول أرسطو: المثل شبيه بالاستقراء، والاستقراء مبدأ استدلالي.[1]

إذا كان الاستقراء هو الانتقال من الخاص إلى العام، فهو يشكّل أحد القواعد الّتي يرتكز عليها الحجاج، فهنا ننطلق من حالة خاصّة يقبلها المتلقي، لننتقل بعد ذلك إلى التعميم (تعميم القاعدة العامّة الّتي تحتوي الرأي المدافع عنه).

- **التبيين:L'illustration**

إنّ التبيين هو التمييز بين وصف الحالة الموجودة والحالة المتخيلة الّتي يتم اختراعها في اللحظة من أجل المناسبة.[2]

- **النموذج: Le modèle**

ويعرّفه بيرلمان بقوله: « هو مثال نقترحه لأنفسنا أو نقترح اتّباعه، وبهذا فإنّه يمثّل معيارا حتّى وإن كان حالة خاصّة».[3]

- **المماثلة: L'assimilation**

يقول بيرلمان:« يجب على كل دراسة مجملة للحجاج أن تعطي للمماثلة مكانها كدليل، وإنّ المماثلة هي إحدى خصائص التّواصل والاستدلال غير الصوري ».[4]

تعدّ المماثلة خاصّية استدلاليّة لها هدف حجاجي، وتقوم المماثلة على علاقة تربط بين الموضوع والمثيل، وتكون رابطة بين(أ) و(ب) في الموضوع وبين(ج) و(د) في المثيل، وعليه فهي تؤدّي دورا مهمّا في الحجاج، لأنّها تكشف عن العلاقات المؤسّسة للحجاج من أجل استكشاف الدليل.

---

[1] فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص52.

[2] المرجع السابق، ص54.

[3] المرجع نفسه، ص54.

[4] نفسه، ص55-56.

- **الكناية: La métonymie**

ينظر إليها بيرلمان كحجّة، ويرى أنّها تبنى على شاكلة المماثلة والّتي هي تكثيف لها، لذلك نجد بيرلمان يستخدم عبارة أرسطو" مساء الحياة " والّتي يقصد بها التقدّم في السن، ويراد منها الإقناع بأنّها النهاية.[1]

إنّ كل بنية استدلاليّة تهدف إلى الحجاج مكوّنة من مماثلة ومماثلة مكثّفة (كناية) تمثّل دليلا للإقناع في عمليّات التواصل بصفة عامّة والحجاج خاصّة.

ثانيا : طرائق الفصل في الحجاج(الفصل بين المفاهيم).

تكشف طرائق الفصل في الحجاج عن الأقوال الظاهريّة والحقيقيّة داخل المفهوم الواحد ما يجعله ينفصل إلى حدّين، مع العلم أنّهما يندمجان في بنية واحدة، وأنّ فصلهما جاء لضرورة دعا إليها الحجاج حيث يستمدّ منها مظهرها الطبيعي.[2]

أسّس بيرلمان بلاغته الجديدة فاستلهم عمله من الخطابة الأرسطيّة، واتّكأ على مقولات المنطق في بلورة نظريته الحجاجية، وإذا كان هذا منطلق البلاغة الجديدة، فمن أين انبثقت نظرية الحجاج اللساني؟.

4-2- الحجاج في اللغة.

إنّ الحجاج من منظور هذه النظريّة يختلف عمّا كان سائدا في الخطابة الكلاسيكيّة، فتصوّرها يفترض:« وجود انفصال تام بين البنية اللّسانية للملفوظ، واستعماله الحجاجي».[3]

يمكننا فهم تصوّر هذه النظريّة على أنّها تبحث في البنية اللّسانية للملفوظات الحجاجيّة؛ أي أنّها تقف عند حدود الخطاب، ولا تتجاوزه إلى ما يتعلّق بالمتلفظين وأحوالهم النفسيّة والاجتماعيّة، فهذه الوقائع لا تدخل ضمن دائرة هذا التوجّه.

---

[1] فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص 57.

[2] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج" البلاغة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه". مقال ضمن كتاب أهم " نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، ص343.

[3] رشيد الراضي، الحجاجيّات اللّسانية والمنهجيّة البنيوية. مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، مدارس وأعلام، ص92.

ويمثّل هذا الاتّجاه كل من ديكرو وأنسكومبر"ducrot et anscombre " ولهما يعود الفضل في صياغة هذه الأطروحة: « حيث رأو أنّ للملفوظات قيمة حجاجيّة وهذه القيمة هي الّتي تحدّد المحتوى الإخباري لهذه الملفوظات، كما أنّه لا يجب الفصل بين الدّلالة(...) والتداوليّة(...) ».[1]

يقول أوزوالد ديكرو "O.Ducrot":« إنّ تصوّرنا يفضي بأنّه توجد في أغلب الملفوظات، بعض الظواهر الّتي تتحدّد قيمتها التداوليّة بشكل مستقل عن مضمونها، وهذه الظواهر لها وجود فعلي، إلى درجة أنّه لا يمكن اعتبارها دائما هامشيّة، بل يتعلّق الأمر بعلامات منطبعة في البنية التركيبية».[2]

ففي كتابه "كلمات الخطاب" والكتاب الّذي اشترك في تأليفه مع جون كلود أنسكومبر(J.C.Anscmbre) "الحجاج في اللغة":« بيّن أنّ بنية الملفوظ اللّسانية داخلية، وأنّ استخدام الروابط الإشاريّة، والموجّهات تحديدا كل ذلك يمنح أدوارا مخصوصة لعناصر الملفوظ الأخرى ».[3]

ولهذا أعاد ديكرو النّظر في: « المفاهيم المتعلّقة بالمكوّنات البلاغيّة من أجل رسم معنى الملفوظ في السياق، في مقابل المكوّنات الدلاليّة المتواجدة في الفرضيّات اللّغوية».[4]

---

[1] النص في لغته الأصلية:

« ducrot et anscombre ont formelé ensemble cette thése: non seulement la valeur argumentative d'un énoncé est indépendente de son contenu informatife (…) La non separation entre la sémantique (…) et la pragmatique (…) ».

- Françoise Armengaud, La pragmatique, Que. Sais. Je? Université de remes, p75-76.

[2] رشيد الراضي، الحجاجيات اللّسانية والمنهجيّة البنيوية، ص84.

[3] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان. تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007، ص166.

[4] النص في لغته الأصلية:

« dans ses travaux de sémantique, oswalde ducrot a d'abord eu recours à la notion de" composant rhétorique" pour designer le sons de l'enoncé en situation, par opposition au "composant sémantique" ou signification attribuée à la proposition en langue».

- Ruth Amossy, l'argumentation dans le discours, Armand Colin, Paris, 2012, P32.

فأقرّ دمج التداولية في الدّلالة، وأطلق عليها اسم "التداوليّة المدمجة"، وهي نظريّة دلاليّة تدمج في الشفرة اللّغويّة عمليّة القول.[1]

كما ترى الأستاذة "لعلاوي"، أنّ نظريّة "الحجاج في اللّغة" ارتبطت ارتباطا وثيقا بالنظريّة التداوليّة، والّتي تناولها بالدّراسة مجموعة من الباحثين الغربيين في إطار دراسة العلامات اللّغوية. حيث تقول: «إنّ العلاقة بين العلامات كما هو متعارف عليه، تفضي بنا إلى علم التراكيب، والعلاقة بين العلامة ومعناها، تفضي بنا إلى علم الدلالة، وأمّا العلاقة بين العلامة ومستعمليها فتفضي بنا إلى التداولية، وبالتّالي فتحليل ملفوظ معيّن يتوقّف على تحديد المحتوى الإخباري الّذي يخضع للبنية النحوية، كما أنّ شروط البناء النحوي السليم تخضع هي الأخرى للمحتوى الإخباري "الدلالة"».[2]

وتؤكّد فكرتها بقولها:« وهذا الأخير؛ أي المحتوى الإخباري، لا يمكن أن يتجاوز النشاط الكلامي للملفوظات، وهذا يحيلنا إلى أنّ التحليل التداولي يستلزم تحليلا نحويا، ثم آخر تركيبيا، مع الحرص على هذا الترتيب وليس عكسه، بالنسبة إلى الجانب النّحوي، يتمثّل في مختلف العلاقات النحويّة كالفعليّة والفاعليّة والمفعوليّة والابتداء والإخبارية والحاليّة... (النظام اللّغوي)، أمّا الجانب التركيبي، فيرتكز أساسا على المعجم، من حيث استبدال الكلمات بعضها ببعض مع تحقيق السلامة النحويّة الّتي تقوم أساسا على نظام اللّغوي (النحو). وعلى هذا فالتركيب أعم من النحو، لأنّنا عندما نقول علم التركيب، نقصد به النحو بمفهومه الواسع».[3]

[1] جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية. تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف عز الدين مجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص83.

[2] فتيحة لعلاوي، الحجاج عند الجاحظ، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه دولة، الجزائر،2012، ص33.

[3] المرجع السابق، 34ص.

فتحليل الملفوظات اللّغوية يحتكم إلى جوانب ثلاث، مثّلت لها الأستاذة " لعلاوي" بالتمثيل الآتي:[1]

الملفـوظ

ق ⟵ (قول enoncée)

علم التراكيب ⟵ (الوصف اللّغوي) (ق)

علم الدلالة ⟵ (المحتوى الإخباري) (ق)

التداولية ⟵ (القيمة الفعليّة) (ق)

ومن منطلق هذه النظرية، تعرّف الحجاج بقولها: « هو علاقة دلاليّة تربط بين الأقوال في الخطاب، وتنتج عن عمل المحاججة، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية. فلابدّ أن تتوفر في حجّة القول الأوّل شروط محدّدة حتّى تؤدّي إلى القول الثاني».[2]

ممّا سبق، يتّضح أنّ نظرية الحجاج اللّغوي أو اللّساني تهدف إلى:« دراسة الجوانب الحجاجية في اللّغة، ووصفها انطلاقا من فرضيّة محوريّة وهي أنّنا نتكلّم عامّة بقصد التأثير؛ أي أنّ اللّغة تحمل في طيّاتها وظيفة حجاجيّة، وتتجلّى في بنية الأقوال ذاتها، ومن ثمّ تنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث الّتي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة؛ أي القواعد الداخليّة للخطاب، والمتحكّمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي، وبعبارة أخرى فإنّ الحجاج يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب».[3]

وعليه يمكن القول أنّ نظريّة" الحجاج في اللّغة" انبثقت:« من داخل نظريّة الأفعال اللّغوية الّتي وضع أسسها أوستين "J.Austin" وسيرل" searle"، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص واقترح في هذا الإطار فعلين هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج».[4]

---

[1] فتيحة لعلاوي، الحجاج عند الجاحظ، ص34.

[2] المرجع السابق، ص34.

[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص8.

[4] المرجع السابق، ص15.

كما صاغ أوزوالد ديكرو مفهوما لغويا للاقتضاء يختلف عن المفهوم المنطقي، لأنّه يرفض اعتباره شرطا لاستعمال المقول أو شرطا لمحتوى القول ولكنّه عمل لغوي وموقف من المتكلّم، له خصائص ووظائف سعى إلى بيانها.[1]

لهذا يعدّ الاقتضاء عنصرا إخباريا وغرضا لغويا، يسهم في تعدّد العلاقة المؤسّسة داخل الخطاب، فالمقتضى هو جوهر العمليّة الحجاجيّة، وأنّ أي عمل لغوي ينجرّ عنه عملا اقتضائيا تحتّمه طبيعة اللّغة.

1- السلالم الحجاجيّة.

السلّم الحجاجي هو "علاقة ترتيبيّة للحجج ".[2] يرمز لها كالآتي:

ن: النتيجة.

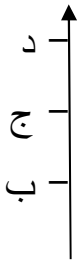

"ب"و"ج"و"د" حجج وأدلّة تخدم النتيجة" ن"، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إلى السلّم الحجاجي نفسه، فالسلّم الحجاجي: «هو فئة حجاجية موجّهة».[3] ويتّسم السلّم الحجاجي بسمتين هما:[4]

- كل قول يرد في درجة ما من السلّم، يكون القول الّذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى"ن".
- إذا كان القول"ب" يؤدّي إلى النتيجة"ن"، فهذا يستلزم أنّ"ج"أو"د" الّذي يعلوه درجة يؤدّي إلى"ن" والعكس غير صحيح.

[1] أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللّغة. مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، حدود وتعريفات، ص280.

[2] المرجع السابق، ص60.

[3] المرجع نفسه، ص60.

[4] نفسه، ص60.

وقد صاغ الباحث "أبو بكر العزاوي" مثالا توضيحيا:

1- حصل زيد على الشهادة الثانوية.

2- حصل زيد على شهادة الإجازة.

3- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

تتضمّن هذه الجمل حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجيّة، وتنتمي كذلك إلى نفس السلّم الحجاجي، فكلّها تؤدّي إلى نتيجة مضمرة، من قبيل "كفاءة زيد" و"مكانته العلمية"، ولكنّ القول الأخير هو الّذي سيرد في أعلى درجات السلّم الحجاجي ويرمز لهذا السلم:[1]

ن: الكفاءة العلميّة.

- الدكتوراه
- الإجازة
- الشهادة الثانوية

وتكمن أهمّية نظريّة السلالم الحجاجيّة: « في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيّز المحتوى الخبري للقول، وهذا يعني أنّ القيمة الحجاجيّة لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، لأنّها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي».[2]

ثمّ إنّ المحتوى الخبري للقول يخضع لشروط الصدق والكذب، في حين نجد أنّ قيمة الحجج لا تتحدّد بهذين الشرطين، بل تتدرّج في سلّم حجاجي، حسب ضعف وقوّة الحجّة الّتي تخدم نتيجة ما وتدعّمها. ويخضع السلّم الحجاجي لقوانين معيّنة: كقانون النفي، والقلب، والخفض.

2- الروابط والعوامل الحجاجية.

تشتمل اللّغات الطبيعيّة على مؤشرات لغويّة خاصّة بالحجاج، وتتحدّد هذه المؤشرات في بنية الأقوال اللّغوية داخل التسلسلات الخطابيّة، فاللّغة العربيّة مثلا: تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية، والّتي لا يمكن تعريفها إلاّ بالإحالة على

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص21.

[2] شكري المبخوت، الحجاج في اللغة. مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص370.

قيمتها الحجاجيّة: ومن بين أدوات الربط الحجاجي: لكن، بل، إذن، حتّى، لاسيما، ... وبعض العوامل ربّما، تقريبا، ما...إلاّ وجل أدوات القصر.

ويفرق الباحث "شكري المبخوت" بين الروابط والعوامل الحجاجية، في مقاله " الحجاج في اللغة" حيث يرى أنّ الروابط الحجاجية تحدد معنى الجملة وتضيق أو توسع من احتمالاتها الحجاجية، وهذه المكوّنات اللغوية هي الّتي تحدد طرق ربط النتيجة وحجّتها، في حين لا يضيق العامل الحجاجي من احتمالات المحاجة المسجلة في جملة من الجمل ولكن يقيدها بمسارات تربط بين الحجة والنتيجة.[1]

إذا كانت نظريّة الحجاج اللّغوي أو اللّساني انبثقت من نظريّة الأفعال اللّغوية، فما هي المرجعية التي تحتكم إليها نظرية المساءلة؟.

4-3 نظرية المساءلة.

رأى مايير"michel meyer " أنّ السؤال هو أساس المعرفة، فانبثقت نظريّته من الفكر اليوناني الّذي عني هو الآخر بفكرة السؤال، كما أسّس فلاسفة اليونان فلسفتهم على التّساؤل والسؤال، فالسؤال عند سقراط يبحث عن الجواب الّذي يتوهمه الآخر، أمّا عند أفلاطون يأخذ مجرى البحث عن الحقيقة، أمّا أرسطو فجعله جزءا من الجدل.[2]

يمكننا القول أنّ مايير انطلق في مشروعه من قراءة تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور جديد ليبحث فيها عن نشأة السؤال الّذي اقترن بميلاد الفلسفة والنّظر في أبعاده وخصوصيّاته. وذلك بعد انهيار الكوجيتو الدّيكارتي واللّوغوس، فالحجاج مرتبط بطبيعة الكلام في وظيفته التساؤليّة، والمساءلة:« هي عمليّة فكريّة، قائمة على سؤال وجواب، تتطلّب نقاشا وجدلا يولّد حجاجا، كما توجد المحاجّة بالقوّة في التداول اللّغوي».[3]

---

[1] شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم، ص370، 383.

[2] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي(من الجاهليّة إلى القرن الثاني للهجرة، بنياته وأساليبه)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص140.

[3] فتيحة لعلاوي، الحجاج عند الجاحظ، ص42.

1- مفهوم الحجاج في نظرية المساءلة.

إنّ تصوّر مايير للخطاب الحجاجي البلاغي منفتح على كل ما هو فلسفي، حيث لم تعد البلاغة في نظره مرتبطة بفن الاقتناع، أو فن التعبير فقط، بل أصبحت طرحا إشكاليا لمختلف القضايا والتساؤولات الّتي عالجتها النّظريات المعرفيّة والفلسفيّة داخل نظام اللّغة وخارجها.[1]

يتّضح من خلال هذا التّعريف، أنّ مفهوم الحجاج عند مايير يقتصر على علاقة ثنائية بين المتكلّم والمتلقي قائمة على السؤال والجواب، فطرح سؤال ما يفضي إلى جواب والجواب يفضي إلى سؤال آخر، كما يؤكّد على خصوصيّة تعدّد الأسئلة، لأنّ السؤال له وظيفة إقناعيّة.

2- أبعاد نظرية المساءلة.

تبنى نظريّة المساءلة وفقا لأبعاد ثلاث:[2]

1- البعد التداولي: حيث تبحث في ظروف إنجاز الخطاب وآليّاته.

2- البعد التأويلي: علاقة السؤال بالجواب وما يتطلّبه من تأويل لمكوّنات كل منهما.

3- البعد البلاغي: حيث ترتبط بالحجاج، وانفتاحها على مختلف وسائل الاتّصال الكائنة وكذا الممكنة.

3- مبادؤها.

استطاع مايير اعتمادا على منطلقات معرفيّة ومرتكزات فلسفيّة، أن يؤسّس منهجا تساؤوليّا يقوم على مبدأين اثنين هما:[3]

1- المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال: تبنى الأقوال في العمليّات التخاطبيّة على مبدأ الافتراض المؤسّس على الجواب والسؤال المفترضين، انطلاقا من مجموعة من

---

[1] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب د.ط،2006، ص195.

[2] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة(بحث في بلاغة النقد المعاصر)، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص138.

[3] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير(مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج)، ص196.

المقوّمات الّتي تحكم العمليّات التواصلية، كالسياق والمعلومات الموسوعيّة والتجربة الذاتيّة والقدرات الفكريّة.

2- مبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال: يقوم هذا المبدأ على طرح الاختلافات القائمة بين الأقوال، ويهدف إلى تحقيق وظيفة القول تواصلا أو إقناعا، وهذه الاختلافات هي الميزة الحقيقيّة في العمليّات التخاطبيّة.

4- البلاغة والحجاج في نظرية المساءلة.

يرى "محمد علي القارصي" أنّ الحجاج عند مايير: « محايث لاستعمال الكلام، لأنّ الكلام يتضمّن بالقوّة سؤالا يستمد منه دلالته، والحجاج لا يتّصل بضرب من الخطابات مخصوص بل يشمل كل ضروب الخطاب الشفوي والمكتوب الأدبي وغيره».[1]

ويشتغل الحجاج عنده باعتباره « ضرورة تؤدّي إلى نتيجة أو موقف يحمل الغير على اتّخاذه إزاء مشكل مطروح في سياق يوفّر للمتخاطبين مواد إخباريّة ضروريّة للقيام بعمليّة الاستنتاج المتّصل بالزوج سؤال/ جواب».[2]

إنّ عمليّة الحجاج عند مايير تقوم على ثنائية(المصرّح به/الضمني) (السؤال /الجواب)، وفي هذا الإطار يرتبط الحجاج بالبلاغة. فالقول الّذي لا يثير أسئلة، لا يقيم علاقة حجاجية بين المتخاطبين، كما أنّ للصّور الحجاجيّة علاقة وطيدة بالمساءلة، إذ يؤكّد مايير أنّه:« متى اعتمدنا صورة بلاغيّة في الخطاب فإنّنا في الواقع قد طرحنا سؤالا يقتضي بالضرورة جوابا إشكاليا».[3]

[1] محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير. مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص394.

[2] المرجع السابق، ص395.

[3] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص146.

5- الحجاج والمفاوضة حول المسافة*.

يرى مايير أنّ المساءلة تتّصل ببنية الأقوال البلاغيّة، ولها دورا تحليليا داخل الحجاج، حيث تبرز أهدافه وغاياته الإقناعية، غير أنّ الأساس الّذي يقوم عليه القول الحجاجي الهادف إلى اتّخاذ موقف أو تبني اعتقاد، أو طرح إشكالات وقضايا جديدة للنقاش، هو عمليّة المفاوضة الّتي تدور بين المتخاطبين حول المسافة.[1]

6- المسافة الحجاجية.

ويقصد بالمسافة الحجاجية« كل العلاقات الّتي تجمع بين البشر، والّتي اختزلها مايير في لعبة الهوية والاختلاف، فالهوية هي تقريب للعواطف والأحاسيس المشتركة بين الناس؛ أي تقريب للمسافة الّتي تفصل بينهم، أمّا الاختلاف فيمثّل كل أشكال التعارض والتباين بين الناس، ويتجسد في السلطة والإقصاء الّذي يمارسه فعل الاختلاف؛ أي توسيع المسافة».[2]

7- العلاقات الحجاجية.

يحدّد مايير العلاقات الحجاجيّة ضمن نظريّته في عناصر رئيسيّة، استقاها من التصوّر الأرسطي، وهي الإيتوس"Ethos "، والباتوس" Pathos"، واللوغوس " Logos"، ويختزلها في عنصرين هما: الإيتوس(الأخلاق أو الصّفات المرتبطة بالمتكلّم أو المخاطب)، وعنصر العلاقة الثنائيّة الّتي تجمع بين المتكلّم والمستمع، ويحدّدها اللوغوس؛ أي الخطاب أو اللّغة أو العمليّات الاستدلاليّة العقلانيّة داخل الخطاب، وتتضافر هذه العناصر في العمليّة الحجاجيّة لإثارة السؤال وإذكاء المساءلة، وتكثيفها حسب مقاصد المقام والسياق.[3]

---

* وهي الطريقة الّتي يتعامل بها النّاس فيما بينهم إزاء المسائل الّتي تشغل تفكيرهم، وما ينتج عن ذلك من اختلاف أو اتّفاق، أو رغبة في التقارب أو التنافر أو الحياد، وهي مواقف تتدرج في صلب الحجاج، وتفترض استعمال آليّات وأساليب حجاجيّة متنوّعة لتقريب المسافة. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير(مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج)، ص204.

[1] المرجع السابق، ص204.

[2] المرجع نفسه، ص204.

[3] نفسه، ص205.

وإجمالا يمكن القول إنّ آراء مايير حول البلاغة والحجاج جاءت في إطار فلسفي إبستمولوجي، كان الغالب على منهجه بصفة عامّة، واستندت نظريته إلى الفكر اليوناني. فما هي منطلقات نظرية الحجاج عند تولمن؟ وبما تميّزت الحجة عنده؟.

4-4- نظرية الحجاج عند تولمن "الحجاج استخدام يومي".

تهدف نظريّة تولمن "Toulmin" كما نوّه في بداية كتابه" استخدامات الحجاج" " the uses of Argument" في عام 1958، إلى:« محاولة جذب الانتباه إلى حقل البحث في الحجاج، ويبيّن في خاتمة كتابه أنّ محاولته رسم خطوط الحجاج تستند في جزء كبير منها إلى التّساؤل عن وضع المنطق في شكله الصوري(....)، فقد قام تولمن بعتق المنطق من تشكيله الرياضي ودفعه باتّجاه الحجاج، وفي هذا النطاق يمكن فهم نظريّته في الحجاج كإعادة صياغة وتجديد للمنطق».[1] ورأى تولمن أنّ المنطق علم صوري، وأعاد صياغته بدفعه نحو الحجاج، لأنّ الحجاج لا يعتمد على ما هو شكلي بل يعتمد على كل ما هو تطبيقي (نظرا للتّفاعل الّذي يخلقه فيما بين الأطراف)، فأراد أن يجعل من المنطق علم ممارسة بعيدا كلّ البعد عن كل ما هو شكلي ورياضي.

1- الفرضيّات الرئيسية الّتي تأسّست عليها النّظرية:

تترجم الأستاذة" لعلاوي" مجموعة من الفرضيّات الّتي تتأسّس عليها نظريّة الحجاج عند تولمن في كتابه " استخدامات الحجاج" ونذكر منها:[2]

1- تتطلّب عمليّة المحاججة وجود فكرة رئيسيّة لدي الملقي يحاول إقناع المتلقي بها، وعادة ما تتفاوت مساحة الاتّفاق على تلك الفكرة بين طرفي العملية الاتّصالية، وتعدّ عمليّة المحاججة وطرح الحجج في أي خطاب نوعًا من النّشاط الاجتماعي الّذي يوجّه للتواصل والحوار والتّفاعل مع الآخرين فلا يمكن أن تتم عمليّة المحاججة في سياق فردي.

[1] فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمّد صالح ناجي الغامدي، ص60.

[2] فتيحة لعلاوي، الحجاج عند الجاحظ، ص35.

2- تستمد الحجّة قيمتها ومعناها ودرجة فعاليتها الحجاجيّة من خصوصيّة الحقل التواصلي الّذي تظهر فيه والمرجعيّة الخطابيّة الّتي تستند إليها؛ أي أنّ ممارسة عمليّة سوق الحجّة وصياغتها وتدعيمها في خطاب ما، وهي أساس عمليّة الإقناع والمحاججة لإحداث التأثير المستهدف، ويظل هذا التأثير رهين الإجماع والانخراط في سياق الأفكار والقيم الدّاعمة لتلك الحجّة.

3- هدف أي محاججة هو الجدل والإقناع ، وهي عمليّة تفكير واستدلال منطقي فيما يطرحه الخطاب من وجهات نظر تقبل الجدل بشأن ما تقدّمه من أدلّة وبراهين سواء بالرفض أو القبول، وتتعدّد في سبيل ذلك أشكال الحجاج وتتنوّع فهناك الحجاج (الصّريح والضّمني والجدلي والتبريري و...)، وتتعدّد استخدامات الحجاج وتتباين مرجعياتها وتأويلاتها تبعًا لنوع هذا الحجاج . ففي النّهاية هدف كل خطاب هو الإقناع والتأثير من خلال ما يسوقه من حجج (للتأثير والاستمالة) وأدوات إقناعيّة (أدلّة وبراهين). وغاية الفعل الحجاجي بدوره كما أسلف هي الإقناع، ومن ثمّ فقد ارتبط هذا الفعل بالمتلقي وبالآخر، فهو يبرهن ويبرّر ويدعّم ويكشف، وإن كانت حدوده مقيّدة بقيود الاحتماليّة والنسبيّة.

2- الحجة: التبرير في السياق.

تتميّز الحجّة كما يتناولها تولمن: «بصورة حدسيّة بوظيفتها التبريرية، فالحجّة بالنسبة له هي كل قضيّة "Proposition""Claims" نقدّمها كتأكيدات"Assertions"، ومصاغة بشكل أو بآخر كأسباب"grounds"».[1] كما يتميّز الحجاج عنده:« بخاصيّة تعدّد التشكّل». [2]

ممّا سبق يتّضح أنّ الحجّة عند تولمن، عبارة عن قضيّة تتكوّن من سبب ونتيجة، أي أنّ هناك فكرة مطروحة أو وجهة نظر مقدّمة، وتؤدّي وظيفة تبريرية؛ أي أنّ هذه القضيّة لها أسباب تبرّرها. ويقدّم تولمن مجموعة من الحجج مثل: دعوى، تشخيص،

[1] فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمّد صالح ناجي الغامدي، ص60.

[2] المرجع السابق، ص60.

اتهام، نقد، هذه القضايا ترتبط بأسباب تدعّمها، وهذه الأسباب يمكن التّصريح بها أو تركها ضمنيّة.

كما يفرّق تولمن بين أنواع مختلفة من الحجج، والّتي ترتبط باستخداماتها المتنوّعة في الحقول المعرفيّة: كالقانون والأخلاق والسياسة... وبهذا التّمييز يكون تولمن قد قعّد ونظّر لحجاج يرفض هيمنة المنطق على الرّغم من تعدّد أنواع الحجج وتنوّعها، وهو الّذي أسّس نموذجا مثاليا للحجّة واشتهر به في تأسيس نظريّته للحجاج.

ويمكن التّمثيل لنموذج الحجّة عند تولمن بالشكل الآتي:[1]

الادّعاء، المؤهلات. ← المعلومات.

خلاصة، (نتيجة). صيغ(نماذج). التفويض(الضامن).

نقيض، أو(دحض بالحجة). قانون العبور.

أو تفنييد . سند، دعامة.

[1] النص في لغته الأصلية:

Data (Donnée) → So, Qualifier, Claim

Warrant Donc (Modalisateur), Conclusion

Puisque(Loi de passage) Unless, Rebuttal

on account of backing A moins que, Réfutation

étant donné(support)

- Christian Plantin, L'argumentation, Histoire, Théories, Et perspectives, p20.

فالنّموذج الحجاجي عند تولمن يتكوّن من:[1]

1- المقدّمات: Data/ les donnée

وهي تقرير يصنعه المحاجج عن أشخاص أو أحوال أو أحداث، وينبغي للمقدّمات أن ترتبط بالنّتيجة ارتباطا منطقيا حتّى تصلح لتدعيمها.

2- الضامن (التبرير): Warrant / la garantie

وهو بيان للمبدأ العام، الّذي يبرهن على صلاحيّة الدّعوى وفقا لعلاقتها بالمقدّمات.

3- السّند(الدّعامة/ الأساس): Support/ Fondement

وهو كلّ ما يقدّمه المحاجج من شواهد وأدلّة، ليجعل المقدّمات والتبريرات أقوى مصداقيّة عند المستقبل.

4- الموجّه(علامة القوّة) : Qualifier/Qualificateur

كلّ ما يقدّم من تعبيرات تظهر مدى قابليّة بعض النّتائج للتطبيق مثل: من الممكن، من المحتمل، على الأرجح.

5- الدّعوى/النتيجة: Claim/ Conclusion

تمثّل نتيجة الحجاج، وهي مقولة تستهدف استمالة الآخرين، تذكر صراحة وقد تضمر.

6- الاستثناء(التّفنيد): Rebuttal/ Restriction

هو الأساس الّذي ينهض عليه الحكم بعدم مقبوليّة النّتيجة أو الدعوى، أي شروط رفض القضيّة.

انطلاقا ممّا سبق، يتّضح أنّ النّموذج الحجاجي عند تولمن شبيه بالقياس الأرسطي، فالحجّة تتأسّس على مجموعة من المعطيات (مقدّمات)، والّتي تشترك معها بعض العناصر الثانوية في تحقيق النتيجة المتوخّاة مثل: قانون العبور، والّذي يسمح بالانتقال من المقدّمات إلى النتائج مستخدما في ذلك الضامن والاستثناء والسّند والموجّه، والّذي يحدّد قوّة الحجّة أو ضعفها بالنّسبة للنتيجة.

[1] محمّد العبد، النص والخطاب والاتّصال، ص190-191.

خامسا: أنواع الخطاب الحجاجي وخصائصه.

5-1 الخطاب الحجاجي الفلسفي:

يعرّف الخطاب الفلسفي على أنّه:« نص يجمع بين الكاتب (الخطيب) والقارئ(السّامع)، وتعمل القراءة هنا عمل المتتبّع للمسيرة الحجاجيّة للفيلسوف الكاتب للوصول إلى نتيجة، فما يستخرج مبدئيا من التأمّل يصبح في الواقع طريقة في الحجاجيّة، والنص بوصفه حاملا للخطاب، يصبح مكانا للمرافعات والدّعاوي، ومجلسا للمعارضة والمساندة، ومقاما للمناظرة Controverse».[1]

ويتميّز الخطاب الفلسفي بإمكانات حجاجيّة:« موجّهة بواسطة قيم لها صلة بالمجتمع، وتعمل كمعايير، وتشتغل هذه القيم إبستيمولوجيا داخل حجاجيّة الخطاب الفلسفي من خلال فكرة الأنموذج "Paradigme"*».[2]

إنّ هذا التّعريف يضفي طابع العلميّة على الخطاب الفلسفي، كما أنّ حجاجيّته تكمن في الانتقال من التأمّل وصولا إلى تطبيقه في الواقع، عن طريق الحجاجيّة. ومن هنا يتّضح أنّ حجاجيّة الخطاب الفلسفي تنتج عبر تفاعل وتضافر مجموعة من القيم معرفيا: كالسياسة والدّين والأخلاق واللّغة، وذلك عن طريق أنموذج خاص يتكيّف مع التحوّلات والأطروحات والمواقف، ويقصي المنطق وتاريخ الفلسفة من دائرة اهتمامه.

فإذا كان الخطاب الفلسفي يتميّز بطابعه الحجاجي، يمكننا القول أنّه خطاب موجّه إلى جمهور كوني، هدفه إقناع المخاطب عن طريق الحوار الفلسفي، وبهذا يكون« النص الفلسفي طرفا في مناظرة تفترض وجود سائل فعلي أو مفترض، يجب محاورته وإفهامه وإقناعه والردّ المسبق عن الاعتراضات الّتي تواجهه، فالخطاب الفلسفي مضطر

---

[1] عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة (مقاربة حجاجيّة للخطاب الفلسفي)، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدّار العربيّة للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص135.

* لا يشترط الأنموذج مجموعة متكاملة من القواعد حتّى يتكيّف مع التحوّلات والانقلابات في الآراء والأطروحات والمواقف الّتي غالبا ما تكون عادة فلسفيّة، أو منطقا داخليا لتاريخ الفلسفة بوصفها الخطاب الوحيد الّذي يمكنه أن يصحّح الحاضر بأخطاء الماضي و يخطئ الحاضر بصحيح الماضي. ينظر: المرجع السابق، ص135.

[2] المرجع نفسه، ص132.

إلى أن يشتغل على اللّغة الطبيعيّة، يعيد بناءها بشكل يلائم طابعه المفاهيمي التجريدي، وينهل ممّا تقدّمه له من إمكانات استدلاليّة وحجاجيّة وبلاغيّة».[1]

نلاحظ ممّا سبق، أنّ هناك التباس بين مصطلح نص وخطاب، حيث استخدما على أنّهما مترادفان، غير أنّنا نتبنى مصطلح خطاب، فالخطاب الفلسفي خطاب إقناعي، لذا فهو يبحث عن وسائل وأدوات الإقناع، ويتخلّى عن أدوات البرهان المنطقي، وينتهج مناهج جدليّة وبلاغيّة، تهدف إلى الإقناع والاستمالة والتأثير، قصد جعل الآخر ينخرط في حركته الفكرية.

ومن خلال هذا الطّرح، نلمس كيفيّة الانتقال من مجرّد التفكير الفلسفي إلى حجاجيّة الخطاب الفلسفي وبلاغته، فالبعد الحجاجي ساهم في تطوّر الخطاب الفلسفي. كما يتميّز الخطاب الحجاجي الفلسفي بأنّه: « تداولي استدلالي».[2]

وللحجاج خاصّية تأثيريّة في مساندة أطروحات ودحض أخرى، ويتمّ ذلك عن طريق الاستدلال. إنّ إضفاء طابع التداوليّة على الحجاجيّة الفلسفيّة يجعلها تتجاوز المنطق الداخلي للخطاب، إلى السياقات الخارجيّة المختلفة. فما هي خصائصه؟.

5-1-1- خصائص الخطاب الحجاجي الفلسفي.

يتحدّد الحجاج الفلسفي التداولي:« بوصفه عمليّة مفاعلة، وكل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والمفاعلة الموجّهة يسمّى" مناظرة"».[3] وعليه فمن خصائص الخطاب الحجاجي الفلسفي أنّه يقوم على الحوار والمناظرة:

1- المناظرة: وهي النّظر من جانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها، فالمناظر هو من كان عارضا أو معترضا، وكان لعرضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره، سعيا وراء الإقناع والاقتناع، وتمتاز عن الحوار بكونها تقيم

[1] مليكة غبار وآخرون، الحجاج في درس الفلسفة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص11-12.

[2] عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة (مقاربة حجاجيّة للخطاب الفلسفي)، ص133.

[3] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص66.

تقابلا يتواجه فيه العارض والمعترض، ولا يمنع اختصاص كل منهما فيه بحقوق وواجبات معيّنة من حضورهما معا في إنشاء نص المناظرة منطوقا ومفهوما.[1]

2- الحوار: يعتمد الحوار الآليّة الخطابيّة الّتي يطلق عليها اسم" العرض" وهو أن ينفرد" العارض" ببناء معرفة نظريّة، سالكا في هذا البناء طرقا مخصوصة يعتقد أنّها ملزمة" للمعروض عليه"، ويتميّز الحوار:

أ- الإقناعيّة: فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته فإنّ مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، وإنّما تتّبع في تحصيل غرضها سبلا استدلاليّة متنوّعة، تجر الغير إلى الاقتناع برأي المحاور.[2] وإذا كان الغرض من الحوار الفلسفي، إنّما هو الإقناع، فإنّ:« الإقناع لا يمكن أن يحصل إلاّ بالحجّة، والّتي هي حركة عقليّة قبل أن تكون بنية لفظيّة، مؤلّفة من عناصر معيّنة تربط بينهما علاقات معيّنة، وتترتّب فيما بينها ترتيبا معينا».[3]

ب- الاعتقاديّة:« كل محاور يعتقد القضايا الضروريّة والبديهيّة والمسلّم بها، فضلا عن كونه يعتقد الرأي الّذي يعرضه على الغير، ويعتقد صحّة هذا الاعتقاد».[4]

يمكن القول أنّ كل من المناظرة والحجاج، آليّتين خطابيّتين، وعملا حجاجيّا يتمّ فيهما التّفاعل عن طريق عرض الآراء المختلفة، والّتي تهدف إلى مساندة القضايا أو رفضها، معتمدين في ذلك على خاصيّة الاستدلال في إثبات تلك المسلّمات أو القضايا.

2-5 الخطاب الحجاجي البلاغي.

إنّ نقطة التقاء الخطابة مع البلاغة تتمثّل في أنّ الخطابة فنّا يهدف إلى الإقناع، في حين تهتمّ البلاغة بالقول في جميع أبعاده، فهي أعمّ وأشمل من الخطابة ، ومن ثمّ فالحجاج البلاغي:« يكسب تأييد المتلقي في شأن قضيّة أو فعل مرغوب فيه من جهة، ثم إقناع ذلك المتلقي عن طريق إشباع مشاعره وفكره معا، حتّى يتقبّل ويوافق على القضيّة أو الفعل موضوع الخطاب».[5]

---

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص46-47.

[2] المرجع السابق، ص38.

[3] محمود اليعقوبي، أصول الخطاب الفلسفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009، ص51.

[4] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص38.

[5] هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص68.

5-2-1 الخصائص الأسلوبيّة للخطاب الحجاجي البلاغي.

ويقصد بالأسلوبيّة، مجموع الخصائص والصّور الّتي يتبنّاها الخطاب الحجاجي، فالصّور البلاغية، عمليّة أسلوبيّة تنشّط الخطاب، ولها وظيفة إقناعيّة إلاّ أنّه يمكن توسيع الدّائرة إلى الخصائص التالية:[1]

- اندماج الحجاج البلاغي بالخطابة في شكلها المكتوب والمنطوق.
- اشتراطه لرغبتين هما: إرادة المتكلّم(المؤثّر والمقنع)، وإرادة المتلقي(المتأثّر والمقتنع).
- خضوع حججه للتراتبيّة والتنظيم: القوّة، الضعف، الإبطال، الإثبات.
- اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإمتاعي، أو الجمع بين البيان والبديع.

وتؤدّي الصّور البلاغيّة دورا حجاجيا ومن بين هذه الصّور الاستعارة، فالبحث في الخطاب الاستعاري هو جزء من البحث في الخطاب البلاغي، إن لم يكن بحثا في كل الخطاب البلاغي،« نظرا للمكانة الّتي تحتلّها الاستعارة بين باقي الصّور البلاغيّة الأخرى، وعليه فإنّ تنصيب الاستعارة على رأس الصّور البلاغيّة ليس اعتباطيا، ولكن له ما يبرّره تاريخيّا وعلميّا، فتاريخيّا نلاحظ أنّ أرسطو في البلاغة الغربيّة، يعطي الأهمّية نفسها للاستعارة، فهو القائل إنّ أعظم شيء هو القدرة على صياغة الاستعارة(...)، إنّ صياغة استعارات جديدة يعني القدرة على رؤية التشابهات».[2]

إنّ مفهوم الاستعارة عند أرسطو يشتمل على صور بلاغيّة عديدة، لأنّه يربطه بمفهوم التّخييل أو المحاكاة، وهذا التّخييل جوهري في الأقاويل الشعريّة، ومهم في الأقاويل الخطابيّة.[3]

كما تؤدّي الاستعارة بممارستها الفعليّة في الخطاب دورا حجاجيا وتداوليا، وهي تنتج المعنى من جانب، وتجعله في سياقات مختلفة، فتؤثّر على المتلقي في موقف معين. لذا فهي كما يرى "جورج لايكوف ومارك جونسون":« حاضرة في كل مجالات حياتنا اليوميّة، إنّها ليست مقتصرة على اللّغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال الّتي

---

[1] هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، ص81.

[2] حسين الخالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفارابي، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص30.

[3] المرجع السابق، ص30.

نقوم بها، إنّ النسق التّصوري العادي الّذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعاريّة بالأساس».[1] وانطلاقا من اعتبار الصّور البلاغية بنى لغويّة وتصويريّة، تصلح لإحداث التأثير وممارسة الاتّصال بين المتكلّم والسّامع، فإنّها تشتغل على نمط من الانزياحات الّتي يصنّفها هنريش بليث "heinrich plett"، في كتابه"البلاغة والأسلوبية"، إلى الصّور البلاغيّة والصّور التداوليّة، وتعتبر كل واحدة منهما انزياحا أو نسقا من الانزياحات اللّسانية، أو انزياح بالقياس إلى معيار التّواصل اللّساني:[2]

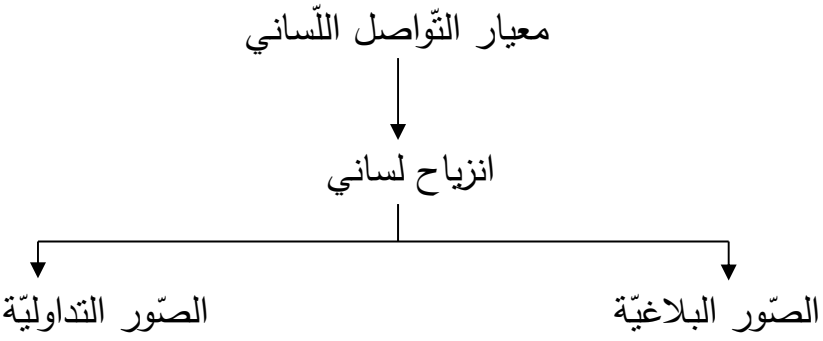

يتّضح أنّ كل خطاب حجاجي يهدف إلى التّواصل والإقناع، لذا فهو يعتمد على صور بلاغيّة للتأثير في الغير، وصور تداوليّة تفسّر كيفيّة إنتاج الأقوال وتأويلها بالاعتماد على اللّغة الطبيعيّة، وللانزياح وظيفة تأثيريّة وتداوليّة.

5-3 الخطاب الحجاجي التداولي.

إنّ الطبيعة المعرفيّة والمرجعيّة الّتي تؤطّر الخطاب الحجاجي التداولي، تشير إلى صلب التداوليّة،« والّتي تعتمد على تحليل الوقائع الملاحظة، إذ ينظر إليها في علاقتها بسياقات وجودها الواقعيّة، وقد سجّل أوستن"Austin " أنّنا لا نتفحّص الكلمات فحسب، بل الحقائق الّتي نتكلّم عنها، وبفضل وعي متقيّد بالكلمات نجعل إدراكنا للظّواهر أكثر حدّة ونباهة».[3]

[1] جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها. تر:عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2، 2010، ص21.

[2] هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، ص85.

[3] عبد الحليم بن عيسى، المرجعيّة اللّغوية في النظريّة التداوليّة، دوريّة بحثيّة متخصّصة في الدّراسات الأدبيّة الجزائر، ع1، ماي، 2008، ص13.

فأوستين« يلحّ على القيمة التداوليّة للعبارات اللّغوية، لذا أدخل مفهوم القصديّة" Intentionnalité"، في فهم كلام المتكلّم، وفي تحليل العبارات اللّغوية، وفي الربط بين التراكيب اللّغوية، ومراعاة غرض المتكلّم، والمقصد العام من الخطاب، في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداوليّة للظاهرة اللّغوية».[1]

يقول أوستين:« فلكي ننجز فعل الكلام، وبالتّالي قوّة فعل الكلام لابدّ أيضا من أن ننجز نوعا آخر من الأفعال، فأن نقول شيئا ما يترتّب عليه أحيانا أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب، وأفكاره أو تصرّفاته، كما يستلزم ذلك لوازم ونتائج قريبة تؤثّر على المتكلّم».[2]

إنّ الفعل الكلامي في نظر أوستين :« يعني التصرّف أو العمل الاجتماعي الّذي ينجزه الإنسان بالكلام، فتلك المعاني والمقاصد التواصليّة، ترمي إلى صناعة أفعال، ومواقف اجتماعيّة أو مؤسّساتية أو فرديّة بالكلمات، والتأثير في المخاطب بحمله على فعل شيء أو تركه، أو تقرير حكم من الأحكام، فمن منظور نظريّة الفعل الكلامي، لا تكون اللّغة مجرّد أداة للتواصل، وإنّما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه».[3]

ولهذا بنى أوستن فرضيّته على التقسيم الثلاثي:« كل عمل لغوي هو جماع عمل قولي وعمل في القول، وعمل تأثير بالقول، "فالعمل القولي" يتضمّن إنجازا لأعمال تصويتية، ويقصد "بالعمل في القول" ما يتحقّق عند قول شيء ما، وإنّما هو دلالة كلّية تسير القول وتجلو قصد قائله، من قبيل الأمر، أو التحذير، أو إصدار الأحكام، ويقصد"بالتأثير بالقول"، ما يحدث تأثيرات في مشاعر السّامعين كالإخافة، أو في إنكارهم كالاقتناع، أو في سلوكهم كالقرار».[4]

---

[1] مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللّساني العربي، دار الطليعة للطّباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص10.

[2] جون أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامّة(كيف ننجز الأشياء بالكلام). تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق المغرب، د.ط، 1991، ص121.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص11.

[4] شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللّغوية(مراجعات ومقترحات)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص11.

كما يركّز أوستين على الإنجازيّة، فالمتكلّم وهو يتلفّظ بملفوظ معيّن ينجز فعلا بكلامه، لذا قام بتقسيم الأفعال متجاوزا بذلك ثنائيّة الصدق والكذب في الجمل المثبتة، ورأى أنّ هناك جملا لا نستطيع أن نخضعها لمعيار الصدق والكذب، ومنه جاء تقسيمه للأفعال إلى: حكميّات ووعديّات... ، ثم أتى من بعده تلميذه سيرل"J.Searle"، فأضاف بعض التّعديلات، وطوّر نظرية الأفعال الكلاميّة، ورأى أنّ الفعل الكلامي ينقسم إلى: فعل مباشر وفعل غير مباشر، وتكمن أهميّة هذا العمل في تحليل الفعل اللّغوي من أجل معرفة المقصديّة، والسياق الّذي تنتج فيه تلك الملفوظات.

ولهذا يهتم الخطاب الحجاجي التداولي، بتحليل الفعل الكلامي مرتبطا بسياقه، لأنّ الكلام الّذي ننطقه لا يعدو أن يكون مجرّد ظاهرة لغويّة فحسب، بل تحكمه مقصديّة معيّنة، وتتجلى الوظيفة التداولية في:« البحث عن كيفيّة ترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي، وكمبادئ فعل مشترك الإنجاز التّواصلي مع بنية الخطاب وتأويله».[1]

وتطرّق حبيب أعراب في مقاله" الحجاج والاستدلال الحجاجي"، إلى طرح عدّة تساؤولات تتعلّق بمقاربته للخطاب الحجاجي منها:[2]

- هل مقاربة الحجاج هي مهمّة ملقاة على اللّسانيات، أم على التداوليّة، أم على الأسلوبيّة، أم على البلاغة؟

- وإذا كان النص الحجاجي، هو نصّا لسانيّا- نص متميّز عن باقي الأنماط النصيّة الأخرى- فهل نولي اهتماما لبنيته الحجاجيّة وعلاقتها الداخليّة، أم لقيمته وفعاليّته الحجاجيّة من خلال تفاعل ذاته أو ذواته مع محيطها الخطابي؟

يجيب بقوله:« إنّ اللسانيون ينظرون إلى الخطاب اللّفظي الحجاجي كخطاب يتوفّر على خاصّية بنائيّة وبراغماتيّة، وقد حدّد ج. ب.برونكار"Jean Paul Bron kart "، أربعة أنماط للخطاب: النمط السردي الحكائي، التّفاعلي الحواري، والنظري، ورأى أنّ النصوص

---

[1] فان دايك، النص والسياق، (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي). تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص256.

[2] حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي(عناصر استقصاء نظري)، عالم الفكر، مجلة دوريّة محكمة، الكويت،ع1، سبتمبر، 2001، ص97-98. نقلا عن هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي (أنواعه وخصائصه)، ص76.

التفاعليّة الحواريّة، وكذا النظريّة هي الأكثر احتضانا للحجاج، كما لا تخلو النّصوص الأخرى من خصائص حجاجيّة، وتصنيفه مبني على أسس لسانيّة».[1]

إنّ الخطاب الحجاجي تختّص به النّصوص التفاعليّة والحواريّة، وهذا لا يعني أنّ بقيّة النّصوص تخلو من عناصر حجاجيّة، فعموميّة الحجاج وفاعليته جعلته لا يخلو منه أي نص، سواء سردي أو حكائي أو غير ذلك. لذا فإنّ دراسة الحجاج في الخطاب هو من شأن التداوليّة، وذلك لخضوع الخطاب الحجاجي في ظاهره وباطنه لقواعد شروط القول والتلقي، وتبرز فيه مكانة القصديّة والتأثير والفاعليّة.

5-3-1 خصائص الخطاب الحجاجي التداولي.

إنّ البحث التّداولي، يهتم بمبدأ التّفاعل القائم على الحواريّة بوصفها بنية كبرى، والفعل اللّغوي بوصفه بنية صغرى، يقول فرانسيس جاك: « إنّ شكل الخطاب الّذي يفوق الجملة، إنّما يتحدّد كل قول فيه في بنية دلاليّة حقيقيّة بتسوية المعنى، والقيمة المرجعيّة في تسلسلها بواسطة القواعد التداوليّة الّتي تكفل خاصّية التواتر».[2]

وإذا كانت التداوليّة تبحث عن إشكالات تتمثّل في:« من يتكلّم؟ وإلى من يتكلّم؟ ماذا نقول حين نتكلّم؟ ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ كيف نتكلّم بشيء ونريد قول شيء آخر؟» .[3] فإنّها تبحث في شكل الخطاب، وجميع أطرافه الفاعلة (مرجعيّة، معنى الملفوظات، مقاصد المتكلّم). وتقوم الحواريّة على مبدأين هما:

1- **المقام:**« وهو مجموع شروط إنتاج القول، وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته، والقول هو وليد قصد معيّن، يستمدّ وجوده من شخصيّة المتكلّم ومستمعه، ويحصل ذلك في الوسط(المكان)، واللّحظة(الزمان)، اللّذين يحصل فيهما(...)، وهذه العوامل كلّها

[1] حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي(عناصر استقصاء نظري)، ص97-98. نقلا عن هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي (أنواعه وخصائصه)، ص76.

[2] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التداولية. تر: محمّد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، ص38.

[3] فرانسواز أرمينغو، المقاربة التداوليّة. تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د.ط، 1986، ص5.

والمؤثّرة على إنجاز القول هي الّتي تشكّل المقام».[1] ويمكن حصر العناصر المكوّنة للمقام في:[2]

- المشاركون في التبليغ، (المتكلّمون والمستمعون).
- مكان التّفاعل: القول (الصّفات اللّغوية، شبه اللّغوية، وغير اللّغوية)، مقاصد المتكلّمين، ترقّبات المتكلّم والسّامع، مساهمة المشاركين في الموضوع، معارفهم اللّغوية، المعايير الاجتماعيّة، شخصيّاتهم وأدوارهم.

إنّ هذه العناصر المكوّنة للمقام الّذي ينتج الخطاب، ينبغي أن تخضع لمبدأ الافتراض المسبق، ومبدأ التّعاون الّذي ينظّم التّواصل، فقد اقترح غرايس" P. Grice" أربعة مبادئ رئيسيّة، جعلها الأساس في كل تبادل خطابي، فالمتكلّم عليه أن يساهم في الحديث بالقدر المطلوب، بالإضافة إلى توخّي كلّ ما يحف بالحديث من حيثيّات، مع الوضوح والابتعاد عن الغموض، وترتيب الحجج في طريقة عرضها.

2- التشخيص: Personnification

وهو خاصّية تلفظيّة كما يسمّيها بنفنيست"E.Benveniste "،« فالتلفّظ يتميّز بحدّة العلاقة التخاطبيّة مع الشريك سواء أكان شريكا حقيقيا أو متخيّلا، فرديا أو جماعيا، وهذه الخاصّية تطرح ما يسمّى: بالإطار التّشخيصي للتلفّظ، وهذا التلفّظ كبنية حواريّة يتّخذ صورتين ضروريتين: مصدر التلفّظ، وهدف التلفّظ».[3] ونستنتج أنّ الخطاب الحجاجي التّداولي خطاب حواري، وخاضع لشروط القول(التلفظ)، وتهيمن عليه القصديّة، ومبدأ التّفاعل والتأثير فيما بين المتخاطبين.

5-4 الخصائص العامّة للخطاب الحجاجي.

يتميّز الخطاب الحجاجي بخصائص تجعله مخالفا لغيره من الخطابات، ومن خصائصه:

---

[1] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية. تر: محمّد يحياتن، ص41.

[2] المرجع السابق، ص40-41.

[3] هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، ص91.

1- خاصّية البناء والديناميّة:construction et dynamisme

إنّ فاعليّة الخطاب الحجاجي، تأتي من طريقة بنائه وتفاعل عناصره وديناميّة مكوّناته، فالاقتصاد في الأدلّة الحجاجيّة مثلا: يكون له دور مهمّ في عمليّة الإقناع، إذ المبالغة في سرد الحجج في غير ما مناسبة، يفقد الحجاج فعاليته وقوّته.[1] إنّ نجاعة الخطاب الحجاجي مرهونة بالبناء الحجاجي، فحسن انتقاء الحجج واختيار العناصر المكوّنة للخطاب وتدرّجها لها دور في عمليّة الإقناع.

2- خاصّية التّفاعل:L' interaction

ينتج التّفاعل عن طريق التزام كل من المتكلّم والمخاطب بالعناصر الخطابيّة، والّتي تتحقّق بها العمليّة الحجاجيّة، وإلاّ تنتج عنها ما تسمّى: الازدواجيّة في عمليّة الحجاج.[2]

3- خاصّية الالتباس:confusion

يأتي الالتباس عن طريق المجاز الّذي يعدّ:« استدلالا بعبارة الدّعوى على إشارتها ويكون جامعا بين معنيين متقابلين هما: العبارة والإشارة، ولا تتمّ هذه العلاقة فقط عن طريق الصّور البلاغيّة الّتي تتيحها اللّغة بواسطة المجاز، بل تتمّ بصفة عامّة عن طريق العلاقات الرمزية الّتي تدخل فيها كل الدّلائل اللّسانية وغير اللّسانية».[3]

وتشكّل كفاءة المتكلّم في استخدام اللّغة عاملا مهمّا في الالتباس، فنجد مثلا: هناك من يلجأ في الإقناع إلى لغة طبيعيّة بعيدا عن لغة الرموز والإشارات، في مقابل ذلك نجد من يستخدم لغة رمزيّة للتّأثير في الآخر من أجل دفعه إلى التّفسير والتّأويل.

4- خاصّية التأويل: L'interprétation

ويعدّ التأويل وجها من وجوه النشاط الحجاجي ويتمّ على مستويين:

- مستوى أوّل: عن طريق استقبال القول كعلامات لغويّة، تحوّل فيها الرّسالة من السنن إلى الخطاب.

---

[1] عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغيّر(مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليّات التّواصل والحجاج)، ص129.

[2] المرجع السابق، ص130.

[3] المرجع نفسه، ص131.

- مستوى ثان: تتمّ عن طريق تعالق عنصري الفهم والتّأويل، فهم أوّلي لمعنى القول، ثم فهم ثان أو تأويل المعنى" معنى القول"، وهنا تدخل مجموعة من العوامل الخارجيّة لتحديد البعد التأويلي.[1]

إنّ العوامل الخارجيّة، ومن ضمنها السّياق لها دور في تأويل المعنى، لذا ينبغي دائما العودة إلى السّياقات سواء أكانت لسانيّة أو غير لسانيّة في فهم المعنى وتأويله، لأنّ الخطاب قد يحتوي على معان ضمنيّة تفهم بالرجوع إلى السّياق الّذي يرد فيه.

5- خاصّية الاعتقاد:croyance

إنّ استهداف اعتقادات الإنسان يمثّل إحدى الجوانب الأساسيّة في العمليّة التخاطبيّة، فالاعتقادات لا تمثّل عناصر مادّية ملموسة، تخلو من كل استدلال ذي بعد علمي برهاني، لذلك ارتبط الاعتقاد ببعض القيم الإنسانيّة (تضحية، نبل، إيثار)، الّتي عليها مدار الحجاج، والّتي يراهن عليها المتكلّم كي يذعن السّامع لما يطرحه من آراء ومواقف.[2] ويهدف كلّ حجاج إلى كسب اعتقاد الآخر والتأثير فيه، لذا ارتبط بالقيم الأخلاقيّة الّتي من شأنها أن تغيّر من اعتقادات الغير إزاء موقف معيّن يحمل قيمة ما.

6- خاصّية الانتهاض إلى العمل:

يعرفها" طه عبد الرحمان" بقوله: « هي الدّليل الّذي يجب اعتماده للعمل به بعد أن يكون الاعتقاد قد حصل، ممّا يجعل القول الحجاجي مرهونا بالاقتناع والعمل».[3]

تضفي هذه الخاصّية على الأقوال الحجاجيّة حركيّة متواصلة، ممّا يجعلها تسعى إلى الإقناع والاقتناع، وهي محور كل عمليّة تواصليّة وتخاطبيّة وتعامليّة، كما أنّ هذه الخاصّية ينبغي أن تقترن بالفعل النّاتج عن القول سواء أحدثت عملا أو لم تحدثه.

وتجتمع جلّ هذه الخصائص لتميّز الخطاب الحجاجي عن غيره من الخطابات، لأنّ ليس كل خطاب بالضرورة يبرز حجّة أو يدافع عن أطروحة ما لإقناع الغير، ومن مميزات الخطاب الحجاجي، أنّه خطابا غائيا مبنيا موجّها وهادفا.

---

[1] عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغير(مقاربة لغويّة معرفيّة لآليّات التّواصل والحجاج)، ص132.

[2] المرجع السابق، ص133.

[3] المرجع نفسه، ص134.

سادسا: آليات الإقناع.

يرى هنريش بليث" heinrich f. plett" أنّ الإقناع يمثّل أثرا تداوليا.[1] غير أنّ تحقيق هذا الأثر التداولي يتمّ بآليّات تجسّده في الواقع، فعرض خطاب معيّن يتطلّب آليّات لغويّة، وهي قدرة المخاطَب على الإقناع باستعمال اللّغة الطّبيعية، والّتي تركّز على آليّة الحجاج، كما تتصاحب مع هذه اللّغة مجموعة من الإشارات والإيماءات وحركات الجسم، والّتي تمثّل في مجملها علامات غير لغوية، تسعى إلى التّأثير في المتلقي بجعله يتقبّل موضوعا ما أو أطروحة تعرض عليه.

يعتمد الخطاب الحجاجي على تقنيّات وآليّات مخصوصة يستعملها المرسل في اختيار حججه، وبنائها بما يتوافق وسياق الخطاب، ويمكن تقسيم تقنيّات الحجاج إلى:[2]

– الأدوات اللّغوية الصّرفة: مثل: ألفاظ التّعليل، بما فيها الوصل السّببي، والتركيب الشرطي وكذلك الأفعال اللّغوية، والحجاج بالتبادل والوصف وتحصيل الحاصل.

– الآليّات البلاغيّة مثل: تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة والبديع، التّمثيل.

– الآليّات شبه المنطقيّة: ويجسّدها السلّم الحجاجي بأدواته وآليّاته اللّغوية، ويندرج ضمنه الرّوابط الحجاجيّة (لكن، حتّى، فضلا عن، ليس كذا، فحسب، أدوات التّوكيد) ودرجات التّوكيد، والإحصاءات، وبعض الآليّات منها: الصيغ الصرفيّة مثل: التّعدية بأفعل التّفضيل، والقياس وصيغ المبالغة.

ويقترح" الشهري"، مجموعة من الشّروط والضّوابط، والّتي يحتكم إليها التّداول الحجاجي، وينبغي للمرسل الالتزام بها، وتتمثّل في:[3]

1- أن يكون الحجاج ضمن إطار الثّوابت مثل: الثّوابت الدينيّة والعرفيّة، فليس كل شيء قابل للنّقاش أو الحجاج، فهناك كثير من المسلّمات يجب احترامها.

2- أن تكون دلالة الألفاظ محدّدة، والمرجع الّذي يحيل عليه الخطاب محدّد.

3- موافقة الحجاج لما يقبله العقل، وإلاّ بدا زيف الخطاب ووهن الحجّة.

---

[1] هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية(نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، ص25.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص477.

[3] المرجع السابق، ص465-468. بتصرّف.

4- توفّر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، ممّا يسوّغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل أو إمكانيّة مناقشتها أو تفنيدها، وإلاّ انقطع الحجاج بينهما، وتوقّفت عمليّة الفهم والإفهام، بل الإقناع.

5- أن يأخذ المرسل في اعتباره تكوين صورة عن المرسل إليه، أقرب ما تكون إلى الواقع قدر الإمكان، إذ ينتج عن تجاهله تصوّر قاصر، أو عن حصول مجموعة من الظّروف غير المتوقّعة وهذا قد يؤدّي إلى نتائج غير مرغوبة.

6- مناسبة الخطاب الحجاجي العام، لأنّه هو الكفيل بتسويغ الحجج الواردة في الخطاب من عدمها، فقد يكون الحجاج صحيحا من النّاحية النظريّة، ولكنّه غير مناسب للسّياق.

7- ضرورة خلوّه من الإيهام والمغالطة والابتعاد عنهما، لأنّه لا يخلو الحجاج منهما عادة، فإذا كان معنى الخطاب غير محدّد، يصبح من قبيل الخطاب العام الّذي لا يكتشفه المرسل إليه إلاّ بعد حين.

8- امتلاك المرسل لثقافة واسعة، خصوصا ما يتعلّق بالمجال الّذي يدور ضمنه الحجاج مثل: المجال الدّيني أو السياسي، لأنّه بدون ذلك الرّصيد المعرفي لن يستطيع إيجاد دعوى أو تبنّي اعتراض معيّن، فتعوزه الحيلة للدّفاع عمّا يراه، كما تعوزه الحيلة في بناء خطابه واختيار حججه.

9- توخّي الشّروط الّتي حدّدها سيرل في إنجاز الأفعال اللّغوية، شرط المحتوى القضوي، شرط الصدق، الشرط التمهيدي...

يتّضح من خلال ما تمّ عرضه أنّ هناك ضوابط يحتكم إليها الحجاج الهادف، لأنّ الخطاب يتطلّب مراعاة ظروف المرسل إليه، ومقامه وطبيعته وثقافته، كما أنّ عمليّة الإقناع تتمّ بآليّات متعدّدة ومتفاوتة من مرسل إلى آخر، ومن هنا يرتبط نجاح الخطاب بكفاءة المخاطب في اختيار آليّات الحجاج المناسبة لطبيعة خطابه، فالمحاجج عليه أن يوظّف آليّات تواصليّة تتوافق مع طبيعة خطابه ومقتضيات مقامه.[1]

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، ص468.

الفصل التطبيقي

- **الفصل التطبيقي: الآليّات الحجاجيّة في أسلوب عبد القاهر الجرجاني من خلال كتاب"دلائل الإعجاز".**

أولا: التعريف بصاحب دلائل الإعجاز.

ثانيا: التعريف بمدوّنة البحث" كتاب دلائل الإعجاز".

ثالثا: سياق خطاب دلائل الإعجاز.

رابعا: نوع خطاب دلائل الإعجاز.

خامسا: الآليات الحجاجية في كتاب دلائل الإعجاز.

- **تمهيد :**

إنّ المتمعن في الكتب التراثية، يلاحظ أنّها في مجملها خطابات تحمل أفكار ومضامين العقل الّذي أنتجها، وتتحدّد هذه الخطابات بتعالقها بمباحث مختلفة منها: ما هو لغوي وأصولي وبلاغي وفلسفي...، وقد وقع اختيارنا في هذا البحث على كتاب" دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، وهو كتاب في علم المعاني، حيث سعى فيه مؤلّفه إلى معالجة مسألة الإعجاز البلاغي في القرآن، والّذي نعدّه خطابا يعبّر عن وجهات نظر تظهر مضمرة أو صريحة من خلال التأمّل في محتواه، فالجرجاني يحاجج ويطالب بالحجّة في لهجة سجالية يغلب عليها منطق المناظرة، ما جعلنا نتخيّر هذه المدوّنة لما تحتويه من آليّات استدلاليّة.

وسنعتمد في تحليلنا للمدوّنة على مجموعة من المراجع الّتي تطرّقت إلى بيان الآليات الاستدلاليّة والحجاجيّة الّتي اعتمدها البلاغيون، والأصوليون والفلاسفة في مصنّفاتهم نذكر منها: علي الشعبان في كتابه" الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل"، طه عبد الرحمان في كتابه" اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي"...

أوّلا: التّعريف بصاحب "دلائل الإعجاز":

هو الإمام المشهور أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمان الجرجاني النّحوي، من كبار أئمّة العربيّة والبيان، شافعيّا أشعريّا[1]، ولد حوالي سنة (400هـ)، بجرجان إحدى المدن المشهورة بين طبرستان وخراسان[2]، من أسرة فارسيّة رقيقة الحال، نشأ ولوعا بالعلم محبّا للثّقافة، تتلمذ على يد أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث، وهو ابن أخت أبو علي الفارسي.

استعان في دراسته البلاغيّة بما كتب في النّقد والبلاغة والإعجاز قبله، كما تأثّر عبد القاهر في بعض نواحي تفكيره البلاغي والنّقدي بالثّقافة الإغريقيّة ولاسيّما بحوث أرسطو، وخاصّة كتاب الخطابة والشعر وقد ترجما إلى العربيّة.[3] ومن مصنّفاته: المغني في شرح الإيضاح، المقتصد في شرحه، إعجاز القرآن الكبير والصغير، الجمل، العوامل المائة، العمدة في التصريف.[4] بالإضافة إلى أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.

مات سنة(474هـ)أو(471 هـ).

[1] السّيوطي جلال الدّين، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه، ج2، ط1، 1965، ص106.

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، الاسكندريّة، ط9، د.ت، ص160.

[3] عبد العاطي غريب علي ملام، البلاغة العربيّة بين النّاقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص130-131.

[4] السيوطي جلال الدّين، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، ص106.

ثانيا: التّعريف بمدوّنة البحث: " كتاب دلائل الإعجاز":

هو كتاب في علم المعاني، سعى فيه مؤلّفه إلى إثبات أنّ بلاغة الكلام تكون في النظم، وأنّ القرآن معجز بنظمه لا بالصرفة، وأنّ بلاغة الكلام لا ترجع إلى الألفاظ وإنّما إلى المعاني وإلى العلاقة القائمة بين اللّفظ والمعنى. طبع دلائل الإعجاز لأوّل مرّة سنة (1321) للهجرة بعناية السيّد محمد رشيد رضا، وإشراف الإمام محمّد عبده، ثم طبع عدّة مرّات بتحقيق أحمد مصطفى المراغي والدّكتور محمّد عبد المنعم خفاجي، وقد سيطرت على الكتاب نظريّة النظم بشتّى أقسامها من علوم المعاني، تناول فيها اللّفظ والمعنى، والفصاحة والبلاغة وتحرير القول في الإعجاز، وغيرها من الموضوعات اللّغوية الهامّة.

وجمع الجرجاني في هذا الكتاب بين النّزعتين العلميّة والأدبيّة، وأثّر الكتاب في الدّراسات اللّغوية والقرآنيّة تأثيرا عظيما، وسار على نهجه كل من" الزمخشري" في كتابه" الكشّاف"، و"السكّاكي" في" مفتاح العلوم" و"الفخر الرازي" في كتابه" إعجاز القرآن"، و"القزويني" في" شروح التلخيص"، وتعتبر النسخة الأصليّة لهذا الكتاب، هي النّسخة الّتي استحضرها الإمام محمّد عبده من المدينة المنوّرة وأخرى من بغداد للمقارنة.[1]

وقد اعتمدنا في البحث على النّسخة الّتي حقّقها" محمود محمّد شاكر" وهي الطّبعة الثالثة، طبعت سنة 1992 بمطبعة المدني بمصر، أفردت بمجموعة من الرّسائل والتّعليقات، والّتي كتبها عبد القاهر بعد الفراغ من كتابه" الدلائل"، وكذلك ألحق بالكتاب" الرّسالة الشّافية في الإعجاز".

فإذا انطلقنا من اعتبار كتاب" دلائل الإعجاز"، خطابا موجّها إلى متلق حقيقي أو متلق افتراضي، فإنّنا نبحث عن الظروف والحيثيّات الّتي تحفّ هذا الخطاب، أو ما يسمّى في الدّرس التّداولي (السياق)، لأنّ سياق الخطاب له دور في إدراك المعاني الّتي يضمرها الخطاب.

[1] وليد محمّد مراد، نظريّة النظم وقيمتها العلميّة في الدّراسات اللّغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983،ص 53.

ثالثا: سياق خطاب دلائل الإعجاز:

تتعدّد الخطابات وتتنوّع بتنوّع المضامين الّتي تحملها، فكل خطاب عبارة عن بناء من الأفكار يسعى إلى إنتاج أطروحات معيّنة أو تفنيد أطروحات أخرى. ونحن أمام كتاب" دلائل الإعجاز"، والّذي نعدّه خطابا يعبّر عن وجهات نظر تظهر صراحة أو ضمنا، فالمتأمّل في محتواه، يلاحظ أنّه يحمل علامات العقل الّذي أنتجه، ويعرف الخطاب بأنّه:« كل إنتاج لغوي يربط فيه برابط تبعيّة بين بنيته الدّاخليّة وظروفه المقاميّة».[1] فبنية خطاب الدّلائل ليست متعالقة فحسب، بل لا يمكن تحديدها بمعزل عن الظّروف المقاميّة الّتي أنتجته.

إذا أردنا إخضاع خطاب الدلائل للبعد التّداولي فإنّنا نعدّ السياق المتعدّد الأبعاد الأساس في فهم علاقة المتخاطبين فيما بينهم، فعبد القاهر الجرجاني في خطابه يحاور مستمعا افتراضيا ما يجعلنا ندرك أنّ بنية خطاب ما« عندما يتلفّظ في التّحاور يمكن أن ينشئ بذاته جزءا من السياق التّواصلي».[2] وعليه يمكن القول إنّ المقاربات التداوليّة الحديثة أعادت الاعتبار لسياق الخطاب بما يقتضي الانتباه إلى« قصد المتكلّم في توجّهه إلى السامع نفيا أو إثباتا لخبر معيّن، أو استفهاما عن أمر ما ونحو ذلك من كيفيّات القول».[3] حيث يقول مؤلّف خطاب الدلائل: « فإِنْ أَرَدْتَ الصِدْقَ، فإِنَّكَ لاَ تَرى في الدنيَا شأنًا أعجبَ منْ شأنِ النّاسِ معَ اللّفظِ، ولاَ فسادَ رأيٍ مازَجَ النّفوسَ وخَامرَهَا واستحكَم فيهَا وصارَ كإحدَى طبائِعها، منْ رأيهم في اللّفظِ...».[4] ويقول في موضع آخر:« ثمَّ إنَّ هذهِ الشناعاتِ الّتِي تقدَّم ذكرُها، تلزمُ أصحابَ الصرفةِ أيضًا، (...)».[5] ويقول أيضا:« واْعلمْ أنَّ القولَ الفاسدَ والرأيَ المدخولَ، إذا كانَ صدرُه عنْ قومٍ لهمْ نباهةٌ وصيتٌ وعلُوُّ منزلةٍ

---

[1] أحمد المتوكّل، قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفيّة(بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2001، ص16.

[2] فان دايك، النّص والسياق(استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي التداولي)، ص275.

[3] حافظ قويعة، سياق الحجاج في دلائل الإعجاز. مقال ضمن كتاب عبد القاهر الجرجاني(أعمال ندوة)، منشورات كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة صفاقس، تونس، ص253.

[4] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز. تح: محمود محمّد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، 1992، ص458.

[5] المصدر السابق، ص390.

في أنواعِ منَ العلومِ غيرَ العلمِ الّذِي قالُوا ذلكَ القولَ فيهِ، ثمَّ وقَعَ فِي الألسنِ فتداولتْهُ ونشرتهُ، وفشَا وظهَرَ، وكَثُرَ النّاقلونَ لهُ والمشيدونَ بذكرِهِ، صارَ التّركُ فيهِ سنّةً والتّقليدُ دينًا(....)».[1]من خلال هذه الملفوظات، يتّضح السياق الّذي دفع بالجرجاني إلى تأليف خطابه، فقد أراد تقويض مقولة أصحاب اللّفظ، وتشنيعها ورد الدعوى على القائلين بالصرفة.

إنّ لحظة التلفّظ الّتي سنحت بإنجاز خطاب دلائل الإعجاز، تتمركز في القرن الخامس للهجرة، وهو القرن الّذي شهد انحطاطا في جميع الجوانب وخاصّة الدّينية منها، فنتج عنها تشظّي النواة العقائديّة إلى نحل ومذاهب، وكثرة الآراء الكلاميّة، ممّا أجبر الفرق الدينيّة على استبدال آليّاتها الدفاعية، من ذلك أنّ بعض وجوه المعتزلة تراجعوا عن القول بحجيّة النظم على إعجاز القرآن وتمسّكوا بالصرفة، وقد استهوت القول بالصرفة أطراف أخرى، فتبنّتها وانبرت على الردّ على المتمسّكين بحجيّة النظم.[2]

ويرجع نصر حامد أبو زيد الأسباب الّتي دفعت عبد القاهر إلى تأليف خطاب الدلائل إلى مرجعيّته الدينيّة، حيث يرى أنّ« أشعريّة عبد القاهر، وطبيعة المعضلات الدّينية الّتي كان يواجهها، حجبته عن الانطلاق داخل التّخوم الّتي وقف عند حدودها لذلك كان حريصا أن يعطي للمعاني النفسيّة مركز الصدارة على النظم المعبر عنها، وذلك انصياعا للمفاهيم الّتي رسّخها أسلافه الأشاعرة، خاصّة توحيدهم بين الكلام والمعاني النفسيّة، خروجا من مأزق حدوث الكلام الإلهي، ولذلك لم يستطع عبد القاهر رغم التفاتته الدالّة أن يعمّق إمكانيّة تعدّد المعنى في فهم النص الواحد، لقد كانت هذه كلّها مشكلات قاربها عبد القاهر».[3]

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص464.

[2] حافظ قويعة، سياق الحجاج في دلائل الإعجاز، مقال ضمن كتاب عبد القاهر الجرجاني(أعمال ندوة)، ص255-256.

[3] نصر حامد أبو زيد، إشكاليّات القراءة وآليّات التّأويل، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1992، ص97.

ويذهب حمّادي صمود إلى أنّ الجهد الّذي بذله عبد القاهر الجرجاني، ليجعل حديثه أخطر نظريّة لغوية أنتجها تعامل العرب مع الظّاهرة اللّسانيّة، ليس جهدا لغويّا خالصا يقول: «وإنّما كانت تحرّكه نوازع عقائديّة، أفادت منها الدّراسات اللّغوية فائدة كبيرة، وهي إبطال الخلاف في كيفيّة الإعجاز والتّأليف بين مختلف مواقف العلماء على تباين نحلهم وتصوّراتهم».[1]

ممّا سبق يتّضح أنّ القرائن السياقيّة وردت صريحة في الخطاب الجرجاني، وإعجاز القرآن في رأيه كامن في نظمه، وهي الفكرة الّتي يتمركز حولها خطاب دلائل الإعجاز.

رابعا: نوع خطاب دلائل الإعجاز.

إنّ إستراتيجية الدّفاع الّتي تبنّاها عبد القاهر الجرجاني في كتابه" الدلائل" تجعلنا نقر أنّ كتاب" دلائل الإعجاز" في منطلقاته يعالج قضيّة كلاميّة في سياق سجالي، أراد من خلالها أن يدحض أفكار وآراء أصحاب اللّفظ والفصاحة، والدّفاع عن إعجاز النص القرآني الّذي ينحصر في النظم، يقول حمّادي صمود: « واللّهجة السّجالية الحادّة الّتي يطفح بها كتاب" دلائل الإعجاز"، حيث نجد صاحبه يوسّع من دائرة النظم، ويرسم نطاقه الاصطلاحي، ويبني حدوده وتعريفاته، ويرتّب مكوّناته، ويجرّب قدرته على الوقوف على أسرار البلاغة في النص، وعلى تعيين سبب ما فيه من مزية، في لهجة تغلب عليها المنازعة والمجادلة ويحدوها منطق المناظرة، حتى لكأنّ النظريّة تتحكّم فيها أقيسة الخطابة عوض أن تتولّد عن البراهين».[2]

وخطاب الدلائل حافل بالقرائن السّجالية نذكر منها على سبيل التمثيل قوله: « وأنْ يكونَ سبيلُنا سبيلُ منْ يُعْجِبُهُ أنْ يجادلَ بالباطلِ، ويموِّهَ على السَّامِعِ(...)».[3] وغيرها كثير في الخطاب، ومن مميّزات خطاب الدلائل البعد الحجاجي، فالجرجاني نفسه يستعمل الحجّة ومرادفاتها في ثنايا الكتاب، بالإضافة إلى الطّبيعة الحجاجيّة لمنهج التّأليف حيث ورد الخطاب كنسق حجاجي متكامل.

---

[1] حمّادي صمّود، من تجلّيات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنّشر والتّوزيع، تونس، ط1، 1999، ص85.

[2] المرجع السابق، ص36.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص3.

إنّ هذه المفاهيم الحجاجيّة السّجالية، تنبئ أنّنا أمام خطاب جامع أفرزته جهود خمسة قرون، حيث سعى فيه صاحبه إلى الاستدلال على إعجاز الخطاب القرآني، ولإبراز فاعليّتة أسهب في الحديث والإقناع،« فقد حاول مقاربة حقيقة القرآن لغويا، باعتبار مفهوم الإعجاز هو القضيّة الأساسيّة عنده، فوضع قواعد ناظمة لذلك في عمل أشبه بعلم أصول الفقه، (....) فامتاز عمله بمرونة في التّفكير، وقدرة على مناظرة من وجد فيه خصما له».[1]

خامسا: الآليّات الحجاجيّة في كتاب دلائل الإعجاز.

1- الإطار الحجاجي:

أشرنا أنّ كتاب "دلائل الإعجاز" عبارة عن خطاب موجّه إلى متلق حقيقي أو افتراضي، نظرا لما يحمله من مضامين ومعارف مختلفة، وبما أنّه يتضمّن علاقة تخاطبيّة فينبغي الحكم على أنّ هذا الخطاب ناتج عن علاقات استدلاليّة متداخلة فيما بينها ساهمت في بنائه وتشكيله.

ينتمي خطاب "دلائل الإعجاز" إلى صنف الحجاج التّقويمي، ويعرّف« بأنّه إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرّد من نفسه ذاتا ثانية، ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجّة إلى المخاطب، (...) بل يتعدّى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أوّل متلق لما يلقى، فيبني أدلّته أيضا على مقتضى ما يتعيّن على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته، ومستحضرا مختلف الأجوبة ومستكشفا إمكانات تقبّلها واقتناع المخاطب بها».[2] وكان هذا النّوع من الحجاج مهيمنا على خطاب الدلائل، لأنّ الجرجاني يعترض على بعض الآراء فيقدم أدلّة ويستدل على نقيضها، كما أنّه يقدم دعاوي ويفترض لها معترضا افتراضيا، ممّا جعل خطابه شاملا لفعلي الإلقاء والتلقي.

[1] إبراهيم محمود، قراءة معاصرة في إعجاز القرآن، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، سوريا، ط1، 2002، ص125-126.

[2] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص288.

ومن المقولات الّتي تتجسّد في الحجاج التقويمي: « قال...فقلت»، « إن قلتم ... قلنا»، « فإن قيل... قيل»، « كيف يكون كذا مع أنّه كذا وكذا».[1]

يشير الباحث "علي الشعبان"، أنّ الخطاب الّذي يشتمل على مقولة: « فإن قال منهم قائل (...) قيل له». خطابا ذا بنية تشارطيّة تحاوريّة.[2] وتتجسّد هذه المقولة في خطاب دلائل الإعجاز، حيث تتّخذ مسارا حجاجيا على طول الخطاب، فالجرجاني كما سبق وأن أشرنا يؤكّد على مدى تقبّل المخاطب لصحّة دعواه، منزّلا نفسه في الوقت ذاته كمعترضا فيقدّم حججه المفترضة.

إنّ خطاب دلائل الإعجاز يحفّ بالصيغ الحجاجية الّتي تجعلنا ندرك أنّ الجرجاني أراد أن يؤكّد فكرة، وأن يصل إلى غاية، من خلال توجيه خطابه وجهة أساسيّة في الردّ عن أولئك الّذين قالوا بالصرفة، وتقويض مقولات أصحاب اللفظ، من أجل إثبات فصاحة النص القرآني(رد إعجاز القرآن إلى النظم)، ويتّضح ذلك من خلال بعض الأفعال المتواترة والمبثوثة على طول المسار الحجاجي منها:

- الإنباء بالعلم والمعرفة: في قوله:« اِعلمْ» حيث نجدها مكثّفة في الخطاب يقول الجرجاني في الردّ عن شبهة في شأن النظم:« واْعلمْ أنَّ منْ سبيلِكَ أنْ تَعْتَمِدَ هذا الفصلَ حدًّا وتجعلَ النكتَ الّتِي ذكرتُهَا فيهِ علَى ذكرٍ منكَ أبدًا، فإنَّها عمدٌ وأصولٌ فِي هذا البابِ».[3] وكما ترد هذه الصيغة ترد مشتقاتها أيضا: "ومن المعلوم"، و"أنت تعلم". وهذه الصيغة:« داخلة في سنن التأليف لدى قدامى العرب، تتضمّن مقتضيات معنوية مدارها على إحداث التنبيه إلى جلالة المقال ورفعة العلم المقدّم».[4]

- الإدراج والحشر: في قوله:« ألاَ ترَى(...) ». فالغاية من «الحجاج إدراج الجمهور في مقاصد المحاج ومراميه».[5] يقول الجرجاني: « أفَلاَ ترَى أنَّ أوَّل شيءٍ يرُوقُك

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص473.

[2] علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل(بحث في الأشكال و الاستراتيجيات). تقديم : حمادي صمود، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص229.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص53.

[4] علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ص230.

[5] المرجع السابق، ص230.

منهَا(...)».[1] وقوله أيضا:« ألاَ ترَى أنّكَ ترَى(...)».[2] وفي موضع آخر يقول:« ألاَ ترى أنَّك إذا قلتَ(...)».[3] ومن خلال خطابه يتّضح أنّ المحاجج، أراد أن يؤكّد فكرة مفادها أنّ النظم هو الأساس الّذي يقوم عليه الإعجاز البلاغي في القرآن، فنجده يميل إلى التّنويع والتّجديد في الخطاب من أجل كسب الجمهور المتلقي وإذعانه.

- الحوارية والتفاعل:

نلمح هذان المبدأين في خطاب دلائل الإعجاز، إن لم نقل أنّهما الأساس الّذي بنيا عليه، وتمثّله الصيغة:« فإن قلتَ:... قيل». ولنا أن نورد مثالا تتجلّى فيه الحواريّة Dialogisme، والتفاعل L'interaction ، في" تركيب شرطي"* صاغه مؤلّف دلائل الإعجاز.

يقول:« فإنْ قلتَ: هلْ كانَ يجوزُ أنْ يُعْطَفَ قولُه تعالَى:﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ علَى" قالُوا" منْ قولِه:﴿ قالُوا إنَّا مَعَكُم﴾. لا على ما بعدَه، وكذلكَ كانَ يَفْعَلْ فِي﴿ إنَّهُمْ همْ المفسِدون﴾ و﴿ إنَّهُمْ همْ السُّفَهاء﴾.(...) قيلَ: إنَّ حُكْمُ العطفِ علَى« قالُوا» فيمَا نحنُ فيهِ، مخالفٌ لحكمِهِ فِي الآية الّتِي ذكرتَ، وذلكَ أنَّ« قالُوا» ههنا جوابُ شرطٍ، فلوْ عُطف قولُهُ تعالَى: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئ بهمْ﴾ عليه، للزمَ إدخالُه فِي حكمِهِ منْ كونهِ جوابًا، وذلكَ لاَ يَصِحُّ».[4]

إنّ الصيغة الحوارية والتفاعلية الّتي اعتمدها المحاجج، تجعل من خطابه ذا مقصد فكريا هدفه التأثير في الآخر وإقناعه بأفكاره، واستشراف ما لديه من اعتراضات من خلال

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص85.

[2] المصدر السابق، ص152.

[3] المصدر نفسه، ص155.

* إنّ البنية القائمة على الشرط باعتبارها بنية بسيطة تُولّد بمفعول قانون التّحاور ضربا من التّفاعل ونوعا من التعامل بين المحاجج و المحجوج، وهو ما ينشأ عنه تشكيل دلالي وتركيب معنوي، يجعل قول القائل استجابة لطلب السائل، وفي ذلك إضمار استراتيجي حاصل أمره أنّ الأفكار الّتي يرمي الباث إلى تمكينها في كيانات الجمهور، هي بمثابة المطلب الاختياري وليست من قبيل الإملاء الإجباري، ومن ثمّة تخرج البنية المجرّدة من حيث هي بنية بسيطة من دائرة الصمت الّذي تحويه الأبنية قبل تحريكها من لدن المتكلّم إلى دائرة الإنشاء والإحداث، إنشاء الممكنات الدّلالية واجتراح الجوازات الاستراتيجية. علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيات) ، ص235.

[4] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز،ص233.

الأسئلة الّتي يثيرها الخطاب والأجوبة الّتي يقدّمها، حيث اعتمد المحاجج البنية الحواريّة للوصول إلى غاية، وهي ترسيخ أطروحاته وتفنيد مقولات خصومه.

2- المنطلق الحجاجي:

يستهل منتج خطاب "دلائل الإعجاز" خطابه بمقدّمة بيّن فيها المعطيات والقضايا الّتي دفعته إلى إنتاج خطابه، فالمتأمّل في مقدّمة دلائل الإعجاز يلمح أنّها وردت في لهجة سجاليّة، فكانت منطلقا حجاجيا يحوي الكثير من القرائن الحجاجيّة كقوله: « وأنْ يكونَ سَبيلُنا سبيلَ منْ يُعْجِبه أنْ يجادِل بالباطلِ، ويموِّه علَى السامعِ».[1] ويقول أيضا:« واجتهادُنَا في أنْ نؤدِّيَه ونرعَاهُ، كانَ كمَنْ رامَ أن يُنْسِينَاهُ جُملةً، ويُذْهِبهُ من قلوبِنا دفعةً، فسواءٌ مَنْ منعكَ الشيءَ الّذِي تَنتزِعُ مِنه الشاهدَ والدليلَ».[2] ويقول:« أتَعرِفُ له معنَى غيرَ أن لا يزال البرهانُ منه لائحًا معرضًا لكلِّ من أرادَ العلمَ بهِ، وطلبَ الوصولَ إليهِ، والحجّةُ فيه وبه ظاهرةٌ لمن أرادَهَا».[3]

إنّ المقدّمة الحجاجية وما حوته من قرائن تجعلنا نتيقّن أنّنا أمام خطاب يحمل مقاصد، ويسعى إلى تحقيق أهداف وغايات، لذا جاءت طريقة عرضها محكمة البناء تكشف عن فحوى الخطاب، حيث بدأها بالبسملة، والحمد والشكر والثّناء والدّعاء في قوله:"نسأله"، كما بيّن مقصده من خطابه وهو الصدق والصّواب، وعدم التمويه والجدال بالباطل، ثمّ الصّلاة والسّلام على محمّد صلّى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الخلفاء الراشدين،...

إنّ مقام الحمد والتعظيم في سياق الاحتجاج، يتضمّن وعيا مسبقا بملامح الجمهور المتقبّل، لأنّه جمهور مسلم مؤمن، موحّد مذعن، يعتقد الاعتقاد كلّه في مقام الحمد والتعظيم، وبما أنّ الجرجاني مشغول ببناء خطاب مؤثّر كان« الابتداء بالحمد والتعظيم، مقاما يحضن الخطاب ويحصّنه من الاعتراض».[4] وهذا ما يجعلنا ندرك النزعة الدينيّة

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص3.

[2] المصدر السابق، ص9.

[3] المصدر نفسه، ص10.

[4] علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ص250.

الّتي يحتكم إليها الجرجاني، كونه سنّيا أشعريا يؤمن بوحدانية الله وقداسة النص القرآني المنزّل على محمد صلّى الله عليه وسلم.

ثمّ يتدرّج في بيان فضل العلم على الإنسان بصفة عامّة، لينتهي إلى علم البيان وفضله على جميع العلوم، وما لحقه من الحيف والخطأ في عدم فهمهم دقائقه وأسراره الّتي تستقى بالعقل والفكر والرويّة، ثم يبسط القول في الشعر وعلم النحو اللّذان يعتبران الأساس في علم البيان والأصل في إعجاز القرآن، فالشعر كما نعلم ديوان العرب وعلم النّحو الّذي له فضل في حماية القرآن من اللّحن، ثمّ يردّ على المقولات التي ذهب إليها المعتزلة في الإعجاز، لأنّهم من قالوا بالصرفة وترك المعارضة.

كما أنّ المعطيات الّتي قدّمها منتج خطاب دلائل الإعجاز، تتماشى مع القيم الّتي أراد الدّفاع عنها، والردّ عن من رأى أنّ إعجاز القرآن يكمن في عجز العرب عن معارضته. وأنّهم كانوا قادرين على أن يأتوا بمثله لولا صرفهم الله (الصرفة) وهذا مبدأ أقرّه النظام* وتبعه أصحابه من المعتزلة.

صاغ المحاجج مقدّمة خطابه وفق نسق حجاجي لغوي، حيث جعل من اللّغة حججا في استمالة جمهوره وإذعانه على الطّاعة، وعلى استكشاف فحوى خطابه، ويتّضح ذلك من خلال استخدامه للأفعال اللّغوية، والّتي تؤدّي دورا تداوليا في الخطاب، والجدول الآتي يوضح لنا مجموعة البنى اللغوية وأفعالها الحجاجية الواردة في مقدّمة دلائل الإعجاز:

* قال جماعة من المتكلمين ومنهم النظام، أنّ الإعجاز في القرآن حاصل بالقدرة الإلهية، فالله قد أنزل وحيه وتحدى به المكذبين والخلق كافة أن يأتوا بمثله، فما استجابوا بل عجزوا، وذلك بفعل إرادته الّتي صرفتهم عن المعارضة البيانيّة للقرآن، فالإعجاز من هذا المنظور أثر خارجي قدري، ولولا ذلك لكان في الوسع إنشاء نصوص تشاكل النص القرآني، والقول بالصرفة علّة الإعجاز، ويجعل أدبية القرآن أمرا تعليميا مدركا. سليمان عشيراتي، الخطاب القرآني(مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص17.

البنى اللغوية	أفعالها الحجاجية
ثُمَّ إِنَّكَ لاَ ترَى عِلْمًا هُوَ أَرسخُ أصلاً، وأبسَقَ فرْعًا وأحلَى جَنًى، وأعذَبَ وِرْدًا، وأكرَمَ نِتَاجًا، وأنْوَرَ سِراجًا، منْ علمِ البيانِ.[1]	المفاضلة
لاَ، ولاَ وجَدَ إلَى اكتسابِ الفَضْل طريقًا، ولا وُجِدَ بشيءٍ من المحَاسنِ خليقًا، ذاكَ لأنَّا وإنْ كُنَّا.[2]	النفي المؤكّد
وذاكَ أنَّا إذَا كُنَّا نَعْلمُ.[3]	تأكيد العلم.
فإنْ قالَ منهمْ قائلٌ(...) قيلَ لهُ.[4]	الشرط.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص5.

[2] المصدر السابق، ص4.

[3] المصدر نفسه، ص8.

[4] نفسه، ص10.

أتعرفُ لهُ معنًى؟.[1]	استفهام.
نحِّ الهوَى عنكَ، وراجعْ عَقْلَك، واُصْدُق نفسكَ.[2]	نصح وإرشاد
والّذِي لولاَ تَحَفِّيه بالعلومِ (...) لبقيتْ كامنةً مستورةً.[3]	إثبات مكانة وفضل العلم.
فتجب أن يفضل بعضه بعضا.[4]	الوجوب والإمكان.

إنّ الأفعال الحجاجيّة الواردة في مقدّمة خطاب دلائل الإعجاز لها دور في تفعيل حركة الخطاب ونجاعته، فالجرجاني يحاجج ويطالب بالحجّة في الوقت نفسه، لأنّ إعجاز القرآن يكمن في نظمه، ومن قال غير ذلك فعليه بالحجة والبرهان، كما استعمل في مقدّمته الحجاجية الألفاظ المترادفة مثل قوله: بانت، ظهرت، يغيّر، يبدّل، أثره، رسمه، اعتقادات فاسدة، ظنون رديّة. ويكمن دور الألفاظ المترادفة الموظّفة في المقدمة في تأكيد كلامه وتقويته.

إنّ كفاءة منتج خطاب "دلائل الإعجاز" اللّغوية، جعلته يتخيّر حجج مقدّمته من أجل حمل المستمع على الإذعان والاقتناع، بمكانة علم البيان ودوره في بيان إعجاز القرآن، غير أنّ الإقناع والإذعان لا يتحقّق إلاّ بمجموعة من الآليّات أو التقنيّات الحجاجيّة، والّتي تختلف من آليّات استدلاليّة تداوليّة، إلى آليات لغويّة وبلاغيّة، حيث تتفاعل فيما بينها في مسار حجاجي مشكّلة بذلك نسقا حجاجيا، يؤكّد نجاعة الخطاب في تحقيق التأثير.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص10.

[2] المصدر السابق، ص10.

[3] المصدر نفسه، ص6.

[4] نفسه، ص7.

3- الآليات الحجاجيّة.

3-1 الحجج القائمة على علاقة شبه المنطقية: les arguments fondés sur une relation quasi-logique

استند المحاجج في بناء خطابه بمجموعة من الآليات الإنتاجيّة، والّتي كان لها أثر واضح في تشكيل مضامين خطابه، وتوصيلها إلى الغير. منها الآليات الاستدلاليّة التداوليّة وأخرى لغوية وبلاغيّة، اشتغلت داخل الخطاب الجرجاني من أجل تحقيق وظيفته التأثيريّة على جمهور المتلقين عامّة، والفئة المخصّصة وهم أصحاب اللّفظ وأصحاب الصرفة. فعمد في إنتاج خطابه على آليّة الاستدلال وهو في حدّ المناطقة:« علاقة لزوم بين مقدّمات، ونتيجة معروفة سلفا».[1]

فالآليات الاستدلاليّة الّتي ينطوي عليها الخطاب الطبيعي، تمثّل في جوهرها تقنيّات حجاجيّة جدليّة، كما يعدّ الاستدلال أحد الأنساق المعرفيّة والمنطقيّة الّتي وظّفها الجرجاني في خطابه، لذا يمكن التّمييز بين نوعين من الاستدلال: « الاستدلالات النظريّة، وهي الّتي ينتجها المستدل شخصيا أو بنفسه، للوصول إلى العلم بأمور معيّنة تشغله، فيسمّى ناظرا، وأمّا الاستدلالات التناظريّة: فهي استدلالات ينتجها بالمشاركة مع غيره طلبا للصّواب في مسألة وقع التّنازع فيها، فيسمّى" المناظر"».[2] فهذه الآليّة كان لها دور في عرض وبسط القضايا البلاغيّة، فمزج بين القياس الشرطي بنوعيه المتّصل والمنفصل والقياس الحملي، ونذكر منها:

1- القياس الشرطي:syllogisme exceptif

يتألّف من قضايا شرطيّة صرفة، والاقتران بينهما إمّا أن يكون بين متّصلين أو منفصلين، لذلك يتألّف من مقدّمتين إحداهما شرطيّة والأخرى حمليّة، تكون مذكورة في المقدّمة الشرطيّة، أو تكون نقيضتها، كما تكون مقرونة بأداة الاستثناء" لكن"،

---

[1] بناصر البعزاتي، الاستدلال والبناء(بحث في الخصائص العقليّة العلميّة)، المركز الثقافي العربي، دار الأمان، الرّباط، ط1، 1999، ص413.

[2] طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، ص86.

وأمّا النتيجة فتكون إمّا الجزء الآخر من الشرطيّة أو نقيضه[1]. والجزء الأوّل من القضيّة الشرطيّة يسمّى" المقدّم"، والجزء الثاني" التّالي"، وتنقسم إلى: قضيّة شرطيّة متّصلة وتكون الصّلة بين القضيّتين شرطيّة لزوميّة، (...) فيسمّى الشرط" مقدّما"، والمشروط أو الجزاء" تاليا" وصيغة هذه القضيّة التّعبير بأدوات: إذا... ف، لو كان... ف، وما يقوم مقامها.[2] وقد وظّف المحاجج هذا النوع من القياس، من أجل تحقيق مقاصد وغايات كان يهدف إليها من وراء خطابه، فجاءت طرق استدلاله وأنماط برهانه متنوّعة منها:

أ- القضية الشرطية المتّصلة:proposition conjonctive

وردت في الخطاب منها قوله:« ولوْ كانَ قولُ القائلِ لكَ في تفسيرِ الفصاحةِ، إنَّهَا خُصوصيَّةٌ فِي نظمِ الكلِمِ وضمِّ بعضِهَا إلَى بعضٍ على طريقٍ مخصوصةٍ، أو على وجوهٍ تَظهرُ بها الفائدة، أو ما أشبه ذلك من القولِ المجملِ، كافيًا فِي معرفتِهَا ومُغْنِيًا في العلم بهَا، لكفَى مِثْلُه في معرفَةِ الصِّناعَاتِ كُلِّها، فكان يكفِي في معرفَةِ نسجِ الدّيباجِ الكثيرِ التّصاويرِ أنْ تعلمَ أَنَّه ترتيبٌ للغَزْل على وجهٍ مخصوصٍ، وضمٌّ لطَاقاتِ الإبْرِيسَمِ بعضها إلى بعضٍ على طُرُقٍ شَتَّى. وذلكَ مَا لاَ يَقُولُه عاقلٌ».[3] والجدول التالي يبين لنا ذلك:

الرابطة الشّرطية	المقدّم	التّالي
لوْ كانَ	قولُ القائلِ لكَ في تفسيرِ الفصاحةِ(...) فِي معرفةِ الصِّناعاتِ كلِّها.	فَكانَ يكفِي في معرفةِ النّسجِ (...) وذلكَ ما لا يقولُه عاقلٌ.

يستدلّ المحاجج في هذا النص، من أنّ الفصاحة لا تكون في ضمّ الكلم على طريقة مخصوصة، ولو كان هذا كذلك لسهل علينا معرفة جميع الصّناعات، فعقد مقارنة بين نظم الكلام ونسج الدّيباج، وهو يفنّد في ذلك مقولة" القاضي عبد الجبار"،

[1] رشيد قوقام، أسس المنطق الصوري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص137.

[2] المرجع السابق، ص77.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص36.

الّذي يرى أنّ الفصاحة تظهر في نظم الكلم وضمّ بعضه إلى بعض على طريقة مخصوصة*.

وفي نص آخر يقول: « وإذاَ نظرْتَ إلى الفصاحةِ هذا النَّظرِ، وطلبتها هذا الطَّلَبَ، احتجْتَ إلى صبرٍ علَى التأمُّل، و مواضبةٍ على التدبُّرِ، وإلى همة تأبَى لك أن تَقْنَع إلاّ بالتَّمامِ، (...) فقد أمَمْتَ إلى غرضٍ كريمٍ، وتعرَّضْتَ لأمرٍ جسيمٍ، وآثرتَ الّتِي هي أتمُّ لدينِكَ وفضلكَ، وأنبلُ عندَ ذوِي العقولِ الرَّاجحةِ لكَ، وذلكَ أنْ تَعرِفَ حُجَّةَ الله تعالى منَ الوجهِ الّذِي هو أضوأُ لها وأنوهُ لهَا،(...)».[1] والجدول التالي يوضّح لنا ذلك:

الرابطة الشرطيّة	المقدّم	التّالي
وإذَا	نظرتَ إلى الفصاحةِ (...).	فقدْ أمَمْتَ إلى غرضٍ (...) وأنوه لها.

ومن خلال هذا النص، يتبيّن لنا أنّ الجرجاني يردّ إعجاز القرآن إلى خصائص في نظمه، فالفصاحة هي مناط الإعجاز؛ وتفسيره ينبغي أن يطلب في علاقات الكلم النحويّة، ومن أراد الوصول إلى الإعجاز القرآني، عليه بالتأمّل والتدبّر من أجل معرفة الحجّة في ذلك.

* ذكر" القاضي عبد الجبّار"(ت 415هـ) في كتابه" المغني في أبواب العدل والتوحيد" في معرض حديثه عن إعجاز القرآن من الوجهة البلاغية، نقلا عن شيخه "أبي هاشم الجبائي" أحد أئمّة المعتزلة، في أنّ الكلام يكون فصيحا بأمرين: جزالة لفظه، وحسن معناه... حيث تحدّث عن معنى الفصاحة قائلا:«اعلم أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنّما تظهر بالضمّ على طريقة مخصوصة». وفي السياق نفسه يقول:« إنّ المعاني لا تتزايد، وإنّما تتزايد الألفاظ». شفيع السيّد، فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 2002، ص93.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص37.

وفي موضع آخر يقول: « كلَّمَا كانَ الأمرُ أبينَ، كانُوا عنِ العلم بهِ أَبْعَد، وفي تَوَهُّمِ خِلافِه أَقْعد، وذلك لأنَّ الاعتقادَ الأوَّل قدْ نَشِبَ في قلوبهم، وتأشَّبَ فيهَا، ودخلَ بعروقهِ في نواحيهَا، وصارَ كالنّباتِ السَّوْءِ الَّذِي كُلَّمِا قَلَعْتَهُ عادَ فنبتَ».[1] والجدول التالي يوضح لنا ذلك:

الرابطة الشرطيّة	المقدّم	التّالي
كلَّمَا كَانَ	كانُوا عن العلم به أبعَد(...) في نواحيها.	صار كالنّباتِ السَّوْءِ، الَّذِي كُلَّمَا قَلَعْتَهُ عادَ فنبتَ.

نلاحظ أنّ جملة جواب الشرط، والتي تمثّل"التالي" من القضية، انقسم بدوره إلى قضيّة شرطيّة فرعية مؤلّفة من الشرط وجوابه، في قوله: « كلّما قلعته(...) فنبت». ويردّ المحاجج في هذا النص، عن أصحاب اللّفظ الّذين يرون أنّ النظم يختص به اللّفظ دون المعنى، ويرى أنّ قضيّة اللّفظ قد تأصّلت في اعتقاداتهم الّتي انجرّت وراء التقليد والتوهّم، وإطلاق اللّفظ من غير معرفة بالمعنى. ومن بين الآليات الحجاجية الّتي وظّفها في خطابه، حجة التشبيه في قوله:"صار كالنبات السوء"، بالإضافة إلى استدلاله بالشرط القائم على حجّة المفاضلة في قوله" أبعد".

ويقول أيضا: « وإذَا بطلَ أن يكون ترتيب اللّفظِ مطلوبًا بحالٍ، ولم يكنْ المطلوبُ أبدا إلاَّ ترتيبَ المعاني، وكان مُعوَّل هذا المخالِف على ذلك، فقد اضمحلَّ كلامُه، وبانَ أنّه ليسَ لمنْ حامَ في حديثِ المزيةِ والإعجازِ حولَ اللّفظِ، ورام أنْ يجعله السببَ في هذه الفضيلة، إلاّ التسكّع في الحيرة، والخروج عن فاسد من القولِ إلى مثله».[2] والجدول التالي يوضح لنا ذلك:

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص365.

[2] المصدر السابق، ص62.

الرابطة الشرطية	المقدم	التالي
وإذا	بطل أن...على ذلك.	فقد اضمحلّ ... إلى مثله.

استنادا إلى هذا النص، نلمح أنّ الجرجاني يعرّض بأصحاب اللفظ، لأنّ ترتيب الألفاظ في النطق، يحتاج إلى ترتيب المعاني في النفس، ومن ثمّ نتحصل على الفضيلة، فنحن لا نطلب اللفظ فحسب، بل نحتاج إلى فكر وروية في تصوير المعنى، وإلاّ وقعنا في الحيرة وفساد القول.

وفي نص آخر يقول: « وإذَا كانَ معنَى اللّفظِ موجودًا على الحقيقةِ، لمْ يكنْ المجازُ في نَفْسِه، وإذَا لمْ يكنْ المجازُ في نفسِ اللّفظِ، كانَ لاَ محالةَ فِي الحُكْمِ، فَاْعْرِفْ هذه الجملة، وأحْسِنْ ضبطَهَا، حتَّى تكونَ علَى بصيرةٍ من الأمرِ».[1]

ويتّضح من خلال هذا المثال أنّ هناك قضيّتن شرطيتين جاءت صيغتهما كالآتي:

- إذا كان: (ب) $\overset{\text{يستلزم}}{\leftarrow}$ (ج).
- فإنّ: (لا ب) $\overset{\text{يستلزم}}{\leftarrow}$(لا ج).

وتسمّى عند بعضهم بدوران المقدّم مع التّالي، فإثبات المقدّم يستلزم بالضرورة إثبات التّالي، ونفيه يستلزم آليا نفي التّالي.[2]

إذا كان: (ب) يلزم (ج). فإنّ: (لا ب) يلزم (لا ج).

الرابطة الشرطيّة	المقدّم	التّالي	الرابطة الشرطيّة	المقدّم	التّالي
إذا كان	معنى اللفظ موجودا على الحقيقة	لم يكن المجاز في نفسه.	إذا لم يكن	المجاز في نفس اللفظ.	كان لا محالة في الحكم

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص297.

[2] طه عبد الرحمان، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص396.

ب- القضيّة الشرطيّة المنفصلة:proposition disjonctive

تكون الصّلة بين الجملتين شرطيّة انفصالية، وصيغها إمّا (...) وإمّا.[1] ومنها قوله: « وإذا كان هذا كذلكَ، لمْ يَخْلُ هذا الّذِي يجعلُ في الألفاظِ فكرًا منْ أحد أمرين: **إمَّا** أنْ يُخرِج هذه المعاني من أن يكونَ لواضعِ الكلامِ فيهَا فكرٌ ويجْعَلَ الفكرَ كُلَّه في الألفاظ، **وإمَّا** أن يجعل له فِكْرًا في اللّفظِ مفردًا عن الفكرة في هذه المعانِي، فإنْ ذَهَبَ إلَى الأوّلِ لمْ يكلَّمْ، وإنْ ذهبَ إلى الثّانِي لزمَه أنْ يُجَوِّزَ وقوعَ فِكرٍ من الأعجمي الّذِي لاَ يعرِفُ معانيَ ألفاظِ العربيّةِ أصلاً في الألفاظ، وذلكَ ممَّا لاَ يخفَى مكانَ الشُّنعةِ والفضِيحةِ فيهِ».[2]

وتتمثّل أداة الشرط المنفصل في قوله: إمّا(...) وإماّ(...). وهذا النوع من القضيّة الشرطيّة يسمّى" بالسّبر والتقسيم".[3] حيث يعمد المحاجج إلى الاستدلال على صحّة قضيّته باستخدام أدوات شرطيّة تفيد الاحتمال والتقسيم، ويتّضح ذلك من خلال قوله: « يجعل في الألفاظ فكرا من أحد أمرين: فإن ذهب إلى الأول(...) وإن ذهب إلى الثاني(...)»، بالإضافة إلى هذه القضايا استدلّ المحاجج في خطابه بقضيّة أخرى تعرف باسم" القضيّة الموجّهة".

ج- القضية الموجّهة:proposition modale

وهي القضية« الّتي تقرن بمحمول القضيّة، فتدلّ على كيفيّة وجوده للموضوع، هل هو ضروري له أو ممكن أو ممتنع، لأنّ المحمول بالنّسبة إلى الموضوع إمّا أن يكون دائم الوجود أو دائم امتناع الوجود».[4] وهذه القضيّة تكون من جهة الضرورة والإمكان والاستحالة والامتناع، ومثال ذلك قوله:« وممَّا يعلمُ به ضرورةً، أنَّهُ لاَ تكونُ البدايةُ بالفعلِ كالبدايةِ بالاسمِ،(...) فمحالٌ ذلكَ فيهِ لأنَّهُ ليسَ يَخْتَصُّ بهذَا دونَ ذاكَ حتَّى يُسأَل عنْ عينِ فاعلِهِ».[5]

[1] رشيد قوقام، أسس المنطق الصوري، ص78.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص416-417.

[3] طه عبد الرحمان، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص397.

[4] رشيد قوقام، أسس المنطق الصوري، ص79.

[5] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص112.

نلاحظ أنّ المحاجج استعمل في خطابه كل الصّيغ الّتي تختص بها القضيّة الموجّهة، من ضرورة وإمكان واستحالة.

2- القياس الحملي:syllogisme catégorique

ويعرّف على أنّه:« قول مؤلّف من قضايا، إذا سلمت لزم عنه لذاته قولا آخر»[1].

ومن أمثلة القياس الحملي في خطاب "دلائل الإعجاز" قوله:« وأْعلمْ أنَّا لمْ نوجب المزيَّة من أجلِ العلمِ بأنفسِ الفروقِ والوجوهِ فتستندَ إلى اللّغةِ، ولكنَّا أوجبْنَاهَا للعلمِ بمواضِعِها، وما ينبغِي أنْ يُصْنَعَ فيها، فليسَ الفضلُ للعلمِ بأنَّ" الواو" للجمع و"الفاء" للتعقيب بغير تراخٍ، و" ثمّ" له بشرط التراخِي و" إنْ" لكذا و"إذَا" لكذا، ولكنْ لأَنْ يَتَأَتَّى لك إذَا نظمت شعرًا وألَّفت رسالةً أن تُحسنَ التخيُّرَ، وأنْ تعرِفَ لكلَّ من ذلكَ موضعَهُ».[2]

النموذج الأوّل من القياس الحملي يتكوّن من: (مقدّمتين + نتيجة).

المقدمة1: اعلم أنّا (...) إلى اللّغة.

المقدّمة2: لكنّا أوجبناها للعلم بمواضعها.

النتيجة: لأنّ يتأتى لك(...) أن تعرف لكل من ذلك موضعه.

فالمحاجج يرى أنّ المزية تكمن في معرفة مواضع اللّغة، لأنّ معرفة المواضع يجعلنا نحسن التأليف ونتخيّر الألفاظ في عمليّة النظم. ويمكن صياغة هذا القياس الحملي كالآتي:

- لم نوجب المزية للعلم بالفروق والوجوه اللّغوية.
- لكن أوجبناها للعلم بمواضع اللّغة.
- إذن: المزية لمعرفة مواضع اللّغة.

نلاحظ من خلال صياغة هذا القياس أنّ الجرجاني وظّف أدوات الربط الحجاجية، بالإضافة إلى استخدامه لفعل الأمر" اعلم".

كما نجد كذلك قياسا حمليّا يتألّف من (نتيجة+ مجموعة من المقدّمات). ونورد المثال على طوله يقول: « إنَّ غَرَضُنا من قولنَا: إنَّ الفصاحةَ تكونُ في المعنَى، أنَّ المزيّةَ الّتِي منْ أجلِهَا اِسْتَحَقَّ اللفظُ الوصفَ بأنَّهُ فصيحٌ هيَ في المعنَى دونَ اللفظِ، لأنَّهُ

[1] رشيد قوقام، أسس المنطق الصوري، ص101.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص249-250 .

لوْ كانتْ بها المزيَّةَ الّتِي منْ أجلِهَا يَسْتَحِقُّ اللّفظُ الوصفَ بأنَّه فصيح، تكونُ فيهِ دونَ معناهُ، لكانَ ينبغِي إذَا قلنَا في اللفظةِ" إنّها فَصيحة"، أن تكون تلك الفصاحةُ واجبةٌ لهَا بكلِّ حالٍ، ومعلومٌ أنَّ الأمرَ بخلافِ ذلكَ، فإنَّا نرى اللّفظةَ تكونُ في غايةِ الفصاحةِ في موضعٍ، ونراهَا بعينهَا فيمَا لا يحصَى من المواضعِ، وليسَ فيهَا منَ الفصاحةِ قليلٌ ولا كثيرٌ، وإنّمَا كانَ كذلكَ لأنَّ المزيّةَ الّتِي منْ أجلِهَا نصِفُ اللّفظَ في شأننا هذا بأنَّهُ فصيحٌ، مزيّةً تحدثُ من بعد أن لا تكون، وتظهَرُ في الكلمِ من بعدِ أنْ يَدْخُلها النظم، وهذا شيءٌ إنْ أنتَ طلبتَه فيهَا وقدْ جئتَ بها أفرادًا لمْ تَرُمْ فيها نظمًا، ولمْ تحدِثْ لها تأليفًا، طلبتَ محالاً، وإذا كان كذلك، وجبَ أنْ يُعْلَمَ قطعًا و ضرورةً أنَّ تلكَ المزيّةَ فِي المعنَى دونَ اللّفظِ».[1] وهذا القول يتألّف من:

النتيجة: إنّ غرضَنَا (...) في المعنَى دونِ اللّفظِ.

المقدمة1: لأنَّه لو كانت (...) بكلِّ حالٍ.

المقدّمة2: ومعلومٌ أنَّ الأمرَ بخلافِ ذلكَ(...) قليلٌ ولا كثيرٌ.

المقدّمة3: وإنّمَا كان كذلك لأنَّ(...) يدخلها النظم.

المقدّمة4: وهذا شيء إن أنت(...) طلبتَ محالاً.

المقدمة5: وإذا كان كذلك، وجب أن(...) المزيّة في المعنى دون اللّفظِ.

استدل المحاجج عن صحّة دعواه من أنّ المزية تكون في المعنى دون اللّفظ، وذلك يتم عن طريق النظم، فجاء بأداة الربط الحجاجية" إنّ" الّتي قدّمت النتيجة عن المقدّمات، والّتي مثّلت قضايا مطروحة، ويمكن لنا صياغة هذا النص وفق: (أداة الربط الحجاجية+ النتيجة+ الحجج).

ويضمر هذا القول ردّا عن الّذين يرون أنّ الفصاحة في الألفاظ دون المعاني، فنجده في الكثير من المواضع في خطابه يقوّض مقولة أصحاب اللّفظ ويفنّدها ويدحضها باستخدام الأدلّة البيّنة والبراهين المنطقيّة، الّتي تجعل المخاطب يسلّم بصحّة مقولاته ويذعن لها.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص400-401.

أمّا النموذج الأخير من القياس الّذي نقترحه، فهو نص أورده في شأن إعجاز القرآن يقول فيه:« ورأينَا العقلاءَ، حيثُ ذكرُوا عجزَ العربِ عنِ مُعارضةِ القرآنِ قالُوا: إنَّ النّبيَ صلَّى الله عليه وسلّم تحدّاهُمْ وفيهمْ الشعراءُ والخطباءُ والّذِينَ يدلُّونَ بفصاحةِ اللّسانِ، والبراعةِ والبيانِ، (...) ولمَّا ذكرُوا مُعجزاتَ الأنبياءِ عليهم السَّلام قالوا: إنَّ الله تعالى قدْ جَعَلَ مُعْجِزَة كلِّ نبي فيمَا كانَ أغلبَ علَى الّذِينَ بُعثَ فيهِمْ، وفيمَا كانُوا يتباهَوْنَ بِه، وكانتْ عوامُّهُمْ تُعَظِّمُ به خواصَّهم قالوا: إنَّه لمَّا كانَ السّحرُ الغالبَ على قومِ فرعونَ، ولمْ يكنْ قدْ استحكَمَ في زمانٍ استحكامَه في زمانِهِ، جعل تعالَى معجزةَ موسَى عليه السّلام في إبطالِهِ وتوهينِهِ، ولمَّا كانَ الغالبَ على زمانِ عيسَى عليهِ السّلام الطبُّ، جعلَ الله تعالى مُعجزَتَه في إبراءِ الأكمَهِ والأبرصِ وإحياءِ الموتَى، ولمَّا اِنتَهُوا إلى ذكر نبيِّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم وذُكِرَ ما كان الغالبَ على زمانِهِ، لمْ يَذْكُروا إلاّ البلاغةَ والبيانَ والتصرُّفَ فِي ضروبِ النّظمِ، وقدْ ذكرتُ في الّذِي تقدَّم غيرَ ما ذكرتُه ههُنا، ممّا يدلُّ علَى سقوطِ هذا القولِ، وما دعانِي إلى إعادةِ ذكرِهِ، إلاَّ أنَّه لَيْسَ لتَهَالُكِ النَّاسِ فِي حديثِ" اللّفظِ" والمحاماةِ علَى الِاعتقادِ الّذِي اعتقدُوه فيهِ، وضِنِّ أنفسِهِمْ بهِ حدٌّ، فأحببتُ لذلكَ أنْ لا أدعَ شيئًا ممَّا يَجُوز أنْ يتعلَّق بِه مُتعلِّق، ويلجأَ إليه لاجئٌ، ويَقَعَ منه في نفسِ سامعٍ شكٌّ، إلاّ اِستَقْصَيتُ في الكَشفِ عنْ بُطلانِه».[1]

يمكننا صياغة هذا القول كما يلي:

المقدّمة1: ورأينَا العقلاءَ(...) البيانَ.

المقدّمة2: لمّا ذكرُوا معجزاتَ الأنبياءِ (...) خواصهم.

النتيجة: إنَّه لمّا(...) إبطاله وتوهينِه.

المقدّمة1: لمَّا كانَ الغالبَ على زمانِ عيسى(...) إحياءُ الموتَى.

المقدّمة2: لمّا انتهوا إلى ذكر نبيّنا محمّد(...) ضروب النظمِ.

المقدّمة3: وقد ذكرتُ(...) أنفسهِم به حدٌّ.

النتيجة: أنْ لا أدع شيئا(...) إلاّ استقصيت في الكشف عن بطلانه.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص475-476.

استدل المحاجج في قوله من أنّ إعجاز القرآن لم يكن في عجز العرب عن المعارضة، حيث أتى بمقدّمتين شكّلت قضايا مطروحة، ونتيجة باستعماله لأداة الربط الحجاجي" إنّه"، ثمّ صاغ ثلاث مقدّمات ليصل إلى نتيجة وهي إزالة الشبهة والشك وإبطال هذه الدعوى القائلة بأنّ معجزة القرآن هو أنّ العرب صرفوا عن معارضته، وأورد حججهم في ذلك، ثم ردّ عنها بنفي تلك التصوّرات الخاطئة وإبطالها، وأثبت أنّ الإعجاز القرآني يكمن في نظمه.

كنّا قد أشرنا فيما سبق إلى أنّ خطاب" دلائل الإعجاز"، ينتمي إلى صنف الحجاج التقويمي والتعليمي، وللبرهنة على صحّة ما ذهبنا إليه نتطرّق إلى بعض التحليلات الّتي يظهر فيها هذا النّوع من الحجاج جليًا وواضحًا.

3- الآليات الاستدلالية الاعتراضية.

إنّ هذا النّوع من الاستدلال يأخذ فيه المحتج بوجهة المعترض، فضلا عن وجهته الخاصّة بوصفه مدّعيا، وإذا كان الاعتراض،« فعلا تكلّميا، استجابيا إنجازيا استشاريا تقويميا تشكيكيا سجاليا».[1] فإنّنا نلمح هذه الآليّة مكثّفة في الخطاب الجرجاني، ومنها قوله مثلا:« فإنْ قالَ قائلٌ: إنْ المزيّةَ منْ أجلِ أنَّ المساواةَ تُعْلَمُ في" رأيت أسدًا" من طريقِ المعنَى، وفِي "رأيتُ رجلاً مساويًا للأسدِ" من طريقِ اللّفظِ. قيلَ: قدْ قلنَا فيمَا تقدَّمْ: إنَّهُ محالٌ أنْ يتغيَّرَ حالُ المعنَى فِي نفسِه، بأنْ يُكْنَى عَنْهُ بمعنَى آخر».[2]

نلاحظ أنّ المحاجج يحتجّ ويعترض في الوقت نفسه عن دعوته، فيقدّم دليلا في إثباتها، من أنّ المزيّة تكون في المعنى دون اللّفظ، وذلك عن طريق إيراد الحجج الّتي تدعّم وتثبت صحّة ما ذهب إليه.

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص76.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 449.

كما يورد المحاجج حجج الخصم، ثم يعرض حججه ويعدّلها، ويسمّى هذا النّوع من الحجاج التقويمي: "التلميح بالقصد"*، حيث يقول: « واِعْلَمْ أنَّ منَ الباطِلِ والمُحالِ مَا يعلمُ الإنسانُ بُطلانَه واستحالتَه بالرّجوعِ إلَى النفسِ حتَّى لاَ يَشُكّ، ثمَّ إنَّه إذَا أرادَ بيانَ مَا يجدُ في نفسِه والدِّلالةَ عليهِ، رأَى المسلكَ إليهِ يَغْمُضُ و يَدِقُّ، وهذه الشبهة أعنِي قولهم: إنَّه لو كانَ يجوزُ أنْ يكونَ الأمرُ على خلافِ ما قالُوه منْ أنَّ الفصاحةَ وَصْفٌ للَّفظِ منْ حيثُ هو لفظ، لكانِ ينبغِي أنْ لاَ يكونَ للبيتِ مِنَ الشِّعر فضلٌ علَى تفسيرِ المفسّرِ، إلى آخره من ذاك. وقد علقتْ لذلكَ بالنّفوسِ وقويتْ فيهَا، حتّى إنّكَ لا تلقِي إلى أحدٍ من المتعلّقينَ بأمرِ اللّفظِ كلمةً ممَّا نحنُ فيهِ، إلاَّ كانَ هذا أوَّلَ كلاَمِهِ، وإلاَّ عجَّبَ وقالَ: إنَّ التّفسيرَ بيانٌ للمُفَسَّرِ، فلاَ يجوزُ أنْ يبقَى منْ معنَى المُفَسَّر شيءٌ لاَ يؤدِّيه التّفسيُر، ولاَ يأتِي عليهِ، لأنَّ فِي تجويزِ ذلكَ القولِ بالمُحالِ، وهوَ أنْ لاَ يزالُ يبقَى منْ معنَى المفسَّر شيءٌ لا يكونُ إلى العلم به سبيل. وإذا كان الأمر كذلك، ثبَتَ أنَّ الصّحيحَ ما قلنَاه، مِنْ أنَّه يجوزُ أن يكون للّفظ المُفسَّر فضلٌ من حيث المعنى على لفظِ التفسيرِ. وإذا لمْ يجزْ أن يكون الفَضْلَ من حيث المعنى، لمْ يبقَ أنْ يكونَ إلاَّ من حيثُ اللفظ نفسه، فهذا جملةُ ما يمكنُهم أن يقولوه في نصرةِ هذه الشبهة، وقدْ استقصيتُه لك».[1]

يدحض الجرجاني شبهة المعتزلة في قولهم أنّ تفسير الشعر يجب أن يكون كالمفسّر، فيبطل دعوتهم بإقامة الدليل عليهم، كونه معارضا على المقولات الّتي ذهب إليها المعتزلة*. فكل قول في هذا الخطاب مبني على اعتراض مفترض من قبل المحاجج، ومن صيغ التلميح بالقصد قوله: اعلم أنّ، وهذا جملة ما يمكنهم أن يقولوه.

* فالقصد يعدّ حجّة بغض النّظر عن كونه تلميحا أو تصريحا، فالمرسل لا يتصوّر اعتراضات المرسل إليه فيدحضها فقط، بل ويسايرها حتّى يرى أنّ خطابه قد بلغ من الإقناع مبلغا يطمئن إليه. ومن الصيغ الّتي يستعملها المرسل في هذا النوع من الحجاج: من يقول كذا، من يدّعي كذا، اعلم أنّ، لا يغرب عن بالك. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، ص474-475.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص426.

* ومن المقولات الّتي ذهب إليها المعتزلة قولهم:« إنّه يصحّ أن يعبّر عن المعنى الواحد بلفظين، ثمّ يكون أحدهما فصيحا، والآخر غير فصيح»، كذلك قولهم:« وإذا لزم ذلك في تفسير البيت من الشعر، لزم مثله في الآية من القرآن». المصدر السابق، ص421.

فالجرجاني يرى أنّ المعنى لا يتحدّد في نصّين، كمالا يتحدّد المعنى بين كلمتين مترادفتين، إحداهما غريبة والأخرى مشهورة، فتفسير الغريبة بالمشهورة كأن يقال في" الشوقب" مثلا إنّه الطويل، فالمعنى الواحد لا يمكن أن يؤدّى إلاّ بعبارة واحدة، وعليه فالتّفسير في هذه الحالة لا يكون في درجة المفسّر، لأنّ للمفسّر فضلا ومزيّة عن التّفسير، فالدّلالة في المفسّر دلالة معنى على معنى، وفي التّفسير دلالة لفظ على معنى.

كما استعان الجرجاني "بالمقصديّة الفكريّة"، الّتي تتجلّى في الغرض التّعليمي، ويهتم بإخبار المتلقي بواقع ما دون استدعاء العواطف، ويظهر ذلك في النّصوص العلميّة والإخباريّة.[1] ويتجلّى الغرض التعليمي من طبيعة الأمثلة المختارة والمتعدّدة، في مثل قوله:« فإذا قلتَ: « هوَ كثيرُ رمادِ القدرِ» كانَ لهُ موقعٌ وحظٌّ منَ القبولِ لاَ يكونُ إذا قلتَ: « هو كثيرُ القِرَى والضَّيافة»، وكذا إذا قلت: « هو طويلُ النَّجادِ»، كانَ لهُ تأثيرٌ في النفسِ لا يكونُ إذا قلت:« هوَ طويلُ القامةِ»، وكذَا إذا قلت:« رأيتُ أسدًا»، كان له مزيّةٌ لا تكونُ إذا قلت: « رأيتُ رجلاً يشبِهُ الأسدَ و يساويهِ في الشجاعةِ»، وكذلك إذا قلت: « أراكَ تقدِّم رجلاً وتؤخِّر أخرَى»، كانَ له موقعٌ لا يكون إذا قلتَ:« أراكَ تتردَّدُ في الّذِي دعوْتُك إليهِ، كمن يقول: أخرُج ولا أخرُج، فيقدِّم رجلاً و يؤخِّر أخرَى». وكذلك إذا قلت: « ألقَى حبْلَهُ على غارِبِه» كان له مأخذٌ من القلبِ لا يكون إذا قلت:« هو كالبعيرِ الّذِي يُلقَى حبلُه على غارِبِه حتَّى يرعَى كيفَ يشاءُ ويذهبَ حيثُ يريدُ».[2]

يبسط الجرجاني حججه في شكل محاورة تعليميّة نفعيّة، تهدف إلى تحقيق الإقناع، فالإقناع يمثّل الأثر التداولي الّذي يخلّفه الغرض التّعليمي، لأنّ التلميح بالقول له تأثير في النفس على عكس التصريح، كما أنّ الكناية والتشبيه من مقتضيات النظم الّذي رأى أنّه مرد الإعجاز القرآني.

وبما أنّ الاعتراض فعلا تشكيكيا سجاليا، فإنّ المحاجج اعتمد على هذا النوع من "الاعتراض التشكيكي"، ونلمس ذلك في قوله:« وهلْ تَشُكُّ إذا فكرتَ فَي قولهِ تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ واسْتَوَتْ علَى الجودِي وقيلَ بعدًا للقَوْمِ الظَالِمِين﴾. فتجلَّى لكَ منها الإعجازُ(...).

[1] هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية(نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، ص25.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، ص 430.

إنْ شَكَكْتَ، فتأمَّلْ: هلْ ترَى لفظةً منهَا بحيثُ لوْ أُخِذَتْ من بينِ أخواتِهَا وأُفْرِدَتْ لأدَّتْ مِنَ الفصاحةِ مَا تؤَدِّيهِ وهِيَ فِي مكانِها من الآية؟(...) وكيفَ بالشكِّ فِي ذلكَ؟ ومعلومٌ أنَّ مبدأَ العظَمة في أنْ نُوديت الأرضُ ثمَّ أُمرت، ثمّ فِي أنْ كان النداءُ" بيا" دون" أيُّ" (...)».[1]

يطرح الجرجاني تساؤلات اعتراضيّة تشكيكيّة في قالب سجالي، ثمّ يفنّدها بالحجّة البيّنة فيستند إلى النص القرآني في إثبات صحّة اعتقاده، فيفسّر ويؤوّل من أجل حمل المستمع على الإقناع، ويتّضح ذلك من خلال قوله: هل تشك؟ استفهام وترجيح. وفي قوله: إن شككت فتأمّل، كيف بالشكّ في ذلك؟ وهو استفهام يخرج للتّفسير والتّعليل، ليصل إلى نتيجة مفادها أنّ الفضيلة تكون في ملائمة معنى اللّفظة لمعنى الّتي تليها. كما اعتمد المحاجج سبلا حجاجيّة متنوّعة منها:

- آلية توليد المقدّمات من النتائج.

تندرج هذه الآليّة الاستدلاليّة ضمن آليّة الاستدلال المركّب، « حيث تكون فيها المقدّمة الأصليّة موضع استنتاج من مقدّمة أو مقدّمات فرعيّة».[2] وتتّضح هذه الآليّة في قوله:« ومعلومٌ أنَّ الفكرَ منَ الإنسانِ يكونُ فِي أنْ يُخْبِر عن شيءٍ بشيءٍ، أوْ يَصِفَ شيئًا بشيءٍ، أوْ يُضيفَ شيئًا إلَى شيءٍ، أوْ يُشْرِك شيئًا فِي حكمِ شيءٍ، أوْ يُخْرِجَ شيئًا منْ حكمٍ قدْ سبقَ منهُ لشيءٍ، أوْ يجعلَ وجودَ شيءٍ شرطًا فِي وجودِ شيءٍ، وعلَى هذا السبيلِ وهذا كُلُّه فكْرٌ في أمورٍ معقولةٍ زائدةٍ علَى اللّفظِ».[3]

(أ) يخبر عن شيء بشيء ⟵ أو يصف شيئا بشيء (ب)

(ب) أو يضيف شيئا إلى شيء ⟵ أو يشرك شيئا في حكم شيء(ج)

(ج) أو يخرج شيئا من حكم قد سبق منه لشيء ⟵ أو يجعل وجود شيء شرطا في وجود شيء (د).

نلاحظ أنّ (أ) كمقدّمة، تنتج عنها نتيجة(ب)، والّتي تصبح بدورها مقدّمة لنتيجة (ج). ويكشف لنا هذا النص دور العقل في إقامة العلاقات النحويّة، والّتي تتحدّد

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص45.

[2] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص388.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص416.

بالعلاقات التركيبيّة: كالخبر والوصف والإضافة والعطف والشرط، والّتي تشكّل ضروب النّظم.

وفي نص آخر يقول:« هذَا فنٌّ آخُر منَ العجبِ، وهو أن تكون ههُنا صفةٌ مَوْجُودة في شيءٍ، ثمَّ لاَ يكونُ في الإمكانِ ولاَ يسعُ في الجوازِ، أنْ يُعْلَم وجودُ تلكَ الصّفة فِي ذلكَ الشيء إلاَّ منْ بعدِ أنْ يُعْدَمَ، ويكونَ العلمُ بها وبكونِها فيهِ محجوبًا عنَّا حتَّى يُعْدَم، فإذا عُدِمَ علمنَا حينئذٍ أنَّها كانتْ فيهِ حينَ كانَ».[1]

(أ) صفة موجودة في شيء ⟵ يعلم وجود تلك الصّفة في ذلك الشيء إلاّ من بعد أن يعدم(ب).

(ب) يكون العلم محجوبا حتّى يعدم ⟵ فإذا عدم علمت أنّها كانت فيه حين كان(ج).

4- الحجاج بالاستقراء:Argumentation par induction

اعتمد الجرجاني على عمليّة الاستقراء في إثباته صحّة مقولاته، ودحض مقولات أصحاب اللّفظ والقائلين بالصرفة. ويعرّف الاستقراء على أنّه:« أداة منهجيّة أساسيّة في تكوّن المعرفة وتطوّرها إذ بواسطتها يتمكّن العالم من الانتقال من عدد محدود من الملاحظات أو التجارب المفردة حول ظاهرة ما، إلى قانون علمي عام، فهو آليّة بنائيّة استدلاليّة».[2] يقول الجرجاني:« وأعلَمْ أنَّكَ إذا رجعتَ إلى نفسِك علمتَ علمًا لا يعترضُهُ الشكَ أنَّ لاَ نَظْمَ في الكلِمِ ولا ترتيبَ، حتَّى يُعلَّق بعضها ببعضٍ، ويبنَى بعضها على بعضٍ، وتُجْعَلَ هذه بسببٍ من تلك. هذا ما لا يجهله عاقلٌ ولا يخفَى على أحدٍ من النّاسِ، وإذا كان كذلك، فبِنَا أنْ نَنْظُرَ إلى التَّعليقِ فيهَا والبناءِ، وجعلِ الواحدةِ منهَا بسببٍ من صاحبتِها، ما معناهُ وما محصوله؟ وإذا نظرْنَا في ذلك، علمنَا أنَّ لا محصول لها غيرُ أن تعمِد إلى اسمٍ فتجْعَلَه فاعلاً لفعلٍ أو مفعولاً، أو تَعْمِد إلى اسمين فتجعَلَ أحدهما خبرًا عن الآخر (...)، أو تريدُ في فعلينِ أنْ تجعلَ أحدَهما شرطًا في الآخرِ، فتجيءَ بهِما بعدَ الحرفِ الموضوعِ لهذا المعنَى أو بعد اسمٍ من الأسماء الّتِي ضُمِّنتْ معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس. وإذا كانَ لا يكونُ في الكلِمِ نظمٌ ولا ترتيبٌ إلاَّ بأنْ يصنعَ بها هذا

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص408.

[2] بنّاصر البعزاتي، الاستدلال والبناء(بحث في الخصائص العقليّة والعلميّة)، ص196.

الصَّنيع ونحوه، (...) بانَ بذلك أنَّ الأمرَ على ما قلْنَاهُ من أنَّ اللَّفظَ تبعٌ للمعنَى في النظمِ، وأنَّ الكلمَ تترتَّبُ في النطقِ بسببِ ترتُّبِ معانيهَا في النفسِ، وأنَّها لو خَلتْ من معانِيها حتَّى تَتَجَرَّد أصواتًا وأصداءَ حروفٍ، لما وقعَ في ضميرٍ ولا هَجَس في خاطرٍ، أن يجبَ فيها ترتيبٌ ونظمٌ، وأنْ يُجْعَل لها أمكنةٌ ومنازلُ، وأن يجبَ النطقُ بهذِه قبلَ النطقُ بتلكَ».[1]

يتّضح لنا من خلال هذا النص أنّ الجرجاني وظّف مجموعة من الآليات الحجاجية عن طريق استقراء القضايا البلاغية ومن بين هذه الآليات: توظيفه للرابط اللغوي" اعلمْ"، بالإضافة إلى استعماله لأداة الربط الحجاجيّة: "إنّ"، والّتي تعمل على إثبات النتيجة أوّلا، ثمّ إيراد الحجج، كما استعمل مجموعة من أدوات الربط الحجاجية مثلا في قوله: حتّى يعلّق بعضها ببعض، كما اعتمد كذلك الاستدلال الشرطي، والّذي نلمسه مكثّفا في النص في مثل قوله: وإذا كان كذلك، فبنا أن ننظر....، وإذا نظرنا في ذلك، علمنا أنّ....، وإذا كان لا يكون في الكلم.... بان بذلك أنّ....، بالإضافة إلى استخدامه لأسلوب الحصر، والّذي يتجلّى في قوله: « وإذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب إلاّ بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه...»[2] كما استعمل كذلك أسلوب الموازنة بين الجمل في قوله: لما وقع في ضمير، ولا هجس في خاطر. ويمكن لنا صياغة هذا النص وفق: (النتيجة+ أنّ+ حجج+ أدوات ربط حجاجية+ أنّ+ نتيجة).

النتيجة: أنّ لا نظمَ فِي الكلمِ ولا ترتيبٌ حتَّى يُعلَّق بعضُها ببعضٍ، ويُبنَى بَعضُها على بعضٍ.

القضية1: لا محصولَ للكلمِ غيرَ أنْ تعمِدَ إلى اسمٍ فتجعلَهُ فاعلاً لفعلٍ أو مفعولاً.

القضية2: أو تعمِد إلى اسمينِ فتجعلَ أحدَهُما خبرًا عنِ الآخرِ.

القضية3: أو تُتْبِع الاِسمَ(...) أو تجيءَ باسمٍ(...) وعلى هذا القياس.

القضية4: وإذا كانَ لا يكون في الكلمِ نظمٌ ولا ترتيبٌ إلاّ بأنْ يصنعَ بها هذا الصنيع (...).

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص55-56.

[2] المصدر السابق، ص56.

النتيجة: أنّ اللّفظَ تبعٌ للمعنَى في النظمِ، وأنَّ الكلمَ تترتّبُ في النطقِ بسببِ ترتُّبِ معانيهَا في النفسِ. (القضيّة الكلّية).

يعتمد المحاجج على مجموعة من القضايا الجزئية تشكّل فرضيّات من أجل الوصول إلى حكم كلي، وهو أنّ اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأنّ الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس. وهذا النوع من الاستدلال يجعلنا ندرك صدق القضيّة الكليّة، لأنّه انطلق من ملاحظات جزئيّة، ويتّضح ذلك من خلال قوله: فبنا أن ننظر، وإذا نظرنا علمنا، وعلى هذا القياس... وإذا كان لا يكون ... كان ذلك كلّه. ليصل إلى نتيجة وهي أنّ اللفظ يتبع المعنى، فهذا النوع من« الاستدلال الاستقرائي يجعلنا نحكم على صدق القضيّة الكليّة، كما أنّه ذو فعاليّة تداوليّة».[1]

5- الحجاج بالاستنباط: Argumentation Par déduction

اعتمد الجرجاني على آليّة استدلاليّة تعرف "بقياس الاستنباط"، والّذي يسمح بالاستنتاج من العام إلى الخاص؛ أي من القضيّة الكليّة إلى الجزئية، كما يهتم بالاستنتاج الصحيح ويعتبر أقوى لأنّه تراكم لعمليّات استقرائية.[2]

وتتجلّى هذه الآليّة في النص الآتي، يقول الجرجاني في تفسير النظم:« أعلم أنَّ ليسَ النَّظْمُ إلاَّ أنْ تضعَ كلامَكَ الوضعَ الّذِي يقْتَضِيه علم النحو، وتعمَلَ علَى قوانِينِه وأصولِهِ، وتعرِفَ مَناَهِجَهُ الّتِي نُهِجَتْ فلاَ تزيغُ عنْهَا، وتحفَظَ الرُّسُومَ الّتِي رُسِمت فلا تُخِلُّ بشيءٍ منها، وذلكَ أنَّا لا نَعلمُ شيئًا يبتغِيه النّاظِمُ بنظمِه غيرَ أنْ يَنْظُرَ في وجوهِ كلِّ بابٍ و فروقِهِ، فينظُرَ فيِ الخبرِ إلَى الوجوهِ الّتِي تراهَا في قولِكَ" زيد مُنْطلق" و" زيد يَنْطلق" (...). وفي الشرطِ والجزاءِ إلى الوجوهِ الّتِي تراهَا في قولك" إنْ تخرجْ أخرُج"(...) وفي الحالِ(...) وينظرَ في الحروفِ(...) وفي الجملِ(...). ويتصرَّفَ فِي التّعريفِ والتّنكيرِ والتّقديمِ والتّأخيرِ في الكلامِ كلِّهِ، وفِي الحذفِ والتكرارِ والإضمارِ والإظهارِ، فيصيبَ بكلَّ من ذلك مكانَه، ويستعملَه على الصحَّة، وما ينبغِي له. (...) فلا ترَى كلامًا قدْ وُصِفَ بصحَّةِ نظمٍ أوْ فسادِهِ أوْ وُصِفَ بمزيَّةٍ وفضلٍ فيهِ، إلاَّ وأنتَ تجدُ مرجعَ تلكَ الصحَّةِ وذلكَ الفسادَ، وتلكَ المزيّة وذلك الفضلَ إلى معانِي النحوِ وأحكامِه ووجدْتَه يدخلُ في أصلٍ منْ

[1] بنّاصر البعزاتي، الاستدلال والبناء(بحث في الخصائص العقليّة والعلميّة)، ص196.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص197.

أصولِهِ ويتَّصلَ ببابٍ منْ أبوابِه».[1] ينطلق المحاجج من قاعدة عامّة" النظم"، ليصل إلى قضايا جزئيّة تختص به، فيستنبط من القاعدة الكلّية أحكام جزئية.

القضية الكليّة: النظم.

القضيةالجزئية1: تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، تعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، تحفظ الرسوم التي رسمت.

القضية الجزئية2: الناظم ينظر في وجوه كل باب وفروقه.

القضية الجزئية3: المزية والفضل في الكلام تكمن في معاني النحو و أحكامه.

نلاحظ أنّ الجرجاني اعتمد في إثبات قضاياه البلاغيّة والنحويّة على آلية " قياس الاستنباط"، فانطلق من فرضيّة عامّة أو قضيّة كلّية وهي" النظم"، ليصل إلى قضايا جزئية وهي أنّ النظم يخضع لعلم النحو وقوانينه وأصوله وأحكامه، ونلمس من خلال النص، أنّ هناك علاقة تضمّن تام بين القضايا للوصول إلى نتيجة منطقيّة، وهي أنّ النظم توخّي معاني النحو فيما بين الكلم. وقد اعتمد على مجموعة من الآليات الحجاجيّة، يتّضح لنا ذلك في قوله: "اعلم أنّ"، وأسلوب الحصر في قوله: ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك... ، فلا ترى كلاما... إلاّ وأنت تجد مرجع الصحّة... ، بالإضافة إلى استخدامه لأدوات الربط الحجاجية، وأسلوب النهي في قوله: لا تزيغ عنها، لا تخلّ بشيء منها، لاترى...

يمكننا ردّ هذه الآليات الاستدلاليّة إلى نمط الحجج شبه المنطقية، لأنّ الجرجاني استخدم هذا النّوع من الحجج في خطابه ليؤكّد من قوّة اقناعيّته وبرهانه، فجاء خطابه مبنيا بناءً استدلاليا يحتكم إلى علاقات شبه منطقية: كالشرط والسببيّة واللّزوم والاستنتاج والقياس، كما نجد أنّ المحاجج نفسه يستعمل مثل هذه المصطلحات في خطابه: استقرها، إذا استقريت وجدت. وقد استقريت لك، وعلى هذا القياس، أقيم الحجّة عليه، برهان، دليل. وهي في مجملها مصطلحات منطقيّة حجاجيّة.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص81-83. بتصرّف.

ولنا أن نمثّل بنصوص من خطابه يقول الجرجاني:« (...) وأنْ ليسَ للواصفِ لهَا إلاَّ أنْ يُلوِّح ويُشير، أوْ يضربَ مثلاً يُنْبِئ عن حسنٍ قدْ عرفَه علَى الجملةِ، وفضيلةٍ قدْ أَحسَّها، منْ غيرِ أنْ يُتْبِعَ ذلكَ بيَانًا، ويقيمَ عليهِ برهانًا، ويَذْكُرَ لهُ عِلَّةً، ويُورِدَ فيهِ حُجّة(...)».[1]

ويقول أيضا:« وأمَّا فِي الأوّلِ فتُخرجْهُ مُخْرَجَ مَا لاَ يَحْتَاج فيهِ إلَى إثباتٍ وتقريرٍ والقياسُ يقتضِي أنْ يقُالَ ذلكَ».[2]

ويقول في موضع آخر:« أفيكونُ دليلٌ أوضَحَ منْ هذَا وأبْيَنَ وأجلَى فِي صحَّةِ ما ذكرتُ لكَ».[3] ويقول:« وضربٌ آخرٌ منَ الاستدلالِ في إبطالِ أنْ يكونَ(...)».[4] ويقول أيضا:« ثمَّ أنبِّهُكَ علَى صحّةِ ما أشرتُ إليهِ، وأقيمُ الحجّةَ من ذلكَ عليهِ».[5] ويقول:« ثمَّ إنَّا إذَا استقرينَا الكلامَ وَجَدْنَا الأمرَ بيِّنًا(...)».[6]ومن خلال هذه النصوص، يتبيّن لنا توظيف الجرجاني للمقولات المنطقية.

3-2- الحجج القائمة على علاقة وظيفية:

Les Argument fondés sur une relation fonctionnelle

1- الحجج التتابعيّة.

أ- الحجة السببيّة (l'argument de causalité).

ويظهر هذا النوع من الحجج في الخطاب الجرجاني جليا واضحا، فهو يعلّل ويفسّر ويستقرئ ويستنبط القضايا، ويبرهن على صحّة اعتقاده حول مفهوم النظم، والتعريض بأصحاب اللّفظ، والردّ عن من قال بأنّ القرآن معجز بالصرفة. وهذا النمط من الحجج نجده في قوله: «(...) وأشباهَ هذَا ممَّا يوهِمُ أنَّ المزيَّة أتَتْهَا منْ جانبِ العلمِ باللُّغةِ، وهوَ

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص65.

[2] المصدر السابق، ص68.

[3] المصدر نفسه، ص172.

[4] نفسه، ص197.

[5] نفسه، ص146.

[6] نفسه، ص324.

خطأٌ عظيمٌ وغَلَطٌ منكَرٌ يفضِي بقائلِهِ إلَى رفعِ الإعجازِ منْ حيثُ لاَ يعلمْ **وذلكَ أنَّه** لاَ يَثْبُتُ إعجازٌ حتَّى تَثْبُتَ مزايَا تفوقُ علومَ البشرِ وتَقْصُر قوى نَظَرهم عنها».[1]

إنّ اختيار الجرجاني الرّابط السببي، والمتمثّل في" **ذلك أنّه**" في هذا النص جاء لتدعيم حجّته، فالإعجاز لا يقتصر على العلم باللّغة، لأنّ إثبات الإعجاز يقتضي أن يثبت مزايا تفوق علوم البشر، وهو في هذا يردّ عن من قالوا أنّ إعجاز القرآن يكمن في عجز العرب عن الإتيان بمثله.

وفي نص آخر يقول:« واْعلمْ أنَّهم لمْ يبلُغُوا في إنكارِ هذَا المذهبِ، ما بلغُوهُ إلاَّ لأنَّ الخطأَ فيهِ عظيمٌ، وأنَّهُ يُفضِي بصاحِبِهِ إلَى أنْ ينكِرَ الإعجازَ وَيُبْطِل التَّحدِّي منْ حيثُ لاَ يشعُر **وذلكَ أنَّه** إنْ كانَ العملُ على ما يذهبونَ إليهِ منْ أنْ لاَ يَجبَ فضلٌ ومزيَّة إلاَّ منْ جانبِ المعنَى، (....) فقد وجَبَ اِطِّراحُ جميع ما قالَه النّاسُ فِي الفصاحةِ والبلاغةِ وفي شأنِ النَّظمِ والتأليفِ».[2] وردت هذه الحجّة السببيّة برابط سببي" **ذلك أنّه**"، فهو يبطل مقولة الجاحظ في شأن النّظم والتأليف.

وفي نص آخر يقول:« وشبيهٌ بتنكيرِ الحياةِ فِي هذهِ الآية تنكيرهَا في قوله عز وجل: ﴿ و لكمْ فِي القصاصِ حياةٌ﴾ **وذلك أنّ السببَ** في حسنِ التنكيرِ وأنْ لمْ يُحْسُن التَّعريفُ، أنْ ليسَ المعنَى علَى الحياةِ نفسِهَا»[3].

وردت هذه الحجة بالرّابط السببي" **وذلك أنّ السبب**"، فالجرجاني يعلّل صحة ما ذهب إليه بإقامة الحجة، والتّمثيل بالنص القرآني، فالحجّة السببيّة لها حمولة إقناعيّة، حيث يعمد فيها المحاجج إلى بيان السّبب والعلّة، بتوظيف الرّوابط السببيّة الّتي تقوّي الخطاب وتجعل منه خطابا ناجعا.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص249.

[2] المصدر السابق، ص257.

[3] المصدر نفسه، ص289.

ب- الحجة النفعية(l'argument pragmatique).

يندرج هذا النّوع من الحجج ضمن الحجج السببيّة، فيربط بين قيمة السبب وقيمة نتائجه. ونظرا لنجاعتها وقوّتها داخل الخطاب، وردت في خطاب" دلائل الإعجاز" لتقوّي صحة ما ذهب إليه المحاجج في إثبات دعواه، حيث يقول:« واْعْلَمْ أَنَّهُ وإِنْ كانَتْ الصُّورة في الّذِي أعَدْنَا وأبْدَأْنَا فيهِ من أَنَّهُ لاَ معنَى للنَّظْمِ غيرَ توخِّي معانيَ النَّحوِ فيمَا بينَ الكلمِ، قدْ بلغَتْ فِي الوضوحِ والظهورِ والإنكشافِ إلى أقصَى الغايةِ، وإلَى أنْ تكونَ الزيادةُ عليهِ كالتكلُّفِ لمَا لاَ يُحْتَاجُ إليهِ، فإنَّ النفسَ تُنَازِعُ إلَى تَتَبُّعِ كلَّ ضَرْبٍ منَ الشُّبْهَةِ يُرَى أنَّه يَعْرِض للمُسَلَّمِ نَفْسَه عند اعتراضِ الشكِّ».[1]

من خلال هذا النص، يتّضح أنّ المحاجج يؤكّد على نفعيّة خطابه وحجيّته، فرغم أنّه أوضح وكشف عن أنّ النّظم هو توخّي معاني النحو فيما بين الكلم، غير أنّه يريد أن يتتبّع دقائق الأمور لردّ الشبهات وتدعيم مقاصده، لكي لا يترك مجالا للاعتراض والشك. فيورد حججه ليصل إلى الغاية أو النتيجة، وهي حقيقة إعجاز القرآن الّتي تتجلّى في النظم، وتقبّلها من طرف الجمهور أو من رأى فيهم خصوما ومعترضين.

ج - حجة الاتّجاه(l'argument de direction).

إنّ مقتضى هذه الحجّة نقض موقف تأويلي بما يؤوّل إليه، فينجرّ عنها إقناع الجمهور من خلال تحريك ملكة الرّفض عنده، بما يتعارض والتصوّرات الناجعة في إدراك الحقيقة.[2]

وتكمن حجّة الاتّجاه في خطاب" دلائل الإعجاز"، في موقف الجرجاني معترضا ومحاججا عن أقوال المعتزلة، وأصحاب الصرفة، حيث يقول:« ثمَّ إنَّ هذِه الشّناعاتِ الّتِي تقدَّمَ ذكرُها تلزَمُ أصحابَ الصَّرْفة أيضًا، وذاكَ أَنَّهُ لوْ لم يكنْ عجْزُهُم عنْ معارضَة القرآنِ وعن أنْ يأتُوا بمثلِهِ لأَنَّهُ مُعْجِزٌ فِي نفسِه، لكنْ لأنْ أُدْخِل عليهِمْ العجزُ عنه، وصُرِفَتْ هِمَمُهم وخواطِرُهم عن تأليفِ كلامٍ مثلِه، وكانَ حالُهُم علَى الجملةِ حالَ منْ أعدِمَ العلمَ بشيءٍ قدْ كانَ يعلَمُه، وحيلَ بينَهُ وبينَ أمرٍ قدْ كانَ يتَّسِعُ لهُ(...). أرأيتَ لوْ أنَّ نبيًا قالَ

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص370.

[2] علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ص287.

لقومِهِ: إنَّ آيتِي أنْ أضعَ يدِي علَى رأسِي هذه السَّاعةَ، وتُمْنَعُونَ كُلُّكم من أن تستطيعوا وَضْعَ أيديكم على رؤسِكم، وكان الأمرُ كمَا قالَ، ممَّ يكون تعجُّبُ القوم، أمِنْ وَضْعه يده على رأسه، أم من عَجْزهم أنْ يَضَعُوا أيدِيَهُمْ على رؤسِهم؟».[1]

إنّ حجّة الاتّجاه الّتي يضمرها هذا النص، تتمثل في نقض الشّناعات الّتي ذهب إليها القائلين بالصّرفة من المعتزلة، واعتمد المحاجج على هذا النوع من الحجج في رفضه للموقف المعتزلي، وإدراك حقيقة أنّ القرآن معجز في نظمه لا بالصّرفة، الّتي يذهب أصحابها إلى أنّ الله صرف العرب عن أن يأتوا بمثل آي القرآن في نظمه وتأليفه، وأنّ قولهم هذا كمن أعدم العلم بشيء يعلمه، فالجرجاني أراد أن يبطل حجّتهم في شأن إعجاز القرآن، ويقنع الجمهور أنّ ما ذهبوا إليه لا أساس له من الصحّة، ويتّضح ذلك من خلال قوله: أرأيت لو أنّ نبيا. فهو يخاطب المتلقي، ويدعوه إلى إمعان النّظر في مقولة أصحاب الصّرفة، وهذا ما تسعى لتحقيقه حجّة الاتّجاه، وهي تغيير الموقف الفكري من خلال رفض الرأي المناوئ والمعارَض.

2- الحجج المتعالقة*.

أ- علاقة الشخص بأعماله.

يتّضح هذا النمط من الحجج في أنّ الجرجاني محاججا وخطيبا، أراد أن يوجّه خطابه إلى جمهور متقبّل متمعّن، فلحظة التلفظ بخطاب" دلائل الإعجاز"، كما يقول الجرجاني:« هيَ التَّوقَ إلَى أنْ تُقَرَّ الأمورُ قرارَها، وتُوضعَ الأشياءَ مواضعَها، والنّزاعَ إلى بيانِ ما يُشكلْ، وحلِّ ما يَنْعَقِدْ، والكشفُ عمَّا يَخْفَى، وتَلْخِيصِ الصِّفة حتَّى يزدادَ السَّامِعُ

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص390-391.

* يطلق الباحث "علي الشعبان" على هذا النوع من الحجج مصطلح " الحجج التواجدية"، وينبني هذا النمط من الحجج على التواجد والتصاهر بين العناصر المتكوّنة منها المفاهيم والعلاقات والأعمال، والتواجد الّذي يتأسّس عليه هذا النمط من الحجج، هو القانون الّذي ترتكز عليه قوّة الحجج التواجدية ونجاعتها، إذ أنّ حلول العناصر بعضها في بعض، يصنع ضربا من التعلّق ونوعا من التوحّد يقوى به الحجاج ويشتد من خلاله الاستدلال، على القضايا التأويلية والتصوّرات الفكرية الّتي ينوي المحاجج تبليغها وتمكينها، حقائق جديدة يعمل بها الجمهور عمل المطيع المقتنع لا عمل الخارج الرافض، غير أنّنا سنتبنى مصطلح الحجج المتعالقة لما له من دلالة واضحة، فهذا النوع من الحجج يتأسس على العلاقات والوشائج الّتي تخلقها داخل الخطاب. ينظر: علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيات) ، ص290.

ثقةً بالحجّةِ، واستظهارًا على الشبهةِ واستبانةً للدّليلِ، وتَبَيُّنًا للسبيلِ، شيءٌ فِي سوسِ العقلِ، وفِي طباعِ النّفسِ إذَا كانتْ نفسًا».[1]

يوضّح الجرجاني السّبب الّذي دفعه إلى طريقه في هذا العلم، وهو الكشف عمّا يخفى بالحجّة وإزالة الشبهة بالدّليل، ومن خلال هذه الملفوظات، يتّضح أنّ مؤلف الخطاب يدعو إلى تبيّن السبيل، وإزالة الشبهات في شأن الفصاحة وإعجاز القرآن، وهو بقوله: "يزداد السّامع ثقة بالحجّة"، يدعو الجمهور إلى تقبّل خطابه وتتبّعه للوصول إلى الحقيقة.

ب- علاقة الشخص بالجماعة.

أشرنا سابقا أنّ خطاب "دلائل الإعجاز" تولّد في زمن عجّ بالمذاهب والنّحل بين الفرق الكلاميّة، وكان هناك انحطاطا في جميع الجوانب وخاصّة الدينيّة، فانقسم أهل العلم بآرائهم أيّما انقسام، وكلّ له طريقته في الدّفاع عن مأتاه ومبتغاه ووجهة نظره، غير أنّ الخلفيّة الّتي جعلت مؤلف الخطاب ينتج خطابه هو" التّعريض بأصحاب اللفظ" و" الردّ على القائلين بالصّرفة"، فيصبح الجرجاني أمام وجهتي نظر دفعته إلى إنتاج خطابه، وقد وردت العبارات صريحة في الخطاب في قوله: " ثمّ إنّ هذه الشّناعات الّتي تقدّم ذكرها تلزم أصحاب الصّرفة" و"(...) ما ذهب إليه القوم من أمر اللفظ".

ويرى محقّق كتاب" دلائل الإعجاز" محمود محمّد شاكر أنّ عبد القاهر الجرجاني يردّد في كتابه مقولتين وهما:« إنَّ المعانِي لاَ تتزايد، وإنَّمَا تتزايدُ الألفاظُ». « إنَّ الفصاحةَ لا تظهرُ في أفرادِ الكلماتِ، ولكنْ تَظهرُ بالضمِّ علَى طريقةٍ مخصوصةٍ».[2] بل إنّ كتابه كلّه يدور عن ردّ هذين القولين وإبطال معناهما، وهما أقوال "القاضي عبد الجبّار" المعتزلي في كتابه" المغني في أبواب العدل والتوحيد".

ومن خلال ما تمّ عرضه، نلاحظ أنّ التّواجد والتّفاعل بين مؤلّف الخطاب " الجرجاني"، وأصحاب اللّفظ وأصحاب الصرفة. فخطابه يتّخذ مسارين:

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص34.

[2] المصدر السابق، ص ب.

خطاب الدلائل ← التعريض بأصحاب اللفظ.
↓ ← فضح شناعات أصحاب الصرفة.
الإعجاز في القرآن على مستوى النظم(خصوصيّة نظم النص القرآني هي أساس إعجازيّته).
↓
النظم يحتكم إلى النسق النحوي.

إنّ التّفاعل قائم بين المحاجج وأصحاب اللّفظ والصرفة، الّذين يرون أنّ الفصاحة تظهر في الألفاظ لا المعاني، وأنّ القرآن غير معجز لذاته، بل أنّ النص تحدّى العرب أن يأتوا بمثله، ولولا صرف الله الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب لجاءوا بمثله فصاحة وبلاغة ونظما، وهم يرجعون إلى خلفيتهم العقدية.[1] فمثل هذه العلاقات تقوّي الخطاب، وتضمن نجاعته، وتجعلنا ندرك أنّ الخطاب دعت إليه ظروف وملابسات مقاميّة وسياقيّة.

3-3 الحجج القائمه على علاقة التّماثل والتّشابه.

Les arguments fondés sur des relations de l'assimilation

1- حجّة الشاهد.

تمثّل الشواهد حججا يعتمدها المحاجج من أجل تدعيم آرائه وإقناع غيره، فكلّما كثرت الشواهد في الخطاب، تجعل منه خطابا فاعلا محقّقا لغايته الإقناعيّة، وقد وظّف الجرجاني في خطابه العديد من الشواهد، حيث وردت بشكل لافت للنّظر.

أ- الشواهد من النص القرآني: اعتمد الجرجاني في تفسيره لظاهرة الإعجاز البلاغي والقرآني على تحليل الآيات القرآنيّة، من أجل البحث عن المزيّة البلاغيّة، والّتي تكمن في النظم. حيث يقول:« وإنْ أرَدْتَ أنْ تزدَادَ تَبَيُّنًا لهذا الأصلِ، أعنِي وجوبَ أنْ تُسْقِطَ المفعولَ لتتوفَّر العنايةُ علَى إثْباتِ الفعلِ لفاعلِهِ ولاَ يدخلها شَوْبٌ، فانْظُرْ إلى قولِه تعالَى:﴿ ولمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً منَ الناسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ منْ دُونِهِمْ اِمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قالَتَا لاَ نَسْقِي حتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وأبُونَا شيخٌ كبيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ

[1] نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص(دراسة في علوم القرآن)، ص146.

تَولَّى إلَى الظِلِّ﴾. ففيهَا حذفُ مفعول في أربعةِ مواضعٍ، إذْ المَعْنَى "وَجَدَ عَليهِ أُمَّةً منَ النّاسِ يَسْقُونَ أَغْنَامَهُم أوْ مواشِيَهم و"امرأتينِ تذودانِ غَنَمَهُما" و" قالتا لاَ نسقِي غنمنَا" فسقَى لهَما غنَمَهما"».[1] يتّضح من خلال هذا النص، أنّ مؤلّف خطاب" دلائل الإعجاز" يستدلّ بالنص القرآني، لإقناع الغير بصحّة مقولاته في النظم، ويتجلّى ذلك في قوله: وإن أردت أن تزداد تبيّنا(...) فأُنظر إلى قوله تعالى.

ب- الاستشهاد بالحديث الشريف في قوله:« ومنَ البيِّن في ذلكَ ما جاء في حديثِ ذي اليَدْين حينَ قالَ للنَّبي صلَّى الله عليه وسلّم: أَقُصِرَت الصَّلاة أم نَسِيتَ يا رسولَ الله؟ فقالَ صلَّى الله عليهِ وسلَّم: كلُّ ذلكَ لمْ يَكُنْ. فقالَ ذو اليَدَيْنِ: بَعْضُ ذلكَ قدْ كانَ، المعنَى لا محالةَ علَى نَفْي الأمرينِ جميعًا، وعلَى أنَّه عليهِ السّلام أرادَ أنَّه لمْ يكنْ واحدٌ منهُما، لا القَصْرُ ولا النِّسيان، ولو قيل: لم يكن كلُّ ذلك، لكانَ المعنَى أنَّه قدْ كانَ بعضُهُ».[2]

ج- الاستشهاد بالشعر، فالشعر ديوان العرب كالاستشهاد بشعر الشعراء الفحول: كالبحتري وأبي تمام... وغيرهم من أجل معرفة مكمن المزيّة أفي اللّفظ أو المعنى.

د- الاستشهاد بأقوال اللّغويين وأقوال البلغاء.

هـ- الاستشهاد بالنّقل: وذلك عن طريق الرواية.

و- الاستشهاد بالمصادر اللّغوية: "الحيوان" و"البيان والتبيين" و"حجج النبوّة" للجاحظ. " الشيرازيات" للفارسي، " الكتاب" لسيبويه.

ز- الاستشهاد بالدّليل اللّغوي: حيث يعدّ الاستشهاد بالدّليل اللّغوي حجّة سلطة، فتكثيف الاحتجاج بالدّليل اللّغوي، يضمن اقتناع الجمهور.[3] والأدلّة اللّغوية في خطاب" دلائل الإعجاز" كثيرة ومتنوّعة، تنوّع القضايا المطروحة، حيث أراد الجرجاني الدّفاع عن بلاغة الإعجاز القرآني، فجعل من اللّغة « موضعا حجاجيا به تقوى البراهين ويحصل الإقناع، وهو ما يسمّى بالمدخل اللغوي».[4]

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 161.

[2] المصدر السابق، ص 282-283.

[3] علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيّات)، ص301.

[4] المرجع السابق، ص302.

وظاهرة الابتداء" بالمدخل اللّغوي" في خطاب" دلائل الإعجاز" متنوّعة نذكر منها قوله:« ونظيرُ هذا فِي التنزيلِ قوله عزّ وجلّ:﴿ وفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾ " التفجيرُ" للعيونِ فِي المعنَى، وأُوقِعَ علَى الأرضِ فِي اللَّفظِ(...) وقدْ حَصَلَ بذلكَ منْ معنَى الشمولِ ههنا، وذلكَ أنَّه قدْ أفَادَ أنَّ الأرْضَ قدْ كانتْ صارتْ عيونًا كُلُّها، وأنَّ الماءَ قدْ كانَ يفورُ منْ كلِّ مكانٍ منهَا، ولوْ أُجْرِي اللَّفْظُ علَى ظاهِرِه فقيلَ:« وفَجَّرْنَا عُيُونَ الأرْضِ، أوْ العيونَ فِي الأرضِ» لمْ يفدْ ذلكَ ولمْ يَدُلَّ عليهِ، ولكانَ المفهومُ منه أنَّ الماءَ قدْ كانَ فارَ منْ عيونٍ متفرِّقة في الأرضِ وتبجَّسَ منْ أماكِنَ منْهَا».[1]

وفي نص آخر يقول:« وجملةُ الأمرِ، أنَّ النَّظْم إنَّمَا هُو أنَّ" الحمدُ" منْ قولِه تعالَى (الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ) مبتدأ، و"لله" خبره، و"ربِّ" صفةٌ لاسمِ اللهِ تعالَى، ومضافٌ إلَى "العالمينَ"، و" العالمين" مضاف إليه، و"الرحمان الرحيم"، صفتان كالربِّ، و"مَالِكِ" من قوله" مَالِكِ يومِ الدِّينِ" صفةٌ أيضًا، ومضافٌ إلى يومٍ، و"يوم" مضافٌ إلى" الدِّين"، و"إيَّاكَ" ضميرُ اسمِ اللهِ تعالَى، وهوَ ضميرٌ يقعُ موقِعَ الاسمِ إذا كانَ الاِسْمُ منصوباً، معنَى ذلكَ لوْ أنَّكَ ذكرْتَ اسمَ اللهِ مكانَهُ لقلت:« اللهُ نَعْبُد»، ثمَّ إنَّ" نَعْبُد" هوَ المقتضَى معنَى النصبِ فيهِ، وكذلكَ حكمُ" إيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، ثُمَّ إنَّ جملة " إيَّاكَ نَسْتَعِينَ"، معطوفٌ بالواوِ علَى جملة" إيَّاكَ نَعْبُدُ"، و" الصِّراطَ" مفعولٌ، و"المستقيم" صفةٌ للصِّراط، و" صِرَاطَ الَّذِينَ" بدل من" الصّراطِ المستقيمِ"، و" أنْعَمْتَ عليهِم" صِلَةَ الَّذِينَ، و"غَيرِ المغضوبِ عليهِمْ"، صفة"الّذين"، و" الضَّالِين" معطوفٌ علَى"المغضوبِ عليهِم"».[2]

نلاحظ من خلال هذين النصّين، أنّ الجرجاني اتّخذ من اللّغة موضعا حجاجيا في الدّفاع عن قضاياه البلاغيّة، وذلك باعتماده على حجّة السلطة، والّتي تتجلى في تكثيفه للدّليل اللّغوي، من أجل حمل المستمع على الإقناع.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص102.

[2] المصدر السابق، ص452-453.

2- حجة المثال. l'exemple

إنّ لحجّة المثال دورا إقناعيا وحجاجيا، وظّفها مؤلّف خطاب" دلائل الإعجاز" توظيفا تداوليا، حيث نلمس ذلك في قوله:« وإنَّا لَنرَى أنَّ فِي النَّاسِ مَنْ إذَا رأى أنَّه يجرِي فِي القياسِ وضربِ المثلِ أنْ تُشَبَّهَ الكلِمُ فِي ضمِّ بعضِها إلَى بعضٍ، بِضَمِّ غَزْلِ الإبرِيسم بعضُه إلَى بعضٍ(...)، ويَتَخَيَّر للأصْبَاغِ المختلفةِ المَواقعَ الّتِي يعلمُ أنَّه إذَا أوْقَعَهَا فيهَا حَدَثَ لهُ في نسجِهَ ما يريدُ منَ النقشِ والصورةِ، جرَى فِي ظنِّه أنَّ حالَ الكلمِ فِي ضمِّ بعضِها إلَى بعضٍ، وفِي تخيُّر المواقعِ لهَا، حالُ خيوطِ الإبريسمِ سواءٌ».[1]

يصوغ الجرجاني في خطابه الأمثلة، من أجل تدعيم آرائه لحصول الإقناع، وحمل الجمهور على الإذعان، لأنّ المثال باعتباره حجّة، فهو« يقوّي مزاعم المحاجج، إذ يعلّقها بمرجع يعضد المسار الحجاجي، ويحدث التماثل بين الآليّات الاستدلاليّة والمقاصد المآليّة».[2]

3- الأنموذج (Modèle).

إنّ الأنموذج الّذي جعله الجرجاني مدار حديثه في خطابه هو" النظم" فبلاغة الخطاب القرآني وإعجازه كامنة في نظمه، يقول:« ونَعُودُ إلَى النَّسَقِ فنقول: فإذَا بطلَ أنْ يكونَ الوَصْف الّذِي أَعْجزَهم منَ القرآنِ في شيءٍ ممَّا عدَّدْنَاه، لمْ يبقَ إلاَّ أنْ يكونَ فِي النَّظمِ، لأنَّه ليسَ منْ بعدِ مَا أبطَلْنَا أنْ يكونَ فيهِ إلاَّ "النَّظمُ" و" الاستعارةُ"، ولاَ يُمكِنُ أنْ تُجْعَلَ الاستعارةُ الأصْلَ فِي الإعجازِ وَأنْ يُقْصَر عليها، لأنَّ ذلكَ يُؤَدِّي إلى أنْ يكونَ الإعجازُ فِي آيٍ معدودةٍ فِي مواضعٍ منَ السُّورِ الطوالِ مخصوصةٍ، وإذا اِمْتَنَعَ ذلكَ فيهَا، ثبتَ أنَّ" النَّظْمَ" مكانُه الّذِي يَنْبغِي أنْ يكونَ فيهِ، وإذَا ثَبَتَ أنَّه فِي النَّظْمِ والتأليفِ، وكنَّا قدْ عَلِمْنَا أَنْ ليْسَ النَّظمُ شيئًا غيرَ توخِّي معانِي النَّحوِ وأحكامِهِ فيمَا بينَ الكلِمِ، وأنَّا إنْ بَقِينَا الدهرَ نُجْهِدُ أفكارَنَا حَتَّى نَعلَم للكلِمِ المفردةِ سِلْكًا يَنْظُمُهَا، وجامِعًا يَجْمَعُ شَمَلَها ويؤلِّفها، ويجْعَلَ بعضَها بسببٍ منْ بعضٍ، غيرَ توخِّي معانِي النّحوِ وأحكامِهِ فيهَا طَلَبْنَا مَا كلُّ محالٍ دُونَهُ».[3]

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص370.

[2] علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ص370.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص391.

ويكمن هدف الأنموذج في بيان المقاصد، ومقصد المحاجج من وراء خطابه هو الوصول إلى بلاغة النص القرآني الّتي تستند إلى النظم(توخّي معاني النحو)، وأقصى الاستعارة من دائرة الإعجاز لأنّها تتواجد في آي من القرآن، لذلك لا يمكن أن نجعلها مدار الإعجاز، كما أنّ للأنموذج دور في تثبيت الأفكار الّذي يهدف المحاجج إيصالها إلى الغير وإقناعهم بها.

3-4 الحجج القائمة على مبدأ الفصل المفهومي*.

les Arguments par dissociation des notions

ما يجعلنا نقرّ حضور هذا النّوع من" الحجج القائمة على مبدأ الفصل بين المفاهيم"، هو حضور الزّوج الفلسفي الظاهر/ الحقيقة في الخطاب، ويتّضح ذلك في قوله:« وممَّا الصفةُ فيهِ للمعنَى، وإنْ جرَى في ظاهرِ المُعَاملَة علَى اللَّفظِ، إلاَّ أنَّه يَبْعُدُ عندَ الناسِ كلَّ البُعْدِ أنْ يكونَ الأمرُ فيهِ كذلكَ، وأنْ لاَ يكونَ منْ صفةِ اللَّفظِ بالصحَّةِ والحقيقةِ، وَصْفُنَا اللَّفْظَ بأنَّهُ مجازٌ».[1]

إنّ هذا التصوّر الّذي أقرّه الجرجاني من أنّ المعنى يتجلّى في مظهرين: مظهرا حقيقيا ومظهرا مجازيا، تصوّر أقام عليه برهانه وحججه، وبنى عليه فكره، فهو الّذي اشتغل بنظم القرآن دليلا على إعجازه. فالفصل الّذي أقامه المحاجج بين هذه المفاهيم، يتجلى في الزوجين (الظاهر والحقيقة)، لأنّ الجزء الأوّل من الثنائية؛ أي الظاهر هو التعريض بأصحاب اللّفظ الّذين يرون أنّ الحسن والمزيّة في اللّفظ لا المعنى، غير أنّ الحقيقة غير ذلك، فالحسن والمزية تكمن في المعنى، واستشهد على صحّة ما ذهب إليه بقوله:" لو كانَ كذلكَ لوصَفْنَا اللّفظَ بأنَّه مجازٌ". لأنّنا لا نستطيع أن نحكم على الألفاظ بل على معانيها من حيث الحسن والمزية، كما أنّ المجاز يكون في معاني الألفاظ.

* إنّ هذا النوع من الحجج قائم على مبدأ الفصل المفهومي بين الأقضية والتصوّرات، ويعني أنّ الحدث الحجاجي، حدث مُقام على منطق العمل إحداثًا وإنشاءً، وهذا التصوّر يجعل الحجاج يتجاوز التصوّرات الشكليّة، ليقيم الوصل بعالم بناء التصوّرات وتوليد المعارف، وهو ما يصيّر الغاية من الحجاج كامنة فيما يؤوّل إليه من عوالم ممكنة تتولّد عنه،(...) وقد وصل العلماء هذا النوّع من الحجج القائم على مبدأ الفصل المفهومي، بالزّوج الفلسفي الظاهر/ الحقيقة، فهو حاضر في كل عمليّة فصل مفهومي. ينظر: علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيّات)، ص315.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص366.

ويرى الباحث" شكري المبخوت"، أنّ تمييز الجرجاني بين المعنى ومعنى المعنى، إنّما المقصود منه الإحاطة بظاهرة القول القائم على الحقيقة والتصريح من جهة، والقول القائم على الكناية والمجاز من جهة، حيث يقول:« وليس من باب الصدفة أن تكون الأمثلة الّتي ضربها الجرجاني عند حديثه عن معنى المعنى هي الأمثلة نفسها الّتي ضربها عند تعليله لبلاغة الكناية والمجاز، وما الفرق بين الموضعين في تقديرنا إلاّ فرق بين عمليتي بناء الدليل عند تكوين الدلالة، وعمليّة الاستدلال على المعنى عند تأويل الدلالة».[1] ويفسّر ذلك بقوله:« فالإخبار عن المعنى باللّفظ المراد به غير ظاهره، إنّما هو إخبار بنصب الدليل والشاهد على المعنى المدلول عليه، وهو ما يمكن التمثيل له: مدلول/ دليل، بحيث يكون المدلول هو المعنى الأوّل المقصود الّذي يمثّل غرض المتكلّم، والدليل هو المعنى الثاني المنطوق به، وآلية البناء هي ما يلحظه المتكلّم من ملازمة بين المعنيين تجعله يقدّم الظاهر من الملازمة ويضمّن الخفي منها، أمّا تأويل هذه الدّلالة فيقوم على عمليّة عكسيّة منطلقها الدليل وهدفها الوصول إلى الغرض دليل/مدلول، بحيث يكون الدّليل هو المعنى الظّاهر الّذي يوجبه اللّفظ، والمدلول هو المعنى الضّمني الّذي يلازمه، فحركة التأويل تنطلق من ظاهر إلى ضمني على أساس ملاحظة التلازم فيما بينهما».[2] غير أنّ الحقيقة المضمرة من وراء خطابه، والّتي تعكس ظاهر القول، هي أنّ الجرجاني لم يهتم بالمجاز في تفسيره لظاهرة الإعجاز البلاغي والقرآني، وفي هذا الصّدد يقول" محمّد النويري":« ومع شدّة خلافه مع المعتزلة، فإنّه لم ينكر المجاز غير أنّه والتزاما منه بأصول نظريّته المتميّزة في النظم والبلاغة عامّة، كان يحاول وخاصّة في كتابه" دلائل الإعجاز" أن يقلّل من قيمة المجاز في مجال إعجاز القرآن، لأنّ نظريّة خصومه المعتزلة في الإعجاز ترفع من شأن المجاز».[3]

[1] شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص32.

[2] المرجع السابق، ص33.

[3] محمد النويري، علم الكلام والنظريّة البلاغيّة عند العرب، دار محمّد علي حامي للنّشر والتّوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2001، ص19.

إنّ الفصل المفهومي بين المفاهيم واضح وجلي، فالظاهر هو الردّ عن أصحاب اللّفظ، والحقيقة هي أنّ المعتزلة رفعوا من شأن المجاز في قضيّة إعجاز القرآن، ممّا جعل الجرجاني يقلّل من شأنه، ويعلي من شأن النظم وينتصر للمعنى.

وعليه يمكننا تفسير الزوج ظاهر/ حقيقة، بأنّه قائم على خلفية مذهبيّة دينيّة، فالحقيقة أساسها الجدال داخل المنظومة الإيمانية، كما أنّ الجرجاني اتّخذ من الأشعرية موقفا للدّفاع عن أرائهم حول قضيّة الإعجاز القرآني، مقابل الموقف المعتزلي.

4- الآليات اللّغوية.

تتحدّد الآليّات اللّغوية في الخطاب حسب مقدرة المحاجج اللّغوية، وحذقه في توظيفها، وقد استعمل الجرجاني مجموعة من الآليات منها: أدوات الرّبط والعوامل الحجاجيّة، والّتي تظهر لنا مدى قوّة وضعف الحجج داخل السلّم الحجاجي، وتختلف أدوات الرّبط الحجاجيّة عن العوامل، وكل لها دور في الحجاج، كما أنّ أدوات الرّبط نفسها تختلف باختلاف ورود الحجج والنّتائج.

4-1 أدوات الرّبط الحجاجيّة (les connecters).

تربط بين قولين، أو بين حجّتين أو أكثر، و تسند لكل قول دورا محدّدا داخل الاستراتيجيّة الحجاجيّة العامّة، ويمكن التّمثيل لها بالأدوات التّالية: بل، لكن، حتّى، لاسيّما، إذن، لأنّ، بما أنّ، إذ..[1]

- **أداة الرّبط الحجاجي" بل".**

يعد من بين روابط التّعارض الحجاجي، والّذي يدرج حججا قويّة في الخطاب.[2]

وهي حرف عطف، ولها استعمالان:[3]

1- إذا كان الكلام قبلها موجبا، أو بصيغة الأمر أفادت إفادتين: الإضراب عن الحكم السابق؛ أي السكوت عنه وكأنّه غير مذكور، ثمّ نقله إلى ما بعدها.

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص24.

[2] المرجع السابق، ص 20.

[3] علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، اربد، الأردن، ط2، 1993، 115-116.

2- إذا كان الكلام قبلها غير موجب، مشتملا على نفي أو نهي أفادت إفادتين: إقرار الحكم السّابق الّذي قبل بل، وإثبات ضدّه إلى ما بعدها. كما تعدّ حرف ابتداء يفيد الإضراب، إذا تلتها جملة، وتسمّى حرف استئناف، والإضراب نوعان:

- إضراب إبطالي: وهو ما يفيد نفي الحكم السّابق أو تكذيبه، ثمّ الإتيان بحكم جديد.

- إضراب انتقالي: يفيد الانتقال من حكم سابق إلى حكم جديد؛ أي عدم إلغاء الحكم السّابق بل بقاؤه على حاله، والانتقال منه إلى حكم جديد، وقد ترد لا النّافية قبل بل لتوكيد الإضراب. وقد استعمل الجرجاني هذا النّوع من أداة الرّبط الحجاجي في خطابه، حيث يقول:« وإذَا كانَ هذَا كذلكَ، فينبغِي أنْ يُعْلَم أنْ ليسَ المنعُ فِي ذلكَ مَنْعَ تنزيهٍ وكرَاهةٍ **بلْ** سبيلُ الوزنِ فِي مَنْعِهِ عليهِ السلامِ إيّاهُ سَبيلُ الخطِّ، حينَ جُعِلَ عليهِ السَّلامُ لاَ يقرأُ ولاَ يكتبُ، فِي أنْ لمْ يكنْ المَنْعُ منْ أجلِ كراهةٍ كانتْ فِي الخطِّ، **بلْ** لأنْ تكونَ الحجَّةُ أبهرَ وأقهرَ، والدّلالةُ أقوَى وأظهرَ، ولتكونَ أَكْعَمَ للجَاحِدِ وأقْمَعَ للمعانِدِ، وأردَّ لطالبِ الشبهةِ، وأمنَعَ منْ ارتفاعِ الرّيبةِ».[1]

من خلال هذا النّص، يتّضح أنّ المحاجج استعمل أداة الرّبط الحجاجي "**بل**" لغرضين، ففي قوله: « فينبغِي أنْ يعلمَ أنَّ ليسَ المنعُ في ذلكَ منعَ تنزيهٍ و كراهةِ، **بلْ** سبيلُ الوزنِ فِي منعِهِ عليهِ السلامُ إيَّاهُ سبيلُ الخطِّ». أفادت "**بل**" في هذه الحالة نفيا لحكم سابق وتكذيبه، والإتيان بحكم جديد؛ أي أنّ المحاجج أبطل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلّم، منع من سماع الوزن كراهة، وأورد حجّته وهو أنّه منع من الوزن على سبيل الخطّ. وقوله:« لمْ يكنْ المنعُ منْ أجلِ كراهةٍ كانتْ في الخطِّ، **بلْ** لأنْ تكونَ الحجَّةُ أقهرَ وأبْهرَ». وهنا أفادت "**بل**" الانتقال من حكم سابق إلى حكم جديد، وأفادت إضرابا انتقاليا، فالمحاجج أورد الحجّة الّتي منع بها الرسول صلى الله عليه وسلّم من النطق بالوزن، ومن القراءة والكتابة وذلك لأن تتجلّى الحجّة وتظهر وتقوى.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص27.

ويمكن إدراج هذه الحجج وفق البنية الحجاجية :

ن: إبعاد الشبهات عن رسول الله (قوّة الحجة).

- المنع ليس كراهة في الخطّ.

بل

- المنع من سبيل الخط.

بل

- المنع في سماع الوزن

كما يمكننا هيكلة هذه الحجّة كالآتي:

المعطى:—] النتيجة: أوتي جوامع الكلم لإثبات الحجة ورد شبهات المعاندين.

منع الرسول صلى الله عليه

من قول الكلام الموزون.

السّند (الدّعامة): الرسول لا يقرأ ولا يكتب.

- **أداة الرّبط الحجاجي" لكن"**.

تعدّ من روابط التّعارض الحجاجي، وتميل إلى أن تستنتج من "أ" نتيجة ما، لا ينبغي القيام بذلك، لأنّ "ب" هي صحيحة مثل "أ" تقترح النّتيجة المضادّة.[1]

ويمكن صياغتها كالآتي: "أ" لكن "ب". كما أنّها «حرف استدراك ومعنى الاستدراك أن تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنّك لمّا أخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهّم من الثّاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلبا وإن إيجابا، ولذلك لا يكون إلاّ بعد كلام ملفوظ به أو مقدّر، وقال بعضهم لكن للاستدراك، توسّطها بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا، فيستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي».[2]

[1] أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص27.

[2] أبو محمد بدر حسن المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني. تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992، ص144.

يقول الجرجاني:« فإنْ تَصوَّرْتَ الأوَّل، فقلْ مَا شئْتَ، وأعْلَمْ أنَّ كلَّ مَا ذَكَرْنَاه باطلٌ، وإنْ لمْ تَتَصوَّرْ إلاَّ الثَّانِي، فلاَ تَخْدَعَنَّ نفسكَ بالأضاليلِ، ودعْ النّظرَ إلَى ظواهِرِ الأمورِ، وأعْلَمْ أنَّ مَا ترَى أنَّهُ لاَ بُدَّ منهُ من تَرَتُّبِ الألفاظِ وتواليهَا علَى النّظمِ الخاصِ، ليسَ هوَ الّذِي طَلَبْتَهُ بالفكرِ، و**لكنَّه** شيءٌ يقعُ بسببِ الأوَّلِ ضرورةً، منْ حيثُ إنَّ الألفاظَ إذْ كانَتْ أوعيةً للمعانِي فإنّهَا لاَ محالة تَتَّبِعُ المعانِي في مواقِعِهَا».[1]

بما أنّ" **لكن**" تقترح نتيجة مضادّة، فيمكن صياغتها على الشكل الآتي:

لا(أ) **لكن** (ب)

لا تترتّب الألفاظ في النظم. الألفاظ أوعية للمعاني.

لا(ب)

لا نظم في الألفاظ.

لا (أ) ⟵ لا(ب) **لكن**" ب". فالحجة المضادّة "ب" هي إثبات للنفي لا"ب"، فالنتيجة وردت مناقضة للنفي؛ أي أنّها مثبة.

وتدرج هذه الحجّة في البنية الحجاجية كالآتي:

ن: الألفاظ تتّبع المعاني.

- الألفاظ أوعية للمعاني.
- **لكن**.
- ترتّب الألفاظ وتواليها على نظم خاص.

وتهيكل وفق:

المعطى (الألفاظ لا تترتّب في نظم خاص) ⟵] النتيجة: الألفاظ تتّبع المعاني في مواقعها.

السند: الألفاظ أوعية للمعاني.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص52.

- **أداة الرّبط الحجاجي" حتّى".**

يتمثّل دورها في إدراج حجّة جديدة، أقوى من الحجّة المذكورة قبله، والحجّتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوّة الحجاجيّة، وتعدّ من بين روابط التّساوق الحجاجي.[1] وتفيد معان:[2]

1- الغاية: أي أنّ ما بعدها غاية لما قبلها، وتفيد انقطاع ما قبلها بمجرّد حصول ما بعدها والغالب أنّ الغاية تدخل في الحكم الّذي قبلها، إلاّ إذا دلّ عليها دليل لفظي أو معنوي.

2- التّعليل: أي أنّ ما قبلها علّة لما بعدها، بخلاف لام التّعليل، فما بعدها علّة لما قبلها.

3- بمعنى" إلاّ" الاستثنائيّة.

وقد تواتر استعمال أداة الرّبط الحجاجي" حتّى" في الخطاب الجرجاني، ونورد مثالا على ذلك في قوله:« واْعلَمْ أنَّكَ لاَ تشفِي العلَّةَ ولاَ تَنْتَهِي إلى ثَلَج اليقينِ، **حتَّى** تَتَجَاوَزَ حدَّ العلمِ بالشيءِ مجملاً، إلَى العلمِ بهِ مُفَصَّلاً، وحتَّى لاَ يقنعكَ إلاَّ النَّظرَ فِي زواياهُ، والتغلغُلُ في مكامِنِهِ، و**حتَّى** تكونَ كمنْ تَتَبَّعَ الماءَ **حتَّى** عرفَ مَنْبَعَهُ، (...) وكلِّ مَا هوَ صَنْعَةً وعملَ يدٍ، بعدَ أنْ يَبْلُغَ مبلغًا يقعُ التفاضلُ فيهِ، ثمَّ يَعظمُ **حتَّى** يزيدَ فيهِ الصّانعُ علَى الصَّانِعِ زيادةً يكونُ لهُ بها صِيتٌ، ويدخلَ فِي حدِّ ما يَعجِزُ عنْه الأكثرونَ».[3] ومن خلال النص يتّضح دور أداة الرّبط الحجاجي" **حتّى**"، حيث أفادت الغاية والتّعليل، فهي تأتي بمجموعة متوالية من الحجج، وكل حجّة أقوى من الّتي سبقتها، لأنّ معرفة العلّة يتطلّب معرفة العلم بجزئيّاته وتتبّعها للوصول إلى الحقيقة، وهي النّظم الّذي يشبه في صياغته الأعمال الصناعيّة، فهو صناعة لغوية، يدركها الناظم الحاذق بالعلم. ويمكن التّمثيل لها بالبنية الحجاجية الآتية:

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

[2] علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ص141.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص260.

ن: النّظم شبيه بالصّياغة.

- **حتّى**
- لا يقنعك النّظر في زواياه والتغلغل في مكامنه.
- **حتّى**
- أخذ العلم مفصّلا.
- **حتّى**
- لا تشفي العلّة ولا تنتهي إلى ثلج اليقين.

كما يمكن هيكلة هذه الحجج وفق:

المعطى: ——————] النتيجة: النّظم شبيه بالصّياغة.

معرفة كيف تنتظم الألفاظ بمعانيها في الكلام.

السند: قياس عمليّة النظم على الأعمال الصناعيّة.

نلاحظ أنّ الرابط الحجاجي" **حتّى**" قد أدرج حججا قويّة، كما أنّ الحجج الواردة بعده تأتي أقوى من الحجج الّتي سبقتها.

- **الرّابط الحجاجي" لا سيّما":**

تعدّ من روابط التّساوق الحجاجي، وهي تركيب من" لا النافية" العاملة عمل" إنّ واسمها"، يفيد تفضيل ما بعدها على ما قبلها في الحكم.[1]

يقول الجرجاني:« واْعْلَمْ أنَّ منْ سبيلكَ أنْ تَعْتمدَ هذَا الفصلَ حدًّا، وتجعلَ النُّكَتَ الّتِي ذكرتُهَا فيهِ علَى ذكرٍ منكَ أبدًا، فإنَّهَا عُمَدٌ وَأصولٌ فِي هذَا البابِ، إذَا أنتَ مَكَّنْتَهَا في نفسِكَ وجَدْتَ الشُّبَهَ تَنْزَاحُ عنكَ، والشكوكَ تنتفِي عنْ قلبِكَ، و**لاسيَّمَا** مَا ذكرتُ منْ أنَّه لاَ يُتَصَوَّر أنْ تَعْرِفَ لِلَّفْظِ موضعًا منْ غيرِ أنْ تعرفَ معناهُ، ولاَ أنْ تتوخَّى في الألفاظِ من حيثُ هي ألفاظٌ ترتيبًا ونظمًا، وأنّكَ تتوخَّى الترتيبَ في المعانِي وتُعمِل الفكرَ هناك، فإذَا تَمَّ لكَ ذلكَ أَتْبَعتها الألفاظَ وقفوتَ بها آثارها، وأنَّكَ إذَا فرغتَ منْ ترتيبِ المعانِي في نفسِكَ، لمْ تحتجْ إلَى أنْ تستأنِفَ فكرًا فِي ترتيبِ الألفاظِ، بلْ تجدُها تترَتَّبُ لكَ بحُكْمِ أنَّهَا

[1] علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزغبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ص275.

خدمٌ للمعانِي وتابعةٌ لهَا، ولاحقةٌ بهَا، وأنَّ العلمَ بمواقعِ المعانِي فِي النّفسِ علمٌ بمواقعِ الألفاظِ الدالَّةِ عليهَا في النطقِ».[1]

إنّ الحجّة الّتي أوردتها أداة الرّبط الحجاجي" **لاسيّما**" وردت قويّة، وهي أنّ النّظم يتم بترتيب الألفاظ مع توخّي ترتيب المعاني، لأنّ الألفاظ خادمة للمعاني ولاحقة بها. وهي حجّته في الردّ عن أصحاب اللّفظ، فأداة الرّبط في هذا النص أفادت إثبات حكم نهائي يدعّم الحجج الواردة بعده.

ويمكن إدراجه في البنية الحجاجية الآتية:

ن: الألفاظ تابعة للمعاني ولاحقة بها.
- النظم في الألفاظ والمعاني.
- **لاسيّما**
- انتفاء الشكوك والشبهات

وتهيكل هذه الحجّة على الشكل الآتي:

المعطى: ـــــــــــــــــــ] النتيجة: الألفاظ تترتّب في النظم بمعانيها.

إزالة الشبهات والشك في شأن النظم.

السّند: ضمني.

وفي نص آخر يقول:«(...) ودهرٍ ليسَ للفضلِ وأهلِهِ لديهِ إلاَّ الشرَّ صِرْفًا والغيظَ بَحْتًا، وإلاَّ مَا يُدْهِش عقولهم ويَسْلُبَهم معقولَهم، حتَّى صارَ أعجزَ النّاسِ رأيًا عندَ الجميعِ، مَنْ كانتْ لهُ همَّةٌ فِي أنْ يستفيدَ علمًا أوْ يزدادَ فهمًا، أوْ يكتسبَ فضْلاً، أوْ يجعلَ لهُ ذلكَ بحالٍ شغلاً، فإنَّ الإلْفَ منْ طباعِ الكريمِ، وإذَا كانَ منْ حقِ الصديقِ عليكَ، و**لاسيَّما** إذَا تقادَمَتْ صُحْبَتُه وصَحَّتْ صَدَاقته(...)، فالعلمُ الّذِي هوَ صديقٌ لاَ يحولُ عن العهدِ، ولاَ يُدغِلُ في الوُدِّ(...)».[2]

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 53-54.

[2] المصدر السابق، ص33.

يسوق الجرجاني الرّابط الحجاجي" **لاسيّما**"، في تفضيله صداقة العلم الّذي لا يحول عن العهد ولا يدغل في الودّ، وحجّته في الحكم على أهل زمانه وما آل إليه العلم من تدهور. وتدرج هذه الحجّة في البنية الحجاجية الآتية:

ن: فضل العلم ومكانته.

– العلم هو الصديق.

– **لاسيّما**

– انصراف أهل الزمان عن العلم.

وتهيكل هذه الحجّة وفق:

المعطى: ——————] النتيجة: فضل ومكانة العلم.

انصراف أهل زمانه عن العلم.

السّند:عجزهم عن اكتساب العلم.

- **أداة الرّبط الحجاجي"إذن"**:

من الرّوابط المدرجة للنّتائج.[1] كما أنّها حرف نصب وجواب واستقبال.. وجوابا لأنّها تكون جوابا لمتحدّث.[2] وتدخل في إنشاء الارتباط، والشّرط وإنشاء السببيّة.[3]

وقد أورد الجرجاني هذا الرّابط في قوله:« فقدْ اتَّضَحَ **إذنْ** اتِّضَاحًا لاَ يَدْعُ للشكَّ مجالاً، أنَّ الألفاظَ لاَ تتفاضلُ منْ حيثُ هيَ ألفاظٌ مجرّدةٌ، ولا منْ حيثُ هيَ كلمٌ مفردةٌ، وأنَّ الفضيلةَ وخِلاَفَها فِي ملائمة معنَى اللّفظةِ لمعنَى الّتِي تليهَا، ومَا أشبَهَ ذلكَ، ممَّا لاَ تعلُّق لهُ بصريحِ اللّفظِ».[4]

يتمثّل دور أداة الرّبط الحجاجي" **إذن**" في هذا النص، في إدراج نتيجة مفادها أنّ الألفاظ لا تتفاضل، بل أنّ الفضيلة تكمن في ملائمة معنى اللّفظة لمعنى الّتي

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص30.

[2] علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزغبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ص38.

[3] أبو محمد بدر حسن المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص84.

[4] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص46.

تليها، كما أنّها أدّت وظيفة الارتباط بين الملفوظ السابق والنتيجة. ويمكن توضيح ذلك بالبنية الحجاجية الآتية:

ن: الفضيلة في ملائمة معاني الألفاظ.

– لا تفاضل للألفاظ من حيث هي كلم مفردة.

– **إذن**

– الإعجاز في اتساق معاني الألفاظ.

وتهيكل وفق:

المعطى: الإعجاز في اتّساق معاني الألفاظ (النظم)ـــ] النّتيجة: الفضيلة في ملائمة المعاني للألفاظ.

السند: لا تفاضل للألفاظ من حيث هي كلم مفردة.

وفي قوله أيضا:« وكذلكَ قولُه عزَّ وجلَّ﴿ ومنَ الناسِ منْ يَقُولُ آمَنَّا باللهِ وبالْيَوْمِ الآخِرِ ومَا هُمْ بمُؤْمِنينَ يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ إنّمَا قالَ "يُخادعونَ" ولمْ يقلْ" ويُخادعون" لأنَّ هذِهِ المخادعةُ ليستْ شيئًا غيَر قولِهِمْ" آمَنَّا" من غيرِ أنْ يكونُوا مؤمنينَ، فهوَ **إذَنْ** كلامٌ أُكِّدَ بهِ كلامٌ آخرُ هوَ فِي معناهِ، وليسَ شيئًا سواه».[1]

نلاحظ أنّ الجرجاني استعمل أداة الرّبط الحجاجي" **إذن**"، لإنشاء الارتباط والشّرط بين أجزاء القول، وكذلك علّل السبب في قوله تعالى" يُخادِعون"، كما أنّ أداة الرّبط" **إذن**" أدرجت نتيجة خادمة للحجّة، وهي أنّ الكلام أكّد به كلام آخر هو في معناه.

- **ألفاظ التعليل:**
- **أداة الرّبط السببي "لأنّ":**

تعدّ من أهم ألفاظ التّعليل، فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه، وتستعمل لتبرير الفعل، كما تستعمل لتبرير عمله.[2] يقول الجرجاني:« وأعْلَمْ أنَّهُمْ لمْ يبلُغوا

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 228.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص478.

في إنكارِ هذَا المذهبِ مَا بلغُوه، إلاَّ **لأنَّ** الخطأَ فيهِ عظيمٌ، وأنَّهُ يُفْضِي بصاحِبِه إلَى أنْ ينكرَ الإعجازَ ويُبْطِلَ التَّحَدِّي منْ حيثُ لاَ يشعر».[1]

استعمل الجرجاني أداة الرّبط السببي" **لأنّ**"، لكي يبرر لنا سبب إنكارهم للمعاني، وعظم الخطأ الّذي ذهبوا إليه، لأنّ إنكار المعنى هو إنكار للإعجاز، وهو في هذا يردّ على مذهب "الجاحظ" في قوله:« المعانِي مطروحةٌ فِي الطريقِ». وفي قوله:« ثمَّ إنَّه لوْ كانَ أكثُر ألفاظِ القرآنِ غريبًا، لكانَ محالاً أنْ يَدْخُلَ ذلكَ فِي الإعجازِ، وأنْ يصحَّ التَّحَدِّي بهِ. ذاكَ **لأنَّهُ** لاَ يخلُو إذَا وقَعَ التَّحَدِّي بهِ مِنْ أنْ يُتَحَدَّى مَنْ لهُ علمٌ بأمثالِهِ من الغريبِ، أوْ منْ لاَ عِلْمَ له بذلكَ».[2] لأنّ الإعجاز القرآني لا يقتصر على الغريب من اللّفظ.

- **التعليل باستخدام لفظ" السبب":**

يقول الجرجاني:« فإذَا رَأَى المعانِي لاَ تَقَعُ مُرتَّبَةٌ فِي نفسِهِ إلاَّ مِنْ بعدِ أنْ تقعَ مرتَّبَةٌ فِي سمعِهِ، نَسِيَ حالَ نفسِه، واْعتبَر حالَ منْ يسمعُ منْهُ. و**سبَبُ** ذلكَ قصرُ الهمّةِ، وضَعْفُ العنايةِ، وتَرْكُ النَّظَرَ، والأنْسَ بالتقليدِ».[3] يردّ الجرجاني عن الّذين لهجوا بأمر اللفظ، ويفنّد ويدحض مقولاتهم، ويرى أنّ سبب ذهابهم هذا المذهب هو قصر الهمّة والأنس بالتّقليد، فهم لم يمعنوا النّظر في أمر النّظم وكيف تترتّب المعاني في النفس أوّلا ثم تقع في السمع، فعلّل وفسّر ذلك باستخدام لفظ السبب.

- **حروف العطف:**

- **أداة الربط الحجاجي: "الواو".**

تعدّ حروف العطف من بين الآليات اللغويّة الّتي تؤدّي دورا في عمليّة الإقناع، حيث لا يخلو منها أيّ خطاب، ويتمثّل دورها في ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض. يقول الجرجاني:« قدْ فَرَغْنَا الآنَ منَ الكلامِ علَى جنسِ المزيّةِ، وأنَّها من حيِّزِ المعانِي دونَ الألفاظِ، وأنَّها ليستْ لكَ حيثُ تسمعْ بأذنِكَ، بلْ حيثُ تَنظُر بقلبكَ، وتستعينُ بفكركَ، وتُعْمِل رَوِيَّتك، وتُراجعْ عقْلكَ، وتَسْتَنْجِدُ فِي الجملةِ فهمَكَ، وبلغَ القولُ فِي ذلكَ أقصاهُ، وانتهَى إلَى مدَاهُ، وينبغِي أنْ نَأْخُذَ الآنَ في تفصيلِ أمرِ المزيَّة، وبيانِ الجهاتِ الّتِي منها

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص257.

[2] المصدر السابق، ص397.

[3] المصدر نفسه، ص455.

تَعْرِض، وإنَّهُ لمرامٌ صعبٌ ومطلبٌ عسيرٌ، ولولاَ أنَّه علَى ذلكَ، لمَا وجَدْتَ النَّاسَ بينَ منكرٍ لهُ منْ أصلِهِ ومُتَحَيِّلٍ لهُ على غيرِ وجهة، ومعتقدٍ أنَّه بابٌ لاَ تقوَى عليهِ العبارة، ولا يُملَكُ فيهِ إلاَّ الإشارةُ، وأنَّ طريقَ التعليمِ إليه مسدودٌ، وبابَ التفهيمِ دونَه مغلقٌ، وأنَّ معانِيكَ فيهِ معانٍ تأبَى أنْ تَبرُز في الضميرِ، وأنْ تدينَ للتبيينِ والتصويرِ، وأنْ تُرَى سافرةً لاَ نقابَ عليهَا، وباديةً لاَ حجابَ دُونَها(...)».[1]

يتّضح من خلال هذا النص الحضور المكثّف لأداة الرّبط الحجاجي" **الواو**"، حيث وردت الحجج مرتّبة في بناء الخطاب، وكل حجّة مرتبطة مع سابقتها والّتي تليها، وقد عمد الجرجاني إلى استخدام أداة الرّبط الحجاجي، لتكثيف الحجج من أجل الوصول إلى غايته الإقناعية، وهي أنّ المزية من حيّز المعاني دون الألفاظ.

- **أداة الرّبط الحجاجي"الفاء"**:

يقول الجرجاني:« ومَنْ تعلَّقَ بهذَا وشِبْهِهِ، واعترضَهُ الشكُّ فيهِ، بعدَ الّذِي مضَى منَ الحُججِ، فهوَ رجلٌ قدْ أنسَ بالتقليدِ، فهوَ يدعُو الشبهةَ إلَى نفسِهِ منْ ههنَا وثمَّ. ومنْ كانَ هذَا سبيلُه، فليسَ لهُ دواءٌ سوَى السكوتَ عنْه، وتركِهِ ومَا يَخْتَارُهُ لنفسِهِ من سوءِ النَّظرِ وقلّةِ التدبُّر».[2]

نلاحظ استخدام أداة الرّبط الحجاجي" **الفاء**" و" **الواو**" في النص وكيف أنّ الجرجاني أورد الحجج مرتّبة ومتتابعة في نسق متكامل، لما لأدوات الرّبط الحجاجيّة من دلالة في ترتيب الحجج.

4-2 العوامل الحجاجيّة: Les opérateurs argumentatives

لا تربط بين متغيّرات حجاجيّة؛ أي بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، لكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة الّتي تكون لقول ما، وتضمّ مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربّما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا ما.... إلاّ، وجل أدوات القصر.[3]

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص64-65.

[2] المصدر السابق، ص 64.

[3] أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص27.

- **لا ... إلاّ وبعدهما الحجاجي:**

إنّ أصل النفي والاستثناء أن يستعملا في أمر من شأنه أن يجهله المخاطب وينكره.[1] ويخرج القصر لأغراض بلاغية منها:[2]

- تمكين الكلام وتقريره في الذهن.
- المبالغة في المعنى و تصوير الحد الأقصى فيه.
- التهوين وإصغار الشأن.
- التعريض ويعتبر وسيلة لتكثيف الدلالة.

وقد ورد أسلوب القصر في الخطاب الجرجاني يقول:« **لا** نرَى متقدِّمًا في علمِ البلاغةِ مبرِّزًا فِي شَأْوِهَا، **إلاَّ** و هُو يُنكر هذا الرأي ويَعِيبُه، ويُزْري علَى القائلِ بهِ و يَغُضُّ مِنْه».[3]

ومن خلال السياق الّذي ورد فيه العامل الحجاجي، يتّضح أنّ المحاجج يبالغ في تصوير المعنى، بالإضافة إلى التّعريض بأصحاب اللّفظ، والتهوين بما ذهبوا إليه في مقولاتهم وتفنيدها. وفي قوله:« **لا** معنَى لبقاءِ المعجزةِ بالقرآنِ **إلاَّ** أنَّ الوصفَ الّذِي لهُ كانَ معجزًا قائمٌ فيهِ أبدًا».[4] نلاحظ أنّ المحاجج يصوغ حججه في أسلوب تقريري من أجل تقرير وتأكيد الكلام في ذهن المخاطَب.

- **إنّما وبعدها الحجاجي:**

أفاد النّحاة أنّ " إنّما" للحصر، وتتكوّن من "إنّ" و"ما" وهي تفيد معنى النفي؛ أي أنّها تضمّن الكلام معنى النّفي من بعد الإثبات. كما أنّه ليس كلّ كلام يصلح فيه"ما" و"إلاّ" يصلح فيه "إنّما"، وهذا ما نصّ عليه" عبد القاهر الجرجاني" وأكّده، وتخصّص" إنّما" لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يرفع صحّته. كما أكّد البلاغيون بعد استقرائهم لفائدة" إنّما"، فوجدوها أقوى ما تكون وأعلق ما يرى بالقلب، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس

[1] عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية(المعاني، البيان، البديع)، منشورات الجامعة المفتوحة، 1993، ص238.

[2] المرجع السابق، ص241.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص252.

[4] المصدر السابق، ص10.

معناه، ولكنّ التّعريف بأمر هو مقتضاه. فليس الغرض في قوله تعالى:﴿ إنَّمَا يتذكَّرُ أُولُو الألبابِ﴾، أن يعلم السامعون ظاهر معنى الآية، ولكن أن يذمّ الكفار، وأن يقال إنّهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل، والتصريح بامتناع التذكّر ممّن لا يعقل، وإذا أسقطت من الكلام، فيكون مجرّد وصف لأولي الألباب، ويرى" الزركشي"، أنّه قد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادّعاء المتكلّم ظهوره فيستعمل له" إنّما".[1]

وقد استعملها الجرجاني في خطابه:« فإنْ زعِمَ أنَّه **إنَّمَا** كرِهَ الوزنَ، لأنَّه سببٌ، لأنْ يُتَغَنَّى فِي الشعرِ ويتلهَّى به، فإنَّا إذَا كنَّا لم نَدْعُهُ إلى الشعرِ منْ أجلِ ذلكَ، و**إنَّمَا** دعونَاهُ إلَى اللَّفظِ الجَزْلِ، والقولِ الفصلِ، والمنطقِ الحسنِ، والكلامِ البَيِّنِ، وإلى حسنِ التمثيلِ والاستعارةِ، وإلى التلويح والإشارة، وإلى صنعةٍ تعمِد إلى المعنى الخسيس فَتُشرِّفه، وإلى الضئيل فتفخِّمُه، وإلى النازلِ فترفَعُه، وإلى الخاملِ فتنوِّهَ بهِ، وإلى العاطلِ فتحلِّيهِ، وإلَى المشكلِ فتجلّيهِ، فلا مُتَعَلِّق لهُ علَيْنَا بمَا ذَكَر، ولاَ ضَرَرَ عَلَيْنَا فيمَا أنْكَرَ، فليقلْ فِي الوزنِ ما شاءَ، وليَضَعْهُ حيثُ أرادَ، فليسَ يَعْنينَا أَمْرُه، ولا هو مُرَادُنا منْ هذَا الّذِي راجَعَنَا القولَ فيهِ».[2] ويتّضح لنا من خلال هذا النص، أنّ الجرجاني يردّ عن من ذمّ الشعر لأنّه موزون مقفى، فينفي ما ذهبوا إليه في أقوالهم، من إنكارهم لدور الشعر في معرفة الكلام الحسن، ويكذّب ادّعائهم، ويتجلّى لنا ذلك في استعماله للعامل الحجاجي" إنّما"، والّتي كان لها دورا في إقرار الخبر للمخاطب، وفي التعريف بالمضمون، من أنّ الشعر صنعة يعرف بها حسن الكلام من قبيحه، وشرف المعنى من ضئيله.

4-3 الصفات:

تعدّ الصفة من بين أهم المعطيات الحجاجيّة الّتي وظّفها الجرجاني في خطابه، ويرى الباحث"عبد اللّه صولة" أنّ إطلاق الصّفات في الخطاب من قبيل:« المصادرة على المطلوب».[3]

---

[1] الرّماني علي عيسى، معاني الحروف، تحقيق: عرفان حسّونة، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 2005، ص130-131. بتصرّف.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، ص24.

[3] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنّف في الحجاج" البلاغة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه، مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص316.

كما تمثّل الصّفة أداة في الفعل الحجاجي، فلا يقتصر المرسل على توظيف معناها المعجمي أو تأويله، بل يبتغي التقويم والتصنيف واقتراح النتائج الّتي يريد حصولها أو فرضها، وهذا ما يعطيها الطواعيّة والمرونة الّتي هي من صلب خصائص الخطاب الطبيعي في الممارسة الحجاجيّة، ليمارس المرسل أكثر من فعل واحد، بالتصنيف وبتوجية انتباه المرسل إليه إلى ما يريد أن يقنعه به في حجاجه.[1] ويكمن دورها الحجاجي:« في استجلاء وجهة نظرنا وموقفنا من الموضوع(...) والمقصد منها، هو تحديد نوع الموقف الّذي ينبغي أن نحكم عليه».[2] ويتّضح ذلك في قوله:« ودخلَ علَى النَّاسِ منَ الغَلَطِ فِي معنَاه مَا دخلَ عليهِم فيهِ، فقدْ سبقَتْ إلَى نُفُوسِهِمْ اعتقاداتٌ فاسدةٌ وظنونٌ رديَّةٌ، وركبَهم فيه جهلٌ عظيمٌ وخطأٌ فاحشٌ».[3]

عمد المحاجج إلى إطلاق الصّفات في خطابه، من أجل حمل المستمع على التسليم والإذعان، وتبني موقف معين من خلال التوجيه الفكري والعاطفي.

4-4 التكرار.

تبرز تقنيّة التكرار في الخطاب الجرجاني، حيث تعدّ من أهم التقنيّات الحجاجية ويكمن دورها:« في إبراز شدّة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها، وتتصاحب تقنية أخرى مع التكرار وهي كثرة الإشارات إلى الدّقائق المتعلّقة بالموضوع، تكثيفا لحالة الحضور».[4]

ويرى" محمّد الأمين الطلبة" أنّ« التكرار يساعد على حدوث الوفاق بين الخطيب والجمهور، شأنه في ذلك شأن الحكمة والأمثال ذات الشحنة المكتنزة والّتي تؤهّلها لأن تكون في ذلك الخطاب منطلقا للاستدلال، شرط أن تكون ممّا يقبل به الجمهور».[5]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، ص487.

[2] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج" الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكاه، ص316.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص6.

[4] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص318.

[5] محمّد سالم محمّد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، مدارس وأعلام، ص197-198.

وقد عمد الجرجاني إلى توظيف هذه الآليّة؛ أي التكرار بنوعيه اللّفظي والمعنوي في خطابه، وخاصّة في معرض حديثه عن الاستعارة والنظم. كما أنّ الجرجاني نفسه أدرك أنّه يعيد ويكرّر، حيث يقول:« ولكنَّا أعدْنَاه ههُنا، لأنَّ الّذِي أخذْنَا فيهِ منْ إسلامِ القومِ أَنْفُسَهم إلَى التقليدِ، اقتضَى إعَادتَه».[1] ويقول أيضا:« وقدْ ذكرتُ هذا في صدرِ الكتابِ».[2] وفي موضعٍ آخر يقول:« واعلمْ أنِّي علَى طولِ مَا أَعَدْتُ وأَبْدَأْتُ، وقلتُ وشرِحْتُ».[3]

يسعى المحاجج من خلال هذه التقنيّة إلى إثبات دعواه، وترسيخ الفكرة المراد توصيلها إلى الجمهور، وهي أنّ النظم هو دليل الإعجاز ويكمن في اتّساق المعاني لا الألفاظ، وهذه الآليّة تمنح الخطاب طاقة حجاجيّة، عن طريق تكثيف المقولات الّتي يودّ المحاجج الدّفاع عنها أو تفنيدها ودحضها. غير أنّ محقق كتاب" دلائل الإعجاز" محمود محمّد شاكر رأى أنّ التكرار الّذي اعتمده المؤلّف يعود إلى سبب منهجي يقول:« بل كان عمله وهو يؤسّس هذا العلم الجديد، مشوبًا بحميّةٍ جارفةٍ لا تعرفُ الأناةَ في التبويبِ والتقسيمِ والتصنيفِ وكأنَّه كانَ في عجلةٍ منْ أمرِه، وكأنَّ منازعًا كانَ يُنازعُه عندَ كلِّ فكرةٍ يريدُ أنْ يجليهَا ببراعتهِ وذكائهِ وسرعةِ لمحهِ، و بقوّةِ حجَّتِهِ ومضاءِ رأيهِ».[4]

4-5 اسم الفاعل:

يعدّ اسم الفاعل من نماذج الوصف الّتي يدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجّة، ليسوّغ لنفسه إصدار الحكم الّذي يريده، لتتبني عليه النتيجة الّتي يرومها، ويعرّف اسم الفاعل على أنّه:« صفة تؤخذ من الفعل المعلوم، لتدل على معنى وقع من الموصوف بها، أو قام به على وجه الحدوث* لا الثبوت».[5]

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص468.

[2] المصدر السابق، ص447.

[3] المصدر نفسه، ص365.

[4] نفسه، ص أ.

* فالحدوث أن يكون المعنى القائم بالموصوف متجدّدا بتجدّد الأزمنة، عكس الصفة المشبهة القائمة بالموصوف بها على وجه الثبوت والدوام.

[5] مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية. مراجعة: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1، ط28، ص178.

وقد استعمل الجرجاني هذا الصّنف من الوصف لإيراد الحجّة وبيانها، في إثبات بلاغة الكلام الّتي تكون في النظم، وسوق مجموعة من الحجج، والّتي تقرّ بأنّ القرآن معجز بنظمه لا بالصرفة، وأنّ بلاغة الكلام لا ترجع إلى الألفاظ، وإنّما إلى المعاني، وإلى العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، ومن بين أسماء الأفعال المتواترة على طول الخطاب نجد: ناظم، صانع، قائل، ناظر، سائل، واضع، عاقل، سامع، عالم، كاتب، شاعر، عارف، حسّاس، متفهّم، الصانع الحاذق.

ويقول مثلا في استدلاله على أنّ النظم هو توخي معاني النحو:« وفسادُ هذَا وشبْهِهِ منَ الظَّنِّ، وإنْ كانَ معلومًا ظاهرًا فإنَّ هَهُنا استدلالاً لطيفًا تكثُرُ بسببهِ الفائدة، وهو أنَّه يُتَصَوَّرُ أنْ يعمِدَ عامِدٌ إلَى نظمِ كلامٍ بعينهِ فيزِيلُه عنِ الصُّورةِ الّتِي أرادهَا الناظمُ لهُ ويفسِدُها عليهِ».[1]

نلاحظ أنّ المحاجج استعمل اسم الفاعل في قوله: عامدٌ، أرادَها الناظمُ، فالناظم من ينظم الألفاظ وفق معاني النحو في مقابل الّذي يتعمّد أن يزيل تلك الألفاظ عن معانيها، فقد استخدم اسمي الفاعل في السياق نفسه من أجل إثبات الدّليل من أنّ ناظم الكلام ينبغي أن يتخيّر مواقع الألفاظ في نظمه وفق ما يقتضيه علم النحو.

4-6 صيغ المبالغة:

استعمل الجرجاني صيغ المبالغة لترسيخ الصفة في النفس وتفخيم شأن ما ذهب إليه أصحاب اللّفظ، وقد استخدم هذا النّوع من الصيغ لتدعيم الحجج الّتي ساقها في شأن النظم وتقويض مقولات أصحاب اللّفظ، الّذين رأوا أنّ النظم والمزيّة تكون في اللّفظ، فهذه الصفات علقت بأذهانهم وتشرّبتها عقولهم، وجعلوها تقليدا ومذهبا، فأراد أن يقنع ويوجّه الغير بأنّ ما ذهب إليه أصحاب اللّفظ في مقولاتهم هي مجرد أباطيل.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص371.

يقول الجرجاني في باب الحذف:« هوَ بابٌ دقيقُ* المَسْلك، لطيفُ* المأْخذِ، عجيبُ* الأمرِ، شبيهٌ* بالسِّحرِ(...)».[1]

ويمكن تمثيل هذه البنية الحجاجية بالسلّم الحجاجي الآتي:

ن: باب الحذف

- شبيه بالسحر
- عجيب الأمر
- لطيف المأخذ
- دقيق المسلك

يتّضح لنا من خلال هذا النص وبعد تحديد كل صفة لغويا، أنّ الجرجاني تدرّج في استعمال الحجج على السلّم الحجاجي وتتابعها لخدمة النتيجة، فباب الحذف دقيق ولطيف وعجيب، ثمّ يرى بأنّه شبيه بالسّحر، ولتوضيح ذلك يستدرك كلامه قائلا:« فإنَّكَ ترَى به تركَ الذِّكْر، أفصحَ من الذكرِ، والصَّمْتَ عن الإفادةِ، أزيدَ للإفادةِ، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطقْ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تبنْ».[2]

* دقيقٌ: ضد الغليظ، يقال سيف دقيق المَضْرِب، ورمحٌ دقيقق، وغصنٌ دقيقٌ، كما تقول: رمح غليظ وغصن غليظ، وقد يوقع الدقيق من صفة المر الحقير الصغير، فيكون ضدّه الجليل. والدّقيق الأمر الغامض الخفي عن العيون. الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس. تح: نواف الجرّاح، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر،ج4، ط1، 2011، ص139-140.

* لطيف: اللطيف من الكلام، ما خفي وغمض.

* عجيب: جمع عجائب، والتعجب ما خفي سببه ولم يعلم، ويقال أيضا: التعجب: أن ترى الشيء يعجبك، وتظن أنّك لم تر مثله، وهو حيرة تعرض للإنسان عند سبب جهل الشيء، وليس هو سببا له في ذاته بل هو حالة بحسب الإضافة إلى من يعرف السبب ومن لا يعرفه، وبعضهم خصّه بالحسن، وهو عند النحاة: انفعال النفس لزيادة وصف في المتعجب منه نحو: ما أشجعه. المرجع السابق، ج7، ص65.

* شبيه: شابَهَهُ وأشبهه، ماثَلَه، وتشابها واشتبها أشبه كل منهما الآخر حتّى التبسا، والشبهة الالتباس، وأيضا: المثْلُ، وشبّه عليه الأمر تشبيها، لبّسَ عليه، وتشبيه: تمثل، وشبهه عليه تشبيها: خلّطه عليه، وشبّه الشيء أشكل، وأيضا ساوى بين شيء وشيء، والتشابه: الاستواء. المرجع نفسه، ج5، ص597-598.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص146.

[2] المصدر السابق، ص146.

فهذا القول يوضّح لنا السبب الّذي جعل الجرجاني يتدرّج في استعماله للحجج، لذا عمد إلى إطلاق صيغ المبالغة في قوله: دقيق المسلك؛ أي أنّ ترك الذّكر، أفصح من الذّكر، وفي قوله: لطيف المأخذ؛ أي أنّ الصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وفي قوله:عجيب الأمر؛ يقابلها قوله: تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وفي قوله: شبيه بالسحر؛ أي أنّ باب الحذف، أتمّ بيانا إذا لم تبن.

4-7 أسماء التفضيل:

صاغ الجرجاني مجموعة من أسماء التفضيل نظرا لما تحتويه من حمل إقناعي، يعمد إليها المحاجج ويوظّفها في خطابه، ليزيده إثباتا وتدعيما للحجّة. ويكمن دور أسماء التفضيل الحجاجي في أنّه:« يتضمّن صيغا تمكّن المرسل من إيجاد العلاقة بين أطراف ليس بينما أي علاقة بطبعها، كما أنّه يمكّنه من ترتيب الأشياء ترتيبا معينا، فبدون استعماله ما كان لها أن تترتّب، ولذلك يصنّفه بيرلمان في حجاج التّعدية».[1] كما تستعمل أسماء التفضيل في الإثبات، ويعرّف اسم التفضيل على أنّه« صفة تؤخذ من الفعل لتدلّ على أنّ شيئين اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر فيها».[2] ومن ذلك قوله:« وأعلَمْ أنَّهُمْ لمْ يَعيبُوا تقديمَ الكلامِ بمعناهِ منْ حيثُ جهلُوا أنَّ المعنَى إذَا كانَ أدبًا وحكمةً وكانَ غريبًا نادرًا، فهوَ أشرفُ ممَّا ليسَ كذلكَ، بلْ عابُوهُ منْ حيثُ كانَ مِنْ حكمِ مَنْ قضَى فِي جنسٍ مِنَ الأجناسِ بفضلٍ أو نقصٍ».[3]

إنّ الصيغة " أشرف" الّتي اختارها المحاجج في خطابه تدعّم حجّته في إثبات رأيه الذّي ينتصر للمعنى، ويمكن إدراجها في البنية الحجاجية الآتية:

ن: شرف المعنى

ح2: ← جهلهم لمكانة المعنى.

ح1: ← أعابوا تقديم المعنى.

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، ص528.

[2] مصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربية، ج1، ص193.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص254.

يستخدم الجرجاني في هذا النص حجّة المفاضلة في قوله: "أشرف" لتفضيله شرف المعنى كنتيجة، في حين نجده يثبت جهلهم للمعنى وعيبهم له. كما أنّ المعنى كلّما كان حكمة أو أدبا وكان غريبا نادرا كان شريفا وله الفضل والمزيّة في الكلام.

وفي نص آخر يقول:« ولمْ يكُنْ هذَا الاشْتِبَاهُ وهذا الغَلَط إلاَّ لأنَّه ليسَ فِي جملةِ الخفايَا والمشكلاتِ أغربَ مذهبًا في الغموضِ، ولاَ أعْجَبَ شَأْنًا، منْ هذه الّتِي نحنُ بصدَدِها، ولا أكثرَ تفلُّتًا منَ الفهمِ وانسلالاً منهَا».[1] ويمكن إدراج الحجج الحاملة لصيغ التفضيل في السلّم الحجاجي الآتي:

ن: نفي الاشتباه والغلط.

- الأكثر تفلّتا من الفهم.
- الغريب* مذهبا في الغموض.
- العجيب شأنا.

فالصيغ* أغرب، أعجب، أكثر، عملت على ترتيب الحجج في السلّم الحجاجي، بالإضافة إلى تدعيمها وتقويتها من أجل خدمة النّتيجة وهي انتفاء الاشتباه والغلط.

ويقول أيضا في باب الفصل والوصل:« واْعلمْ أَنَّهُ مَا منْ علمٍ منْ علومِ البلاغةِ أنتَ تقولُ فيهِ" إنَّهُ خَفِيٌّ غَامِضٌ ودقيقٌ صعبٌ، " إلاَّ وعلمُ هذَا البابِ أغمضُ، وأخْفَى وأدقُّ وأَصعبُ».[2]وتدرج هذه الحجج في السلّم الحجاجي كالآتي:

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص250.

* الغريب: الغامض من الكلام، وكلمة غريبة، ويقال في كلامه غرابة. وقد غربت الكلمة: عصت، فهي غريبة. الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس. تح: نواف جراح، ص701.

* إنّ المعجم اللّغوي الّذي استعمله الجرجاني، يوحي لنا بأنّه انطلق من معرفة مسبقة، نلمس ذلك من خلال المصطلحات اللّغوية الموظّفة في الخطاب، كما يتّضح كذلك أنّ الجرجاني من الّذين تأثروا بالجاحظ، إن على المستوى المعرفي أو المنهجي، على الرغم من اختلاف مرجعياتهما الدّينية، ففي قوله مثلا: اكثر تفلّتا من الفهم وانسلالا، هنا وظّف الجرجاني "الإشارة " الّتي تعدّ من أصناف الدّلالات الّتي ذكرها الجاحظ في بيانه، حيث يقول: « والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللّفظ، وما تغني عن الخط ». الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص78. فالإشارة ذكرت بعد اللّفظ مباشرة لأهميتها في البيان، ثمّ العقد، ثم الخط، ثم النصبة.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص231.

ن: باب الفصل والوصل

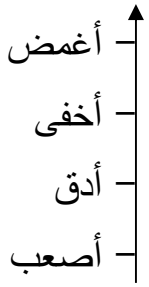

نلاحظ أنّ الجرجاني يكثّف من استخدام صيغ التّفضيل في خطابه، لتفضيل باب الفصل والوصل عن غيره من علوم البلاغة، فهو الأساس في فهم بقية العلوم الأخرى. فتدرّج في اختيار الحجج الّذي يوضّحها السلم الحجاجي، فباب الفصل والوصل صعب دقيق خفي وغامض، وذلك باعتماده "حجّة المفاضلة"، فدور صيغ التفضيل يكمن في تثبيت النتائج تثبيتا يرسّخ الحجة ويحمل على الإقناع، لأنّ الغاية الّتي يهدف المحاجج إلى بلوغها هي تقويم غلط أصحاب اللّفظ وحملهم على الإذعان وتشنيع مقولاتهم الّتي ذهبوا إليها، كما أنّ الفضل في إعجاز القرآن يعود إلى النظم الّذي يعتمد على توخّي معاني النحو في ما بين الكلم.

4-8 أفعال القلوب:

تعدّ أفعال القلوب من الموجّهات "Modalites "*. الّتي توجه الخطاب في مسار حجاجي موحّد، ولها طاقة تأثيريّة على جمهور المتلقين وتحملهم على الاقتناع وتحصيل الطّاعة والإذعان، ويكمن دورها في«أنّها تتكفّل برصد العلاقات الّتي تقوم أثناء العمليّة

* إنّ تحليل الملفوظات ينقسم إلى قسمين: الموجّه والمضمون، فالموجّه "modalete " ينتمي إلى ميداني اللّسانيين والمناطقة، لكن المناطقة هم أوّل من أبدع هذا المفهوم، كما تنقسم الموجّهات إلى موجّهات لسانيّة ومنطقيّة، فالموجّهات الأساسية بالنسبة لعلماء المنطق هي تلك الّتي تتعلّق بمضمون الجمل" propositions"، وتسمى الموجّهات الأخلاقية Alethiques وتنقسم إلى الموجهات المعرفية:(مؤكد، مستبعد، محتمل، مشكوك)، وموجهات وجوبية: (إجباري، ممنوع، مسموح)، بالإضافة إلى الموجّهات التقويمية "Evaluative"، وموجهات تثمينية "Appreciatives"، كما يستلهم الألسني الموجّهات اللّغوية من علم المنطق الأخلاقي، فالموجه أساسا عبارة عن تحديد يتعلّق بحقيقة الجملة الّتي تؤثر فيه، فالألسني يعمل على تحديد نواة صلبة للموجّه، بالإضافة إلى الصرف والتركيب والمعجم، وتنقسم الموجهات اللسانية إلى: أفعال القوّة(وجب، استطاع، عرف، أراد)، موجهات اليقين(علم، اعتقد، الاحتمال واللزوم، أفعال الرأي: ظننت، بالإضافة إلى أفعال الشعور والرغبة). ينظر: جان سيرفوني، الملفوظيّة. تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 1998، الفصل الثالث" الموجّهات".58- 74 بتصرّف.

التخاطبيّة، وتتمثّل في العلاقة الّتي تقوم بين المتكلِّم والمخاطَب، والعلاقة الّتي تقوم بين المتكلِّم وفحوى خطابِه».[1] وتنقسم أفعال القلوب إلى قسمين: نوع يفيد اليقين(وهو الاعتقاد الجازم)، ونوع يفيد الظن وهو رجحان وقوع الأمر.[2] وخطاب دلائل الإعجاز حافل بمثل هذه الموجّهات ومنها:

أ- **الموجّه اليقيني" علم"**: والّتي تفيد الاعتقاد.

ورد الموجه "علم" في الخطاب الجرجاني بصيغ مختلفة منها: اعلم، تعلم، فاعلم، نعلم، معلوم، عُلم، يعلم. يقول مثلا:« و**اْعلمْ** أنَّ منَ الباطلِ والمحالِ مَا **يعلمُ** الإنسانُ بُطْلاَنَهُ، واستحالَتَه بالرجوعِ إلَى النفسِ حتَّى لاَ يَشُكُّ، ثمَّ إذَا أرادَ بَيَانَ مَا يجدُ فِي نفسِهِ والدِّلاَلَةَ عليهِ، رأَى المَسْلَكَ إليهِ يَغْمُض ويَدِقُّ».[3]

ففي هذا الملفوظ ورد الفعل" اعلم" و" يعلم" والعلم هو إدراك الشيء واعتقاده، فهو يخاطب جمهور المعتزلة ويردّ عن شبهتهم فيما ذهبوا إليه من أمر اللفظ، واستدلالهم بأنّ تفسير الشعر يجب أن يكون كالمفسّر.

- اعلمْ أنَّ منَ الباطلِ والمحالِ ⟵ يَعلمُ الإنسانُ بطلانَه واستحالَتَه.

نلاحظ أنّ الفعل" **اعلم**" مبثوثا على طول الخطاب الحجاجي، فاستحالة علمهم بالشيء ومعرفتهم به، جعلت المحاجج يستعمل الموجّه اليقيني" **اعلم**"، فهو يخاطب من جهلوا أنّ النظم هو الأساس في إعجاز القرآن، وأنّ اللفظ والمعنى لا ينفصلان وبهما تظهر الفصاحة، لأنّ الفصاحة لا تظهر في تزايد الألفاظ. وكذلك قوله:« حتَّى لاَ يُشَكُّ»، يسوق المحاجج في هذا الملفوظ حججه، ويبعد الشكّ والظنّ، ما يجعلنا ندرك أن استعماله للموجه" **اعلم**" لنفي الظنّ والشكّ والجهل.

وفي نص آخر يحتجّ بردّه عن المعتزلة في مسألة اللّفظ يقول:« و**اْعلمْ** أنَّه إذَا نظَرَ العاقلُ إلَى هذهِ الأدلَّةِ فرأى ظهورهَا، استبعدَ أنْ يكونَ قدْ ظَنَّ ظَانٌّ في الفصاحةِ أنَّها منْ صفةِ اللّفظِ صريحًا».[4]

---

[1] أحمد المتوكّل، قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفيّة(بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، ص90.

[2] مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، ص37.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص426.

[4] المصدر السابق، ص454.

- المعطى: "**اعلمْ**" النّظر في الأدلّة. ⟵ النتيجة: استبعاد أنّ الفصاحة صفة اللفظ.
- النتيجة: نفي الفصاحة في اللفظ. ⟵ **اعلم** ⟵ النظر في الأدلّة (حجّة).

نلاحظ أنّ الموجّه" **اعلم**" في الملفوظ الحجاجي المذكور، قدّم النّتيجة عن الحجّة، لما يحتويه من شحنة حجاجيّة تشحن الخطاب وتقوّيه لحصول الإذعان من قبل جمهور المتلقين.

ب- الموجه اليقيني" **وجد**": وتفيد العلم والاعتقاد.

ورد الموجّه اليقيني"**وجد**" في الخطاب الجرجاني بكثرة يقول:« واْعلَمْ أنَّكَ كلَّمَا نظرْتَ **وجدْتَ** سببَ الفساد واحدًا، وهُو ظَنُّهم الّذِي ظَنُّوهُ في اللّفظِ، وجَعْلُهُمْ الأوصافَ الّتِي تجرِي عليهِ كُلَّها أوصافًا لهُ فِي نفسِه، ومنْ حيثُ هو لفظ».[1]

ساق المحاجج الموجّه" **وجد**"، للاحتجاج عن أقوال المعتزلة وأصحاب اللفظ، فمزج بين الموجهين:" **اعلم**" و" **وجد**" يتّضح لنا ذلك في قوله: « اعلمْ أنّكَ كلَّما نظرتَ، **وجدْتَ** سببَ الفسادِ واحدٌ». فهو يؤكّد على مضمون قضيّته المطروحة، فما ذهبوا إليهم باعتقادهم في مسألة اللفظ إلى الفساد، ووصفوه بأوصاف مختلفة من حيث هو لفظ لا لمعناه، من أشنع مقولاتهم في شأن الفصاحة والنظم.

- النتيجة: اعلم أنّك(فساد ظنّهم في اللفظ). ⟵ **اعلم، وجدت** ⟵ وصف اللفظ في نفسه(حجّة). فالموجّه وجد أدّى وظيفة حجاجيّة تأكيديّة، فهو يؤكّد النتيجة وهي: فساد ظن المعتزلة في مسألة اللفظ.

وفي نص آخر يقول:« ونحنُ إذَا تَأَمَّلْنَا **وجَدْنَا** الّذِي يكونُ في الألفاظِ من تقديمِ شيءٍ منهَا على شيءٍ، إنّمَا يقعُ في النفسِ أنَّهُ" نسقٌ" إذا اعتبرنَا ما تُوُخِّيَ منْ معانِي النحوِ فِي معانيهَا، فأمَّا معَ تركِ اعتبارِ ذلكَ، فلَا يقعُ ولاَ يُتَصَوَّر بحالٍ».[2] ونلاحظ في هذا الملفوظ الحجاجي، أنّ الجرجاني استعمل الموجه" **وجدنا**" لتدعيم حججه للوصول إلى نتيجة وهي أنّ الألفاظ عبارة عن نسق يتوخّى فيه معاني النحو، كما عمل الموجّه في هذا

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص399.

[2] المصدر السابق، ص468.

الملفوظ عكس الموجّه "**وجد**" في الملفوظ السابق، حيث دعّم الحجج الّتي تؤدّي إلى النتيجة. واستخدم أداة الحصر في قوله" إنّما"، وتقديم جواب الشرط في قوله" إذا اعتبرنا".

- الحجّة1: الألفاظ تقديم شيء منها على شيء ←**وجدنا** ← ن: توخّي معاني النحو.

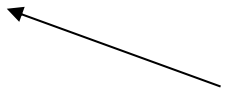

- الحجّة2: ترتيب الألفاظ كنسق.

ج- الموجّه اليقيني" أرى":

هي من أفعال اليقين، وتفيد العلم والاعتقاد، ولا فرق بين أن يكون اليقين بحسب الواقع أو بحسب الاعتقاد الجازم، وإن خالف الواقع لأنّه يقين بالنسبة إلى المعتقد.[1] وقد استعمل الجرجاني الموجّه اليقيني"**أرى**" في خطابه يقول:« وجملةُ الأمرِ أنَّكَ لا **ترَى** ظنًّا هوَ أنْأَى بصاحبِهِ عنْ أنْ يصِحَّ له كلامٌ، أو يستمرَّ له نظامٌ، أو تَثْبُتَ لهُ قدمٌ، أو يَنْطِق منْه إلاَّ بالمحالِ فمُ، منْ ظَنِّهِم هذَا الّذِي حامَ بهِم حولَ اللَّفظِ، وجَعَلَهُم لاَ يَعْدُونَه، ولا **يرونَ** للمزيَّةِ مكانًا دُونَه».[2]

استخدام الجرجاني الموجه" **ترى**" و" **يرون**" في توجيه حججه وتدعيم إثباتاته، لأنّه يوجّه مقولاته للجمهور الكوني عامّة، والجمهور الخاص(أصحاب اللّفظ والصّرفة)، فوردت الموجّهات بصيغة النّفي من أجل إثبات الحجّة عنهم.

- ح1: ظنّهم حول اللفظ ← **لا ترى** ← ن: إثبات فساد اعتقادهم في اللفظ
- ح2: المزيّة لا تظهر في اللّفظ ← **لا يرون**

ومن خلال تموضع الموجّهات وورودها في الخطاب بصيغة النفي، يتّضح أنّ المحاجج وجّه حركة خطابه في مسار حجاجي، يوضّح المقصديّة منه، والّتي تتجلّى في الإقناع والإثبات. كما اعتمد أيضا على موجّهات أخرى برزت في الخطاب كمؤثّرات في عمله الحجاجي ومنها:

[1] مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، ص37.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص400.

د- الموجه الشكّي"ظنّ":

ويفيد رجحان وقوع الشيء.[1] يقول الجرجاني:« وأعلمْ أنّي علَى طولِ مَا أَعَدْتُ وأَبْدَأْتُ وقلتُ وشَرَحْتُ، في هذَا الّذِي قامَ فِي أوهامِ النَّاسِ منْ حديثِ اللّفظِ، لَرُبَّمَا **ظننْتُ** أنّي لمْ أصنعْ شيئًا».[2]

استعمل المحاجج الموجّه" **ظنّ**" ليسم خطابه بالتّرجيح بين قبوله وعدم قبوله، فاستدعى هذا الموجّه الّذي يحمل معنى الشك، من أجل كشف حقيقة ما ذهب إليه من الحجج في دحض مقولات أصحاب اللّفظ وفضح شناعاتهم.

- النتيجة: أنّي لم أصنع شيء. ⟵ **لربّما ظننت** ⟵ حجج: قلت، شرحت، أعدت، أبدأت.

أورد الموجّه الشكّي" **ظنّ**" نتيجة منفية، لأنّ المحاجج لم يحصل بعد على الاقتناع والإذعان المتوقع من طرف أصحاب اللّفظ، فالمذهب الّذي ساروا عليه في التقليد لم يقض عليه بعد. لذا أراد أن يوجّه خطابه وجهتين أساسيتين بين حصول الاقتناع وعدم حصوله.

وفي نص آخر يقول:« فإنْ قيلَ: قولُكَ" إلاَّ النظمُ" يقتضِي إخراجَ مَا في القرآنِ من الاستعارةِ وضُروبِ المجازِ من جملةِ ما هوَ بهِ مُعْجِزٌ، وذلكَ مَا لا مساغَ له. قيلَ: ليسَ الأمرُ كما **ظننتَ**، بلْ ذلكَ يقتضِي دخولَ الاستعارةِ ونظائِرها فيما هو به معجِزٌ، وذلكَ لأنَّ هذه المعانِي الّتِي هي الاستعارة والكناية والتّمثيل، وسائَر ضروبِ المجازِ منْ بعدِهَا منْ مقتضياتِ النظمِ، وعنْه يحدثُ وبه يكون».[3]

نلاحظ أنّ المحاجج يخاطب المتلقي ويعارضه بقوله: « ليسَ الأمرُ كما **ظننتَ**». واستعمال الموجّه الشكّي"**ظننت**" في هذا النص، حيث أفاد الاعتراض، وذلك في معرض حديثه عن النظم وقضيّة الإعجاز القرآني.

---

[1] مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، ص40.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص365.

[3] المصدر السابق، ص393.

هـ- الموجه الشكّي" زعم":

بمعنى ظنّ ظنّا راجحا، والغالب في" زعم" أن تستعمل للظنّ الفاسد، وهو حكاية قول يكون مظنّة للكذب، فيقال فيما يشك فيه، أو فيما يعتقد كذبه، ومن عادة العرب أنّ من قال كلاما، وكان عندهم كاذبا: قالوا:« زعم فلان». ولهذا جاء في القرآن الكريم في كل موضع ذمّ القائلون به، وقد يرد الزّعم بمعنى القول مجرّدا عن معنى الظنّ الراجح، أو الفاسد أو المشكوك فيه.[1]

وقد ظهر هذا الموجّه في الخطاب، حيث يقول الجرجاني:« وكذلكَ الحكمُ إنْ **زعمَ زاعمٌ**، أنَّ الوصفَ الّذِي تُحُدُّوا إليهِ هوَ أنْ يَأْتُوا بكلامٍ يجعلونَ لهُ مقاطِع وفواصلَ، كالّذِي تراهُ فِي القرآنِ(...) حتَّى وضَعَ علَى ما **زَعَمُوا** فُصُولَ كلامٍ أواخرُها كأواخِرِ الآيِ مثلَ" يعلمونَ ويؤمنونَ" وأشباهُ ذلكَ».[2]

وردت" **زعم**" في هذا النص، للظنّ الفاسد الّذي ظنّوه في النص القرآني، من أنّه نص خاضع للوزن كالشّعر، وأنّهم باستطاعتهم أن يأتوا بمقاطع وفواصل تشبه الآيات القرآنية.

- النتيجة: أنّ+ تكذيب ظنّهم الفاسد ← **زعم زاعم** ←الحجّة: التحدّي واقع في القرآن.

نلاحظ أنّه استعمل اسم الفاعل" زاعم" ليدلّ على وقوع الفعل(فعل الزعم) لتأكيد وإثبات الحجّة. وفي موضع آخر يقول:« واْعلمْ أنَّ هؤلاءِ، وإنْ كانُوا همْ الآفَةَ العُظْمَى فِي هذَا البابِ، فإنَّ من الآفةِ أيضًا مَنْ **زعمَ** أنَّه لاَ سبيلَ إلَى معرفةِ العِلَّة في قليلٍ ما تعرِفُ المَزِيَّةَ فيه وكثيرِهِ(...)».[3]

جعل الجرجاني من الموجه" **زعم**" دليلا في إثبات حجّته عن من رأوا أنّه يجب ترك البحث عن العلّة الّتي توجب المزية في الكلام، فهو يكذّب ادّعاءاتهم ويرد عنهم بإبطال دعوى ما ذهبوا إليه، من ظنّهم الفاسد، فالبحث عن العلّة واجبة في إظهار المزيّة والحسن في الكلام.

---

[1] مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، ص43.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص387.

[3] المصدر السابق، ص291-292.

4-9 الأفعال الكلامية:

يتجلّى دور الأفعال الكلاميّة« في صنع الأحداث ونقل المعاني من مستوى التلقي، إلى مستوى الفعل والتجسيد، وتكتسي هذه الأفعال قيمتها عندما يكون موجّهو الخطاب من ذوي الكفاءات في المحاجّة والإبانة».[1] وبما أنّنا أمام خطاب وسمه منتجه باسم دلائل الإعجاز، فإنّنا نقرّ بوجود مجموعة من الادّعاءات استدلّ عليها بالدّلائل والحجج، من أجل حصول الاقتناع.

1- الادّعاء:

ومن شروط هذا الفعل التكلّمي باعتباره فعلا عرضيا.

- أنّ المدّعي يعتقد صدق ما يدّعي.
- أنّ المدّعي يطالب المخاطب أن يصدّق بدوره هذه الدعوى.
- أنّ للمدّعي بيّنة أو دليل أو حجة على ما يدّعي.
- أنّ للمخاطب حق المطالبة بهذه البيّنات وتقويمها.
- أن يكون منطوق الادّعاء صادق، ومفهومه أنّه قابل للتكذيب.[2]

يعدّ فعل الادّعاء فعل تكلّمي جسّده المحاجج في خطابه، ويتّضح ذلك في دعواه الّتي أراد أن يرفعها ضدّ مذهب المعتزلة(أصحاب اللفظ وأصحاب الصرفة). ويمكننا صوغ هذه القضيّة على النحو الآتي:

الدّعوى: فكرة النظم ←ق: قضية الإعجاز البلاغي في القرآن.

المدّعي: الجرجاني.

↓

إعجاز القرآن في نظمه (قضيّة صادقة بالنسبة إلى المدّعي).

[1] محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة(بحث في بلاغة النقد المعاصر)، ص182.

[2] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص75-76، بتصرّف.

2- المنع:

وهو الاعتراض على الدعوى، حجيّته معاكسة في قوّتها لحجّية الادّعاء والتدليل عليه مقيدا بالتدليل على الادّعاء.[1] ويتجلّى هذا الفعل التكلّمي" المنع" في الاعتراضات الّتي قدّمها المحاجج عن صحّة دعواه، سواء ما كان منها افتراضيا (حجاجا تقويميا) أو ما كان حقيقيا، ويظهر في ردّ المحاجج عن قول عبد الجبّار المعتزلي:« إنّ المعاني لا تتزايد، وإنّما تتزايد الألفاظ».

يقول الجرجاني معترضا:« وممَّا تجدُهُم يعتَمِدُونَه ويرجعونَ إليهِ قولهم: إنَّ المعانِيَ لاَ تتزايدُ، وإنَّمَا تتزايدُ الألفاظُ، وهذا الكلامٌ إذَا تأمَّلْتَه لمْ تجدْ لهُ معنَى يصحُّ عليهِ، غيرَ أنْ تجعلَ تزايدُ الألفاظ عبارةً عنِ المزايَا الّتي تحدُثُ من توخِّي معانِي النحوِ وأحكامِهِ فيمَا بينَ الكلمِ، لأنَّ التَّزايدَ في الألفاظِ منْ حيثُ هي ألفاظٌ ونطقُ لسانٍ محالٌ».[2]

الفصاحة في ألفاظ الكلم الفصاحة في توخّي معاني النحو(النّظم).

3- **التدليل:** له شروط ومنها:

- شرط المضمون القضوي: يكون التدليل مبني على مجموعة من الادّعاءات في صورة مجموعة من القضايا.
- شرط الصدق: يعتقد المدعي صدق قضايا دليله وصحّة هذا التدليل.
- شروط تمهيديّة: يعتبر المدّعي المعترض صادقا في اعتراضه ومصدّقا بقضايا دليل الاعتراض، وبوظيفتها التدليلية.
- الشرط الجوهري: يقصد المدّعي بتدليله إقناع المعترض بالعدول عن منعه.[3]

وقد خضع خطاب دلائل الإعجاز لهذه الشروط، والّتي تمثّل فعل التدليل، حيث لجأ المحاجج في تدليله من أنّ القرآن معجز بالنظم، على مجموعة من القضايا شكّلت في معظمها حججا وجّهت خطابه وجعلت منه خطابا ناجعا.

---

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص76.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص395.

[3] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص77.

الحجج : علم البيان (النحو، الشعر، التقديم والتأخير، الفصل والوصل، التعريف والتنكير).

↓

النّظم (توخي معاني النحو).

↓

إعجاز القرآن.

يدلّل الجرجاني ويستدل للوصول إلى النتيجة، وهي أنّ القرآن معجز في نظمه، وأرجع جميع الأدلّة إلى دليل واحد وهو النظم، فكفاءة المحاجج اللّغوية جعلت خطابه ذا أثر واضح في الجمع بين كل ما هو مقالي ومقامي، فرضته طبيعة توجّهه السنّي الأشعري، والّذي يرى أنّ المعنى هو أسبق، وله يعود الفضل في الكلام.

وإلى جانب الادّعاء والاعتراض والتدليل الّتي تشكّل" أفعالا كلامية" من الصّنف التصويري، هناك أفعالا كلاميّة أخرى، منها ما هو إلزامي وتوجيهي وإعلاني.[1] ويعرّف الفعل الكلامي على أنّه ملفوظ، ينهض على نظام شكلي دلالي، إنجازي تأثيري، كما يعدّ نشاطا ماديا نحويا، يتوسّل أفعالا قولية"Actes locutoires" لتحقيق أغراض إنجازيّة"Actes illocutoires" كالطّلب والأمر والوعد، وغايات تأثيريّة تخصّ ردود فعل المتلقي كالرّفض والقبول.[2]

ولقد استعان مؤلّف خطاب دلائل الإعجاز بأفعال كلاميّة، فرضتها طبيعة السياقات الّتي حفّت خطاب الدلائل، لأنّ السياق له أثرا واضحا«على مقصود دلالة المتكلّم وأيضا على تحديد هويّة العبارة وما يكتنفها من قرائن وعلامات».[3] وتتمظهر الأفعال الكلاميّة

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص77.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص40.

[3] إدريس مقبول، الأفق التداولي(نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2011، ص62.

الموظّفة في خطاب دلائل الإعجاز في أساليب الإنشاء والخبر، الّتي اعتمدها الجرجاني في إثبات أطروحاته البلاغيّة، والّتي تفضي إلى الإعجاز البلاغي.

تفطّن العلماء العرب إلى مثل هذه الأفعال فقسّموا الكلام إلى: خبر وإنشاء(الطلب)، ومنهم السّكاكي الّذي قسّم الكلام بحسب المقام الّذي يرد فيه، ورأى أنّ الخبر يرد ابتدائيا وطلبيا وخبريا.

أ- الخبر الابتدائي*:

وقد كان لهذا النوع من الخبر حضورا في خطاب دلائل الإعجاز، ونجد ذلك في قوله:« وخصائصُ صادَفوُهَا فِي سياقِ لفظِهِ، وبدائعُ رَاعتهُم منْ مبادئِ آيهِ ومقاطعِهَا، ومجارِي ألفاظِها ومواقعِها وفِي مضرِب كلِّ مثلٍ، ومَسَاقَ كلِّ خبرٍ، وصورةِ كلِّ عظةٍ وتنبيهٍ، وإعلامٍ وتذكيرٍ، وترغيبٍ وترهيبٍ، ومع كلِّ حجّةٍ وبرهان، وصفة وتِبْيَان(...)».[1]

اعتمد المحاجج على هذا النوع من الخبر، في سياق حديثه عن إعجاز القرآن وردّه عن المعتزلة، لإثبات حججه لما لهذا النوع من الخبر من قوّة إنجازية، تهدف إلى تحقيق الغاية الإقناعية، وهي إفادة المتلقي بمضمون الحجّة.

ب- الخبر الطلبي*:

استعمل الجرجاني هذا النوع من الخبر المؤكّد لتأكيد حججه كذلك، حيث يقول:« وههنَا نكتةٌ يجبُ القطعُ معَهَا بوجوبِ هذا الفرقِ أبدًا، وهي أنَّ المبتدأُ لم يكنْ مبتدأً لأنَّه منطوقٌ بهِ أوّلاً، ولاَ كانَ الخبر خبرًا لأنَّه مذكور بعد المبتدإِ، بلْ كانَ المبتدأُ مبتدأً لأنَّه مُسنَد إليهِ ومُثْبَتٌ له المعنَى، والخبرُ خبرًا لأنَّه مُسند ومثبتٌ به المعنَى».[2]

استعان الجرجاني بالمؤكّد" لأنّ" لتأكيد حجّته فلجأ إلى هذا النوع من الخبر لإقناع المخاطب، في صحّة ما ذهب إليه في إسناد المبتدأ والخبر، كما حقّق هذا الخبر قوّة إنجازيّة بواسطة المؤكّد" لأنّ"، وذلك لدرء الشك.

---

* وهو الّذي يلقى إلى من هو خالي الذهن عمّا يلقى إليه، ويقصد الإفادة، ويتمّ نقشه في ذهنه إمّا ثبوتا أو انتفاء، مع الاستغناء عن أدوات التأكيد. السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ص170.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص39.

* وهو الخبر الّذي يلقى إلى مخاطب طالب للمعلومة الّتي يحملها الخبر، كي يزول تردّده، ويتعيّن على المخاطب استعمال أدوات لتقوية الخبر. السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ص170.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص189.

ج- الخبر الإنكاري*:

ونجد ذلك في خطاب دلائل الإعجاز، فهو ينكر ما ذهب إليه أصحاب اللفظ وأصحاب الصرفة من المعتزلة في قضية إعجاز القرآن يقول في كلامه عن علم النحو وأنّه أساس النظم الّذي ترجع له المزيّة في الكلام:« وحتَّى كأنَّ المشكلَ على الجميعِ غيرُ مشكلٍ عندكُم، وحتَّى كأنَّكُمْ قدْ أُوتِيتُم أنْ تَستنبِطُوا منَ المسئَلة الواحدة منْ كلِّ باب مسائلَه كُلَّها، فتخرُجوا إلَى فَنٍّ منَ التَّجاهُلِ لا يبقَى معهُ كلامٌ، وإمَّا أنْ تعلمُوا أنَّكُم قدْ أخطأْتُمْ حينَ أصْغَرْتُم أمرَ هذا العلمِ، وظننتُم مَا ظنَنْتُم فيهِ، فترجعوا إلى الحقِ وتُسلِّموا الفضلَ لأهلهِ، وتَدَعُوا الّذِي يُزْرِي بكمْ، ويفتحَ بابَ العيبِ عليكُم، ويطيلُ لسانَ القادحِ فيكمْ».[1]

وظّف الجرجاني المؤكّدات: "كأنّ" " أنّ"، لما لهم من قوّة تأكيدية وتأثيرية، من أجل حمل المخاطب على الإذعان بصحّة دعوته، من أنّ علم النحو له مكانة وفضلا من بين سائر العلوم في معرفة الإعجاز القرآني، فاعتمد على هذا النوع من الخبر الإنكاري للردّ عن المنكرين لعلم النحو.

استعمل الجرجاني الصيغ اللّغوية في خطابه، فعملت كمضمرات وقرائن سياقيّة في عمليّة إنتاج وفهم وتأويل الخطاب. كما استعان كذلك بأفعال كلاميّة تخرج لأغراض مختلفة: كالأمر والاستفهام.

4-9-1 البعد الحجاجي للاستفهام:

إنّ العبارات الطلبيّة عندما تؤدّى في مقامات غير مطابقة، فإنّها تخرج عن معناها الأصلي إلى معان وأغراض فرعيّة ومن ذلك الاستفهام، فقد يكون حقيقيا كما يخرج لأغراض مختلفة. ويعرّف السكّاكي الاستفهام بقوله:« والاستفهام لطلب حصول في الذّهن، والمطلوب حصوله في الذّهن إمّا أن يكون بحكم شيء على شيء أو لا يكون(...) ففي الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش مطابق له، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثمّ تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق، فنقش الذهن في

* هو الخبر الّذي يلقى إلى مخاطب معترض على ذلك الحكم، ممّا يحتّم توظيف أدوات تأكيدية لترسيخ ذلك الحكم. السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ص171.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص32.

الأوّل تابع وفي الثاني متبوع».[1] فالاستفهام يكون أصليا إذا استوفى هذه الشروط، أمّا إذا لم يستوف هذه الشروط فإنّه يخرج إلى معان أخر غير معناه الأصلي، ولنا أن نتتبّع ورود الاستفهام في نماذج من الأقوال التلفظيّة الواردة في خطاب دلائل الإعجاز، يقول الجرجاني مثلا:« فينبغِي لنَا أنْ نَنْظُرَ إلَى المتكلِّمِ **هلْ** يستطيعُ أنْ يزيدَ منْ عندِ نفسهِ فِي اللّفظِ شيئاً ليسَ هوَ لهُ في اللّغةِ، حتَّى يُجْعَلَ ذلكَ منْ صَنيعِهِ مَزِيَّةٌ يُعَبَّرُ عنهَا بالفصاحةِ».[2]

استعمل الجرجاني صيغة الاستفهام"**هل**"، والّتي تختصّ« بطلب التّصديق بنسبة بين شيئين ثبوتا أو نفيا، بمعنى أنّ السائل ينشد معرفة حصول النسبة أو عدم حصولها».[3]

لأنّ السائل هنا يجهل الحكم، لذا استعان بصيغة الاستفهام من أجل نفي الحكم وهو أنّ المتكلّم لا يستطيع أن يزيد ألفاظا في اللّغة يعبّر بها عن الفصاحة، ولهذا ينبغي له أن يستند إلى أوضاع اللغة.

وفي نص آخر يقول:« **وهلْ** عَجَبٌ أعجبُ منْ قومٍ عقلاءَ يَتْلُونَ قوله تعالى:﴿ قُلْ لئِنْ اِجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ علَى أنْ يَأْتُوا بِمثلِ هذا القرآنِ لاَ يَأْتُونَ بمثلِهِ ولوْ كانَ بعضُهمْ لبعضٍ ظهيرًا﴾. ويؤمنونَ بهِ ويدينونَ بأنَّ القرآنَ مُعْجِزٌ، ثمَّ يَصُدُّونَ بأوجهِهِم عنْ برهانِ الإعجازِ ودليلِهِ، ويَسْلُكون غيرَ سبيلِه، ولقدْ جَنَوْا لوْ دَرَوْا ذاك عظيمًا».[4] كما ورد الاستفهام في خطابه للتقرير:« وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتا أو نفيا».[5] وذلك لتقرير حكمه في أولئك الّذين صدّوا عن برهان الإعجاز، فأطلق عنهم حكما مثبتا بصيغة الاستفهام" **هل**".

كما ورد الاستفهام في خطاب دلائل الإعجاز "بالهمزة" في قوله: « أتَرَوْنَ أنَّ منْ شأنِ هذهِ الأجناسِ، إذَا كانتْ فِي الكلامِ، أنْ تكونَ لهُ بها مزيَّةٌ تُوجِبُ له الفصاحةَ، أمْ لَا

[1] العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري والتداول اللساني، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011، ص34.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص401.

[3] عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، ص266.

[4] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص369.

[5] عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، ص276.

ترونَ ذلكَ؟».[1] وتكون الهمزة للاستفهام عن التصوّر والاستفهام عن التصديق، و«الاستفهام عن التصوّر، يكون عند العلم بثبوت أصل الحكم لأحد الشيئين، والتردّد في تعيين واحد منهما، أمّا الاستفهام عن التّصديق يكون عند الجهل بثبوت أصل الحكم، وتردّد الذهن في النسبة(الحكم بين ثبوتها ونفيها)».[2]

جعل الجرجاني من التركيب الاستفهامي فعلا ذا قوّة إنجازيّة، من أجل تحقيق غايته الإقناعية، فأتى التركيب الاستفهامي مشحونا بطاقة حجاجية، لأنّه يُلزم المخاطَب/ المتلقي بالمشاركة في الحوار، والتفاعل لتحقيق النجاعة المرجوّة.

4-9-2 البعد الحجاجي لفعل الأمر:

كان لفعل الأمر في خطاب دلائل الإعجاز حضورا مكثفا، ويعرّف الأمر على أنّه:« طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء، ويعني الاستعلاء أن يعدّ الآمر نفسه عاليا، سواء أكان عاليا على الحقيقة ونفس الأمر أم ادّعاء».[3] ونظرا لما يحمله "الأمر" من قوّة إنجازية تأثيرية موجّهة إلى المتلقي، فإنّ منتج خطاب دلائل الإعجاز اعتمد على صيغ الأمر، لتحقيق حصول الفعل، ومن ثمّ تحقيق إنجازية الفعل، ويمكننا أن نصوغ فعل الأمر في المخطّط الآتي*:

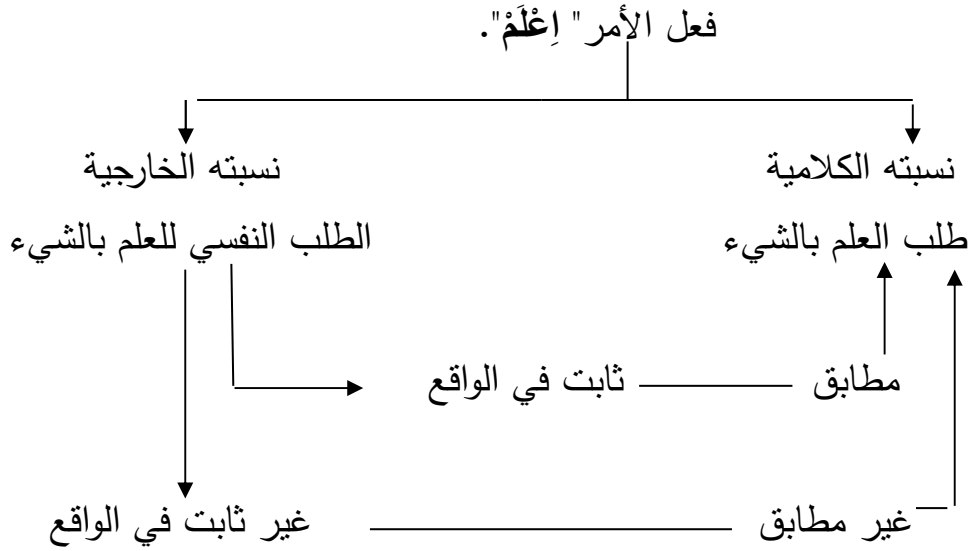

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص442.

[2] عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، ص266.

[3] المرجع السابق، ص251.

* اعتمدت في صياغة المخطط على كتاب "التداولية عند العلماء العرب" ل: مسعود صحراوي، ص66.

إنّ النسبة الكلامية لفعل الأمر" **اعلم**" تكون مطابقة للطلب النفسي في الواقع، أمّا إذا كان الطلب النفسي غير ثابت في الواقع، كان الخارج غير مطابق في نسبته الكلامية.

فصيغة الأمر" **اعلم**" نجدها على طول خطاب دلائل الإعجاز، كما أنّ الجرجاني يطلب من المتلقي/ المخاطَب حصول العلم، والعلم نقيض الجهل، ونجد أنّ الفعل" اعلم " من حيث التدرّج العقلي سابق عن الفعل"اعرف"، فيدافع عن دعوته ويناقض ويفحم ما ذهب إليه أصحاب اللّفظ والصّرفة من المعتزلة، وجهلهم بقضيّة إعجاز القرآن.

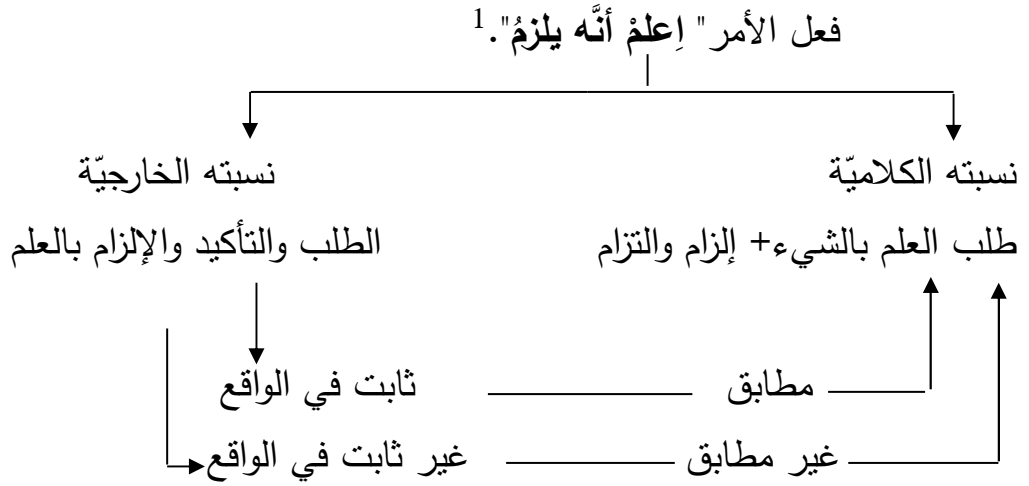

إنّ النسبة الكلامية الّتي حدّدها الجرجاني من أجل حصول النسبة الخارجيّة في ذهن المتلقي، هي الإعراض عن الجهل، والالتزام بالعلم،(العلم بالقضايا والأدلّة والحجج الّتي يعرضها في بيان أنّ إعجاز القرآن يكمن في نظمه)، وهي نسبة ثابتة مطابقة للواقع فهو يعتمد على الملفوظات الطلبيّة، والّتي تحمل شحنات حجاجيّة ذات قوّة إنجازية وطاقة تأثيرية، تظهر من خلال استخدامه لفعل الأمر" **اعلم**" والتأكيد "**بأنّه**" والإلزام " **الزم**" لإثبات قضاياه البلاغية.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص281.

فعل الأمر " **فتأمّلْ هذَا واعتبرهُ**".[1]

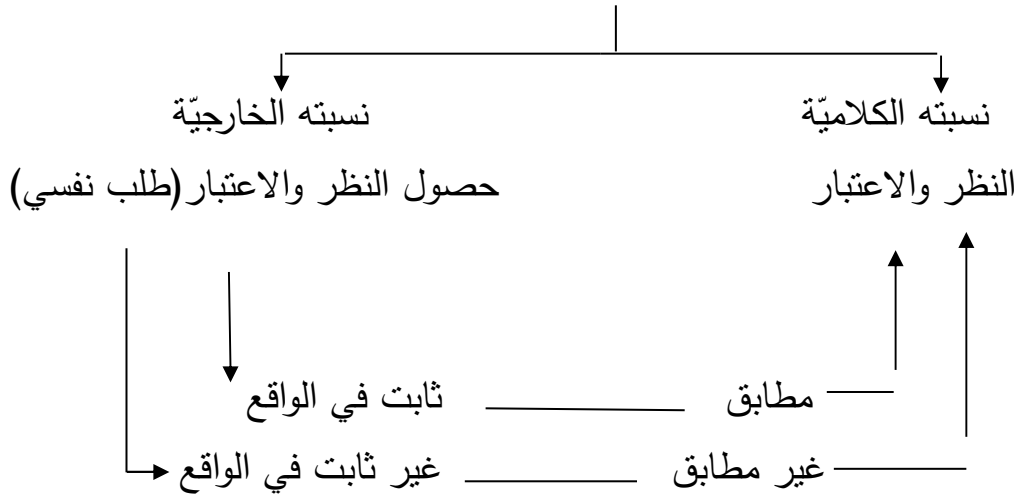

يطالب الجرجاني المتلقي/ المخاطب بالتأمّل والاعتبار، وهو أمر ثابت في الواقع حيث يكثّف من استعمال فعل الأمر في الملفوظ الواحد في قوله" **تأمّلْ، اعتبرْ**"، من أجل تحقيق النسبة الكلاميّة المتمثّلة في الإذعان وحمل المخاطب على الاقتناع.

فعل الأمر " **فاْعرفْهُ وأحسنْ تأمُّله**".[2]

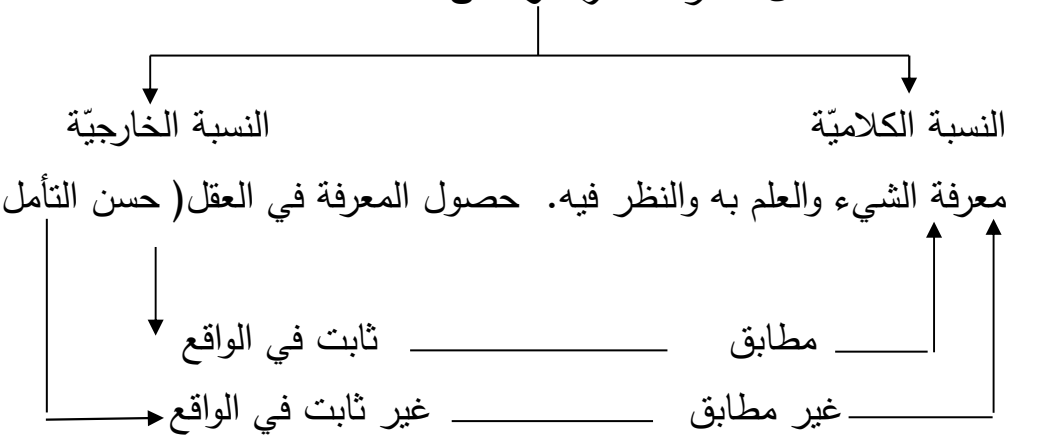

يستعمل الجرجاني كذلك، أفعل الأمر"**اعرفْ، أحسنْ**" في مطالبة المخاطب حصوله للمعرفة في كيفيّة النّظم، وأن يحسن التأمّل في آيات القرآن الكريم ويتابعها من أجل معرفة كيف تنتظم الألفاظ بمعانيها، لتخرج في أجمل نظومها معجزةً، فاعتمد صيغ الأمر من أجل إثبات حججه في الواقع، وحصول قوّة معرفة الشيء(النظم)، لإزالة الشبهة عن إعجاز القرآن.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص299.

[2] المصدر السابق، ص383.

فعل الأمر " **فاعرفْهُ وأَحْسِنْ تدبُّرَهُ**".[1]

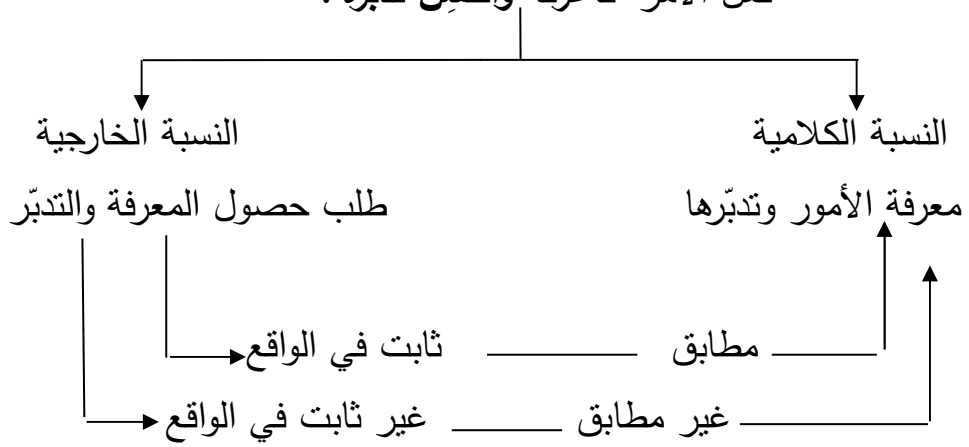

إنّ صيغ الأمر الّتي اعتمدها الجرجاني، في إثبات حججه مفادها إثبات الطلب وحصوله في ذهن المتلقي، لأنّه يطالب ويأمر المخاطَب التدبّر والنظر في تفسيره آي القرآن، وبيان القضايا البلاغية فيه، لذا جعل من القرآن حجّته في الردّ عن خصومه، وكيفية نظمه، لمعرفة إعجازه.

بالإضافة إلى هذه الصيغ، وردت صيغا أخرى خرجت عن معنى الأمر الأصلي، ويتّضح ذلك في قوله:« **فاِجْعَلْهُ** العِبرةَ فِي الكلامِ كُلِّه، **ورُضْ** نفسكَ علَى تفهُّمِ ذلكَ وتَتَبُّعِه، **واجْعلْ** فيهَا أنَّكَ تزاوِلُ منهُ أمرًا عظيمًا لاَ يُقَادَر قَدْرُه، وتَدْخُلُ في بحرٍ عميقٍ لاَ يُدْرَكُ قَعْرُه».[2] وفي هذا السياق خرج الأمر عن معناه الأصلي في طلب حصول الشيء إلى الإعبار« حيث استعملت الصيغة في سياق أخذ العظة».[3]

4-9-3 الزوج سؤال/ جواب.

كنّا قد تطرّقنا إلى الاستفهام ودوره في التأثير لما يحمله من قوّة إنجازية، يعمد إليه المحاجج من أجل تضمين كلامه، وكيف يخرج إلى أغراض تفرضها المقامات والسياقات من أجل تحقيق قوّة تأثير الفعل، غير أنّنا في كثير من الأحيان نجد الخطيب يطرح الأسئلة في خطابه لتدعيمه وتوجيهه وجهة ما.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص229.

[2] المصدر السابق، ص258.

[3] علي عيسى العاكوب، علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، ص257.

وقد كان للزوج سؤال/ جواب حضورا في خطاب دلائل الإعجاز وعرف هذا النّوع من السؤال" بالسؤال البلاغي"*. والّذي يؤدّي دورا حجاجيّا:« فالقول الحجاجي يهدف إلى إثارة سؤال بواسطة سؤال آخر، ويكون الإقناع فيه مجرّد طرح للمشاكل الّتي يثيرها المتكلم/ المستمع فيما بينهما».[1]

وعليه فالسّؤال البلاغي أو الاستفهام البلاغي في الخطاب يعد وسيلة لإثارة الغير إلى تبنّي موقف معين إزاء قضية ما.« لأنّ السائل متى طرح سؤالا دعا المتلقي إلى اتّخاذ قرار، بل إنّ الجواب حتّى وإن علم السؤال الّذي هو مصدره يثير السؤال، فتتبين أهمّية المساءلة من الناحية الحجاجية، فالكلام إثارة للسؤال فهو يولّد بالضرورة نقاشا ومن ثمّ حجاجا».[2]

وقد وظّف الجرجاني هذا النوع من الأسئلة، كوسيلة حجاجية، ويتّضح ذلك من خلال قوله:« يَنْبَغِي أنْ يُقَالَ لمَنْ يَزْعُمُ أنَّ المُنْشِد إذَا أنْشَدَ شعرَ امرئِ القيس، كانَ قَدْ أتَى بِمِثْلِه علَى سبيلِ الاحتذاءِ، أخبرْنَا عَنْكَ؟ لماذَا زعمتَ أنَّ المُنشِدَ قدْ أتَى بمثلِ مَا قالَهُ امرؤ القيس؟ أَلأَنَّهُ نَطَقَ بأنفسِ الألفاظِ الّتِي نَطَقَ بهَا، أمْ لأنَّهُ راعَى النَّسقَ الّذِي راعَاهُ فِي النطقِ بها؟ فإنْ قلتَ: إنَّ ذلكَ لأنَّه نَطَقَ بأنفسِ الألفاظِ الّتِي نطقَ بهَا أحلْتَ،(...). وإنْ قلتَ: إنَّ ذلكَ لأنَّهُ قدْ راعَى فِي نُطْقِهِ بهذهِ الألفاظِ النسقَ الّذِي راعاهُ امرؤ القيس. قيلَ: إنْ كنتَ لهذَا قَضَيْتَ فِي المُنْشِدِ أنَّه قدْ أتَى بمثلِ شعرِهِ، فأَخبرْنَا عنكَ؟ إذَا قلتَ: إنَّ التحدِّي وقعَ فِي القرآنِ إلَى أنْ يُؤْتَى بمثلِهِ علَى جهةِ الابتداءِ؟ ماذَا تعنِي بهِ؟ أَتَعْنِي أنَّه يَأْتِي فِي ألفاظِ غيرِ ألفاظِ القرآنِ، بمثلِ الترتيبِ والنسقِ الّذِي تَرَاهُ فِي ألفاظِ القرآنِ؟ فإنْ قالَ: ذلكَ أعنِي. قيلَ لهُ:(...) ».[3]

---

* السؤال البلاغي: هو الاستفهام الّذي لا يقصد به السؤال عن أمر، وطلب الجواب عنه، وإنّما يقصد به النفي. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات البلاغية والعربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1994، ص30.

[1] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج)، ص195.

[2] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي (من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة)، ص141.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص472-473. بتصرّف.

يتّضح لنا من خلال النص، توظيف الزوج سؤال/ جواب، ويرى الباحث"علي الشعبان"، « أنّ البنية القائمة على السؤال والجواب، لها في الثقافة الإسلامية تاريخ صارت بمقتضاه سنّة من سنن بناء الأنساق المعرفية والنظم الفكرية» .[1] فالمحاورة الافتراضيّة الّتي عقدها منتج خطاب دلائل الإعجاز، صاغها في تركيب استفهامي نحا منحى حجاجيا، وهو مناقشته لمسألة الاحتذاء والنّسق في إعجاز القرآن، فوظّف السؤال البلاغي لحمل المستمع على الإقرار، لذا استدعى الزوج سؤال/ جواب من أجل تثبيت الحجّة والالتزام بها، ونفي وإفحام حجّة الخصم، كما نلاحظ أنّ إثارة سؤال أفضت إلى جواب، وأنّ الجواب أفضى إلى جواب آخر من خلال الخطاب، الأمر الّذي جعل الجرجاني يؤكّد حجيّة ما ذهب إليه في لهجة سجالية تتّضح من خلال قوله: فإن قال، قيل له.

5- الآليات البلاغية:

تتحدّد الأساليب البلاغيّة في الخطاب الحجاجي بعلاقتها بين البلاغة والحجاج، حيث رأى علماء الحجاج أنّ في الحجاج بلاغة وفي البلاغة حجاجا، وهو ما يجعل العلاقة بين الخطابين علاقة اتّصالية قائمة على التّفاعل والتّجادل.[2] فالبلاغة والحجاج يشكّلان وجهان لعملة واحدة، نظرا لما بينهما من وشائج تؤدّي إلى إقامة علاقات تفاعليّة في الخطاب الحجاجي والبلاغي.

كما يتمّ عزل الأساليب البلاغيّة عن سياقها البلاغي، لتؤدّي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة)، بل تؤدّي وظيفة إقناعيّة استدلاليّة (كما هو مطلوب في الحجاج)، ومن هنا يتبيّن أنّ معظم الأساليب البلاغيّة تتوفّر على خاصيّة التحوّل لأداء أغراض تواصليّة ولإنجاز مقاصد حجاجيّة ولإفادة أبعاد تداولية.[3] كما تحتوي الأساليب البلاغيّة على طاقات وآثار حجاجية، ذات قيمة تصويريّة ... وما تحمله من

[1] علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ص236.

[2] المرجع السابق، ص335.

[3] صابر الحباشة، التداولية والحجاج(مداخل ونصوص)، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص50.

أبعاد استدلاليّة تقوّي في الخطاب نظام البرهنة، كما ترفد حركة الاستدلال الّتي تعد آلة المحاجج في إقناع الجمهور بمحمولات فكره ومقتضيات مقله.[1]

وقد وظّف الجرجاني الأساليب البلاغيّة في خطابه توظيفا يقوّي جانبه الإقناعي ويدعّمه بالحجّة في توطيد خطابه، فاعتمد على مجموعة من الوسائط البلاغيّة: كالاستعارة والتشبيه والكناية.

5-1 حجاجية الاستعارة:

يعرّفها ابن الأثير بقوله:« حدّ الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما، مع طي ذكر المنقول إليه(...) وطريقه أنّك تريد تشبيه الشيء بالشيء مظهرا ومضمرا».[2]

وفي الأدب الإنجليزي تعرّف الاستعارة على أنّها مجاز بلاغي، فيه انتقال معنى مجرّد إلى تعبير مجسّد، فيستبدل بالمجرّد التعبير المجسّد من غير اللّجوء إلى أدوات التشبيه أو المقارنة، ويعرّفها الناقد الإنجليزي ريتشاردز "I. A. Richards " في كتابه فلسفة البلاغة" the philosophy of Rhetoric " (1963) بقوله:« الاستعارة عمليّة تماثل بين الفحوى والمركبة* تحت تأثير عنصر ثالث سمّاه الأساس ground وهو العنصر التّجريدي الذهني البحت».[3]

وتمثّل الاستعارة نوعا من المجاز، كما أنّها تشكّل حججا مؤسّسة لبنية الواقع، فهي تؤثّر في المتلقي، وقد وظّف الجرجاني المجاز الاستعاري في خطابه، وخاصّة عند حديثه عن النظم. حيث يقول الجرجاني:«(...) لاَ يَكْفِي فِي علمِ الفَصاحَةِ أنْ تَنْصِبَ لهَا قياسًا مَا، وأنْ تَصِفَهَا وَصْفًا مُجْمَلاً، وتقولَ فيهَا قولاً مرسلاً(...) حتَّى تُفَصِّلَ القولَ وتحصِّلَ، وتَضَعَ اليدَ علَى الخصائصِ الّتِي تَعْرِضُ فِي نَظْمِ الكَلِمِ وتَعُدَّها واحدةٌ واحدة، وتُسَمِّيهَا شيئًا شيئًا، وتكونَ معرفتَكَ معرفةَ الصَّنْعِ الحَاذِقِ الّذِي يَعلم عِلْمَ كُلِّ خيطٍ منَ الإبريسَم

---

[1] علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ص335.

[2] بن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. قدّمه وعلّق عليه: د أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصرللطباعة والنشر،ج2، ط2، د.ت، ص83.

* الفحوى هو موضوع الاستعارة (tenor) أي المشبه، والمركبة حامل المشبه أو مركبته(vehicle).

[3] مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات البلاغية في اللغة والأدب، ص28.

الّذِي فِي الدِّيباجِ، وكلِّ قطعةٍ منَ القطعِ المَنْجُورَةِ فِي البابِ المقطَّع، وكلِّ آجُرَّةٍ منَ الآجُرِّ الّذِي فِي البناءِ البديعِ».[1] ويتّضح ذلك من خلال الجدول التالي:

المشبّه.	حامل المشبّه.	الأساس (الهيئة المنتزعة).
الناظم (محذوف).	الصانع الحاذق (صانع ديباج أو بنّاء)	انتظام الكلم في الكلام، كانتظام خيوط الإبريسم في الدّيباج، وقطع الآجر في البناء البديع.

نلاحظ أنّ الجرجاني أقام عمليّة تماثل، بين ناظم الكلم والصّانع الحاذق في صنعته في قالب استعاري، حيث نقل المعنى وأسقطه مجسّدا في قوله الاستعاري، وبهذا تؤدي الاستعارة بالإضافة إلى دورها الحجاجي، دورا إقناعيا يحمل المخاطب على الإذعان بصحّة ما يذهب إليه في عمليّة النظم لتأكيد قضيّته البلاغية.

وفي نص آخر يقول:« واْعْلَمْ أَنَّ مِمَّا هُو أصلٌ فِي أنْ يَدِقَّ النَظَرُ، ويَغْمُضَ المَسْلك فِي توخِّي المعانِي الّتِي عَرَفْتَ، أنْ تَتَّحِدَ أجزاءِ الكلامِ ويدخلَ بعضُها فِي بعضٍ، ويَشْتَدَّ ارتباطُ ثانٍ منهَا بأوّلٍ، وأنْ تَحْتَاجَ فِي الجملةِ إلَى أنْ تَضَعَهَا فِي النَفْسِ وضعًا واحدًا، وأنْ يكونَ حالُكَ فيهَا حالَ البَانِي يَضَعُ بيمينِهِ ههنَا فِي حالِ مَا يَضَعُ بيسارِهِ هناكَ.(...) وليسَ لمَا شَأْنُه أنْ يجيءَ علَى هذَا الوصفِ حَدٌّ يَحْصُره، وقانونٌ يحيطُ بهِ، فإنَّهُ يجيءُ علَى وجوهٍ شتَّى، وأنحاءٍ مختلفةٍ».[2] والجدول التالي يوضّح لنا ذلك:

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص37.

[2] المصدر السابق، ص93.

موضوع الاستعارة.	حامل المشبّه.	الأساس أو الهيئة المنتزعة.
الناظم(المشبّه محذوف)	الباني.	اختلاف البناء ودقّته، كذلك الناظم في تأليفه للكلم (اختلاف النّظم ودقّته).

ينقل الجرجاني المعاني من مجرّدة إلى حسّية، فيقترن ما هو مجرّد بما هو حسّي، لكي يتأتىّ المعنى مقنعا وتكون الحجّة بيّنة للمخاطب/ المتلقي.

ويقول أيضا:« وإذَا نَظَرْنَا وجدناهُ يُخْتَصُّ بهِ منْ جهةِ توخِّيهِ فِي معانِي الكلِمِ الّتِي ألَّفَه منهَا، مَا تَوَخَّاه منْ معانِي النحوِ، ورأينَا أَنْفُسَ الكَلِمِ بمعزلٍ عنِ الاختصاصِ، ورأينَا حَالَهَا معهُ حالَ الإبريسَم معَ الّذِي يَنْسِجُ منْه الدِّيباجَ، وحالَ الفِضَّةِ والذَّهَبِ معَ منْ يَصُوغُ منهمَا الحُلَيَّ. فكَمَا لاَ يَشْتَبِه الأمرُ فِي أنَّ الدِّيباجَ لَا يُخْتَصُّ بنَاسِجِهِ منْ حيثُ الإبريسَم والحلَيَّ بصائِغِهَا منْ حيثُ الفضَّة والذهَبِ، ولكنْ منْ جهةِ العملِ والصَّنْعَةِ، كذلكَ يَنْبَغِي أنْ لاَ يَشْتَبِه أنَّ الشعرَ لاَ يُخْتَصُّ بِقائلِهِ منْ جِهَةِ أنفُس الكلمِ وأوضاعَ اللُّغةِ».[1] والجدول التالي يوضّح لنا ذلك:

موضوع الاستعارة.	حامل المشبّه.	الأساس (الهيئة المنتزعة).	القرينة.
قائل الشعر (المشبّه مذكور).	الناسج والصانع في جودة صنعتهما.	اختصاص صنعة الديباج بالإبريسم، والحلي بالذهب والفضّة.	قائل الشعر لا يهم شعره بقدر ما يهم ما صنع في معاني ألفاظه ونظمها على النسق المخصوص.

إنّ قصدية المحاجج من عقد هذه المماثلة، هو استدعاء فكر المحجوج إلى الاقتناع والاستجابة؛ أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص362.

ويبرز المجاز الاستعاري في قوله أيضا:« وذاكَ أنَّ الحاكِي هوَ منْ يأتِي بمِثْلِ مَا أتَى بهِ المحكِيُّ عنْهُ، ولاَ بُدَّ منْ أنْ تكونَ حِكَايَتُه فِعلاً لهُ، وأنْ يكونَ بهَا عامِلاً عملاً مثلَ عَمَلِ المَحْكِيُّ عَنْهُ، نحوَ أنْ يصوغَ إنسانٌ خَاتَمًا فَيُبْدِعَ فيهِ صَنْعَةً، ويأتِي فِي صِنَاعَتِهِ بخَاصَّةٍ تُسْتَغْرَبُ، فَيَعْمِدُ واحدٌ آخرُ فيعملَ خاتمًا علَى تلكَ الصورةِ والهيئةِ، ويَجيءَ بمثلِ صَنْعَتِه فيه ويؤَدِّيهَا كمَا هِي، فيقالُ عندَ ذلكَ: إنَّهُ قدْ حَكَى عَمَل فلان، وصَنْعَة فلان».[1] والجدول التالي يوضّح لنا ذلك:

موضوع الاستعارة.	حامل المشبّه.	الأساس.
الحاكي والمحكي (المشبّه).	إنسان يصوغ خاتما، وآخر يعمله على نفس الصورة والهيئة.	المحاكاة والتقليد.

ويقول أيضا:« والنَّظمُ والترتيبُ فِي الكلامِ كمَا بيَنَّا، عملٌ يعملُه مؤلِّفُ الكلامِ فِي معانِي الكَلِمِ لاَ فِي ألفاظِهَا، وهوَ بمَا يَصْنَعُ فِي سبيلِ مَنْ يَأْخُذُ الأَصْبَاغَ المختلفةَ فيتوخَّى فيهَا ترتيبًا يَحْدُثُ عنْه ضُرُوبٌ منَ النَقْشِ والوَشْي».[2] والجدول التالي يوضّح لنا ذلك:

موضوع الاستعارة.	حامل المشبّه.	الأساس.	القرينة
مؤلّف الكلام (المشبّه مذكور).	الصائغ (حذف المشبّه به).	النظم والترتيب في الكلام ينتج عنه ضروب من المعاني، كالنقش والوشي في الأصباغ	توخي الترتيب.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص359.

[2] المصدر السابق، ص359.

إنّ استرفاد الاستعارة من قبل الجرجاني، وحضورها المكثّف في الخطاب يجعلنا ندرك كفاءة المحاجج البلاغيّة، وما تحمله الاستعارة من معان مضمرة، تجعل العقول تذعن لما يطرحه من قضايا، فالخطاب الجرجاني يحمل طاقة استعاريّة وظّفها كآليّة حجاجيّة، لكي يمكّن بها خطابه ويركّزه في أذهان المتلقين، ومن الأساليب البلاغيّة، الّتي اعتمدها الجرجاني أيضا في خطابه لتقوية جانبه الإقناعي" الكناية".

5-2 حجاجية الكناية:

تعدّ الكناية*، من الحجج المؤسّسة لبنية الواقع، وقد استعمل المحاجج في كثير من المواضع في خطابه هذا النّوع من المجاز، وتفاديا للتّصريح جعل من التلميح آلية في بناء خطابه. حيث يقول:« وإنَّ الصُّبْحَ لَيَمْلأُ الأُفُقَ، ثمَّ لاَ يراهُ النائمُ ومنْ قدْ أطْبَقَ جَفْنَه».[1]

كنّى الجرجاني عن القائلين بأمر اللّفظ بإطباق الجفون وهم نيام، أمّا الصّبح فهو دليله عن إعجاز القرآن، وبيان أنّ النظم يكون في توخي معاني الألفاظ، لا الألفاظ.

المكنّى به: الصبح(مذكور).

المكنّى: دليل إعجاز القرآن(النظم).

المكنّى به: إطباق الجفون.

المكنّى: القائلين بأمر اللفظ.

أراد الجرجاني أن يثبت حجّته عن أولئك الّذين لهجوا بأمر اللّفظ، فاعتمد على المجاز الكنائي تفاديا للتصريح، لما له من« تأثير نفسي وعقلي، إضافة إلى الأسلوب اللّغوي الّذي يتجلّى في النظم والصورة، وتحمل دليلا وشاهدا يختاره المكنّى عن وعي أو

* يعرّف السكّاكي الكناية بقوله: «هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه، لينقل من المذكور إلى المتروك». ويعرّفها الزركشي بقوله: «هي الدلالة على الشيء من غير تصريح باسمه، وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه و رديفه في الوجود ويجعله دليلا عليه، فيدل على المراد من طريق أوّله». أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج3، د.ط، 1987، ص159.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص455.

غير وعي، لإقناع مخاطبه وسامعه، فتصل من وجدان مستخدمها وفكره إلى عقل متلقيها و قلبه».[1]

وفي نص آخر يقول:« واْعْلَمْ أنَّ القولَ الفاسِدَ والرأيَ المدخولَ، إذَا كانَ صَدَرُه عنْ قومٍ لهمْ نباهةٌ وصيتٌ وعُلُوُّ منزلةٍ فِي أنواعٍ منَ العلومِ غيرَ العِلْمِ الّذِي قالُوا ذلكَ القولَ فيهِ».[2]

استخدم الجرجاني ملفوظا ضمنيّا في هذا النص، فالقوم الّذين لهم نباهة وصيت (هم المعتزلة)، وعلو منزلتهم في أنواع من العلوم(علم الكلام)، غير العلم الّذي قالوا ذلك القول فيه(علم البلاغة). فهو لم يصرّح بالمعنى الّذي أراد أن يثبته، فعمد إلى التلميح فكنّى عن أصحاب المعتزلة، ويقصد القاضي عبد الجبّار المعتزلي، ورأى أنّهم نبغوا في علم الكلام لا علم البلاغة.

ويقول أيضا:«انتبهُوا منْ رقدَتِكُم».[3]وهي كناية عن عدم التفطن والغفلة والاستهوان بالأمور. ويقول:« وغِطاءٌ أُلْقِيَ علَى عيونِ أقوامٍ».[4]

نلاحظ أنّ الجرجاني نقل لفظ الغطاء وهو شيء مجرّد، الّذي يلقى على العين وهي شيء حسّي، وكنّى عن عدم التأمّل والتدبر والنظر في الأمور، فالتأمّل والنظر محلّهما العين الحسّية.

ويقول ملمّحًا أيضا:« إذَا تَنَبَّهَ العاقلُ لفَّ رَأْسَهُ منَ الحياءِ».[5] وجاء في لسان العرب في مادة" لفف" « ألفَّ الرجلُ رأسَهُ إذَا جعلهُ تحتَ ثوبِهِ، وتلففَ فلان في ثوبِه: التفَّ وتلفلفَ بهِ، وألفَّ الطائرُ رأسَه، جعلَه تحتَ جناحِه».[6]

---

[1] أحمد مطلوب، حسن كامل البصير، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1999، ص380.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص464.

[3] المصدر السابق، ص443.

[4] المصدر نفسه، ص415.

[5] نفسه، ص408.

[6] ابن منظور، لسان العرب، مجلد13، مادة لفف، ص218.

ويتّضح أنّ المحاجج كنّى عن الحياء بلفّ العاقل لرأسه، فلف الرأس يقال للطائر عندما يضع رأسه تحت جناحه، فنقل المعنى وكنّى به، حيث قدّم حجّته في شكل مجاز لتدعيمها وإثباتها، فالعاقل يلف رأسه؛ أي يضعه تحت جناحه ممّا ذهب إليه أصحاب اللّفظ من الشّناعات.

ويقول أيضا:« يكشِفُ الغطاءَ عنْ أعْيُنِهِم».[1] وهي كناية عن عدم التستّر. وفي قوله:« عديمُ الحسِّ ميِّتُ النفسِ».[2] في هذا الملفوظ كناية عن عدم العلم، والمعرفة والجهل بحقائق الأمور، حيث كنّى عن عدم معرفتهم بالموت حيث يفقد الإنسان أحاسيسه وأنفاسه.

ويقول أيضا:« سكَّ سَمْعَهُ».[3] وجاء في لسان العرب لابن منظور في مادة"سكَكَ":« سكَّ الشيءَ يسكُّهُ سكًّا فاستكَّ؛ سدَّهُ فاستدَّ، والاستكاكُ الصَمَمُ وذهابُ السمعِ، يقال: ظليم أسكُّ: لأنَّه لا يسمعُ، واستكَّتْ مسامِعُه: إذَا صمَّ، ويقالُ: سكَّهُ يَسُكُّهُ: إذا اصطلَمَ أذنيهِ، واستكَّتْ مسامِعُه؛ صمَّتْ وضاقَتْ».[4] كنّى الجرجاني عن عدم السمع بالصّمم، والانسداد في الأذن لكي لا يسمع أصحاب اللفظ والمعتزلة ما يقال لهم.

لجأ الجرجاني إلى توظيف الصورة الكنائيّة في خطابه، فجاءت حججه في شكل ملفوظات كنائيّة، أكّدت من نجاعة الخطاب لما تحمله من مضمرات تجعل الذهن يؤوّل ويذعن بصحّة الحجج المبثوثة في الخطاب، لأنّ الغاية من توظيف هذه الآليّة البلاغيّة الحجاجيّة هي إثبات "معنى مضمر"*. على طول المسار الحجاجي، يستشفّه المتلقي/ المخاطب من خلال تأويله للخطاب.

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص409.

[2] المصدر السابق، ص430.

[3] المصدر نفسه، ص361.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مجلد7، مادة سكك، ص218.

* المعنى المضمر: هو المعنى الغير المصرّح به في العبارة اللّغوية المنطوق بها، وقد يرادف المعنى" المحذوف" المقدّر أو المعنى المتروك" المذكور" أو المعنى المستتر" المظهر"، كما يعدّ شكلا من أشكال الخطاب اللّغوي الطبيعي التواصلي، تمارس فيه حيويّة العناصر التداوليّة واستراتيجيّاتها الخطابيّة. عيسى أزابيط، من تداوليات المعنى المضمر، مقال ضمن كتاب اللّسانيات واللّغة العربيّة بين النظريّة والتطبيق، سلسلة ندوات، جامعة المولى إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1992، ص56.

3-5 حجاجية الاستدلال التمثيلي:

يعدّ الاستدلال التمثيلي آليّة حجاجية هامّة في الخطاب الجرجاني، وهو عمليّة عقليّة موجودة في جميع العلوم، فالتّمثيل في علم أصول الفقه، يعرف بالقياس الفقهي:«ويعني الحكم على جزء لثبوت ذلك الحكم في جزء آخر، ويتكوّن من طرفين يسمّى أحدهما الأصل، والآخر الفرع، ويربط بينهما الحكم والعلّة».[1] ويسمّى عند المتكلّمين:« برد الغائب على الشاهد، لأنّ الحكم ينقل من جزئي إلى جزئي، يشابهه بوجه ما... كما يشمل التمثيل الحكم على الشاهد بالشاهد، أو بالغائب على الغائب».[2]

وفي علم البلاغة يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ للتّمثيل فضيلة إذا جاء في أعقاب المعاني يقول:« واعلم أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، و نقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبَّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس، (...) فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم، (...) وإن كان ذمّا، كان حسنه أوجع وميسمه ألذع، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر».[3] كما يذهب " ابن سنان الخفاجي" إلى أنّ من شروط صحّة المعاني الاستدلال بالتمثيل.[4]

ومن صور الاستدلال التمثيلي في خطاب دلائل الإعجاز نجد ذلك في قوله:« وَاْعْلَمْ أنَّ منَ الكلامِ مَا أَنْتَ ترَى المزيَّةَ فِي نَظْمِهِ والحسنَ، كالأجزاءِ منَ الصَّبْغِ تَتَلاَحقُ وَيَنْضمُّ بعضُها إلَى بعضٍ حتَّى تَكْثُرَ فِي العينِ».[5] والجدول الآتي يوضّح لنا ذلك:

---

[1] رشيد قوقام، أسس المنطق الصوري، ص167.

[2] المرجع السابق، ص167.

[3] الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ط1، 1991، ص115.

[4] الخفاجي ابن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص275.

[5] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص88.

الممثّل	الممثّل به	العلّة الجامعة	أداة التمثيل
الكلام المنظوم والحسن	أجزاء الصبغ المتلاحقة.	الانتظام.	كاف التشبيه.

يختلف النّظم ويتفاوت بتفاوت مقدرة صانعي الكلام، كما أنّ المعنى يكون غفلا ساذجا يتداوله النّاس في كلامهم، ثمّ يتناوله البصير بالبلاغة، ليصنع فيه ما يصنعه الحاذق المتمرّس، فتكثر صور المعاني وتتنوّع.

ويقول أيضا:« واْعْلَمْ أنَّ مَثَلَ وَاضِعِ الكَلَامِ مَثَلُ منْ يأْخُذُ قِطَعًا منَ الذهبِ أوْ الفضَّةَ، فيذيبُ بعضُها فِي بعضٍ، حتَّى تصيرَ قطعةً واحدةً».[1] ويتّضح ذلك من خلال الجدول الآتي:

الممثّل	الممثّل به	العلّة الجامعة	أداة التمثيل
واضع الكلام	من يأخذ قطعة الذهب أو الفضّة فيذيبها فتصير قطعة واحدة.	مجموع القطع/مجموع الكلام تصبح قطعة واحدة.	مَثَلُ.

يرى الجرجاني أنّ واضع الكلام يشبه الصّائغ في صياغته، ولكي يضع الكلام ينبغي عليه أن يتخيّر مواقع الكلمات وما يقتضيه المقام، ويراعي شدّة ارتباط الكلمات ببعضها، فيضع الكلام في نفسه وضعا واحدا ويتصرّف في ترتيبه وتنسيقه. كما يفعل الصائغ عند إذابته لقطع الذهب لتصبح قطعة واحدة.

ويقول ممثّلا أيضا:« فبيتُ بَشَّار إذَا تَأَمَّلْتَهُ، وَجَدْتَهُ كالحلقةِ المُفْرَغَةِ الّتِي لاَ تَقْبَلُ التَقْسِيمَ، ورَأَيْتَهُ قدْ صَنَعَ فِي الكلِمِ الّتِي فيهِ مَا يَصْنَعُه الصَّانِعُ حينَ يَأْخُذُ كِسْرًا منَ الذهبِ فَيُذِيبُها ثمَّ يصُبُّهَا فِي قالبٍ، ويُخْرِجُهَا لكَ سِوَارًا أوْ خَلْخَالاً، وإنْ أنتَ حاوَلْتَ قَطْعَ بعضَ

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص412-413.

ألفاظِ البيتِ عنْ بعضٍ، كنتَ كمنْ يَكْسِرُ الحَلْقَةَ ويَفْصِمُ السِّوارَ».[1] والجدول التالي يوضّح ذلك:

الممثّل1.	الممثّل به1.	العلّة الجامعة.	أداة التمثيل.
البيت الشعري.	حلقة مفرغة لا تقبل التقسيم.	الضم.	كاف التشبيه.
الممثل2.	الممثل به2.	العلّة الجامعة.	أداة التمثيل.
صانع الكلم.	صانع السوار.	الصياغة.	/
الممثّل3.	الممثّل به3.	العلّة الجامعة.	أداة التمثيل.
قاطع ألفاظ البيت.	كاسر الحلقة وفاصم السوار.	/	كاف التشبيه.

صاغ الجرجاني تمثيلا مكثفا في بيان أنّ النظم له دور في إخراج الكلام في حسنه ورونقه، لتكثيف دلالة المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي وحمله على تقبّله.

ويقول مستدلاً:« واعلمْ أنَّ منَ الكلامِ ما أنتَ تعلمُ إذا تدبَّرتَهُ أنْ لم يحتجْ واضعُهُ إلى فكرٍ وروية حتَّى انتظمَ، بلْ ترَى سبيلَه في ضمِّ بعضِه إلى بعضٍ، سبيلَ منْ عمدَ إلى لآلٍ فخرطَها في سلكٍ، لا يبغِي أكثَر من أنْ يمنعها التفرُّق، وكمنْ نضدَ أشياءَ بعضُها على بعضٍ، لا يريدُ في نضدِه ذلكَ أنْ تجيءَ لهُ منهُ هيئةٌ أو صورة، بلْ ليسَ إلاَّ أن تكونَ مجموعةٌ في رأيِ العينِ».[2] ويوضّح لنا ذلك الجدول التالي:

الممثّل.	الممثّل به.	العلّة الجامعة.	أداة التمثيل.
الكلام المنظوم	خارط اللؤلؤ ناضد الأشياء	منع التفرّق	كاف التشبيه. سبيلَ

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص414.

[2] المصدر السابق، ص96-97.

استنادا إلى هذا النص، يتّضح لنا عناية الجرجاني بالصّياغة الّتي يتفاضل بها الكلام، لأنّ الصّياغة صورة للمعنى، واختلافها يدلّ على اختلاف المعاني، فتظهر الجودة وقوّة التأثير. لذا صاغ تمثيلا مكثّفا في بيان أنّ النّظم له دور في إخراج الكلام في حسنه ورونقه، وذلك لتكثيف دلالة المعنى المراد إيصاله إلى المتلقّي وحمله على الإقناع. وفي نص آخر يقول:« وهوَ أنْ يَعْلَمَ أنَّ سبيلَ المعانِي سبيلُ أشكالِ الحُلَيِّ، كالخاتَمِ و الشَّنَفِ والسِّوار».[1] والجدول التالي يوضّح لنا ذلك:

الممثّل.	الممثل به.	العلّة الجامعة.	أداة التمثيل.
المعاني.	الخاتم، الشنف، السوار.	الأشكال المتنوّعة.	كاف التشبيه.

شبّه الجرجاني تنوّع المعاني بأشكال الحلي المختلفة، فالمعنى كالأصباغ الّتي تصنع منها الصورة، كما أنّ البراعة تكون في تلك الصورة الّتي يتميّز بها مصوّر عن آخر، كما يتميّز بها ناظم عن آخر.

وظّف الجرجاني في خطابه التمثيل الاستدلالي من أجل إخراج المعاني الخفية إلى معان ظاهرة، لأنّ ما يتميّز به التمثيل إذا كان حجاجا يقوّي البرهان ويبهر البيان على حد تعبير الجرجاني. ومن بين الأساليب البلاغية الّتي استدعاها الجرجاني في خطابه، وجعلها آلية من آليات بناء استدلاله، آلية التفريع.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص422.

4-5 التفريع أو تقسيم الكل إلى أجزائه.

يعتمد المحاجج(المرسل) على هذه الآلية الحجاجية في ذكر حجّته كليا في أوّل الأمر، ثمّ يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوّتها الحجاجية فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه.[1]

ويتّضح ذلك في قوله:« وهوَ بابٌ مِنَ العلمِ، إذَا أنْتَ فَتَحْتَهُ اطَّلَعْتَ مِنْهُ علَى فوائدٍ جليلةٍ ومعانٍ شريفةٍ، ورَأَيْتَ لهُ أثرًا فِي الدِّينِ عَظِيمًا، وفائدةً جسيمةً، ووجَدْتَهُ سببًا فِي حَسْمِ كثيرٍ منَ الفسادِ فيمَا يعودُ إلَى التنزيلِ، وإصلاحِ أنواعٍ منَ الخَلَلِ فيمَا يَتَعَلَّقُ بالتَّأْوِيلِ، وإنَّهُ لَيُؤْمِنُكَ منْ أنْ تُغَالِطَ فِي دعواكَ، وتُدافعَ عنْ مغزاكَ، ويَرْبَأُكَ عنْ أنْ تَسْتَبِينَ هُدًى ثمَّ لاَ تهدِي إليهِ وتُدِلَّ بِعرفانٍ ثمَّ لاَ تستطيعُ أنْ تَدُلَّ عليهِ، وأنْ تكونَ عالمًا فِي ظاهرِ مقلِّدٍ، ومستبينًا فِي صوة شاكٍّ، وأنْ يَسْأَلكَ السائلُ عنْ حُجَّةٍ يَلْقَى بهَا الخصمَ فِي آيةٍ منْ كتابِ اللهِ تعالَى، أوْ غيرَ ذلكَ، فلاَ يَنْصَرفُ عنكَ بمَقْنَعٍ، وأنْ يكونَ غايةُ مَا لصاحبكَ منكَ أنْ تُحِيلهُ علَى نفسهِ وتقولَ: قدْ نظرتُ فرأيتُ فضلاً ومزيَّةً، وصادفْتُ لذلكَ أرْيَحِيَّةً، فانْظُر لتعرفَ كمَا عرفتُ، وراجِعْ نفسَكَ، واسْبِرْ وذقْ، لتجدَ مثلَ الّذِي وجدتُ. فإنْ عرفَ فذاكَ، وإلاَّ فبينكُمَا التَّنَاكُر تَنْسِبُهُ إلَى سُوءِ التأمُّلِ، ويَنْسِبُكَ إلَى فسادٍ فِي التخيُّلِ».[2]

ساق الجرجاني حججا ورد بعضها في إثر بعض، بحيث إن حذفنا أحد الحجج تضعف قوّة الحجاج، ويظهر لنا ذلك من خلال الدّور الّذي يلعبه أداة الرّبط الحجاجي"واو العطف"، حيث وردت الحجج متساوقة، وكل حجّة تؤكّدها الحجّة الّتي تليها، كما أنّ المحاجج ذكر حجّته الكلية وهي"علم البيان"، وما له من فائدة على سائر العلوم، كعلم التفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والفقه وأصوله وعلم الكلام، ثمّ أورد حججه في عمليّة إقناعه للمخاطب بفضل العلم ومكانته.

وفي نص آخر يقول:« وكنَّا قدْ اِجْتَمَعْنَا علَى أنَّ الفصاحةَ فيمَا نحنُ فيهِ، عبارةٌ عنْ مزيَّةٍ هيَ بالمتكلِّمِ البتَّةَ، وَجَبَ أنْ نعلمَ قطعًا وضرورةً أنَّهُمْ وإنْ كانُوا قدْ جَعلُوا الفصاحةَ فِي ظاهرِ الاستعمالِ منْ صفةِ اللَّفظِ، فإنَّهُم لمْ يجعلُوهَا وصفًا لهُ فِي نفسِهِ، ومنْ حيثُ هوَ صدَى صوتٍ ونطقِ لسانٍ، ولكنَّهم جعلوهَا عبارةٌ عنْ مزيَّةٍ أفادَهَا المتكلِّمُ فِي المعنَى،

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص494.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص41-42.

لأنَّه إذَا كانَ اتّفاقًا أنَّها عبارةٌ عنْ مزيَّةٍ أفادَهَا المتكلِّمُ، ولمْ نَرَهُ أفادَ فِي اللّفظِ شيئًا، لمْ إلاَّ أنْ تكونَ عبارة عنْ مزِيَّةٍ أفادَهَا فِي المعنَى».[1]

جاءت حجّته مجملة وهي"علم الفصاحة"، ثمّ فرّعها إلى أجزاء وهي أنّ الفصاحة تظهر في معاني الألفاظ، فاستعان بالعوامل وأدوات الرّبط الحجاجية لتدعيم حججه في قوله: ويجب أنْ نعلم قطعا(...) أنَّهم، فإنَّهم، لكنَّهم، لأنَّه، لمْ يبق(...) إلاَّ. فهذه المؤكّدات الّتي استعملها الجرجاني في إثبات حججه، توحي لنا أنّ المحاجج يثبت جملة من القضايا اتّخذها كمسلّمات لإقناع الغير بصحّتها وحملهم على تقبلها.

5-5 حجاجيّة المحسّنات البديعية:

تؤدّي المحسّنات البديعيّة دورا حجاجيا، بالإضافة إلى كونها زخرفا لفظيا، فكل محسّنا هو حجاجي، إذا كان استعماله وهو يؤدّي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا بالنظر في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإنّ المحسّن سيتم إدراكه باعتباره زخرفا(محسّن أسلوب)، وسبب تقصيره عن أداء دور الإقناع.[2] وقد ظهرت في الخطاب الجرجاني مجموعة من المحسّنات نذكر منها:

1- الطباق وبعده الحجاجي:

ويسمّى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ، وهو أن يجمع بين متضادين؛ معنيين متقابلين في الجملة وهو نوعان: حقيقي ومجازي، أمّا الحقيقي، فهو ما كان بألفاظ الحقيقة كقوله تعالى: ﴿ ومَا يستوِي الأعمَى والبصير﴾ والمجازي ما كان بألفاظ المجاز كقوله تعالى:﴿ اشْتَرُوا الضلالةَ بالهدَى﴾.[3]

يقول الجرجاني:« ويُؤَدِّي ودائعَ الشَرفِ عنِ **الغائبِ** إلَى **الشاهدِ**، (...) وعقولَ **الأوّلينَ** مردودةً فِي **الآخرينَ**».[4] يجمع الجرجاني بين المتضادّين في قوله: (الغائب≠ الشاهد) (الأوّلين≠ الآخرين).

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص402.

[2] صابر الحباشة، التداولية مداخل ونصوص، ص51.

[3] عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1983، ص46.

[4] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص15.

وفي نص آخر يقول:« وجملةُ الأمرِ، أنَّكَ لنْ تعلَمَ فِي شيءٍ منَ الصِّناعاتِ علمًا **تُمِرُ** فيهِ و**تُحلِي**، حتَّى تكونَ ممَّنْ يعرفُ **الخطأَ** فيها منَ **الصوابِ**، ويَفْصلَ بينَ **الإحسانِ** و**الإساءةِ**».[1] فالمتضادّات في هذا الملفوظ: تمر≠ تحلي.

الخطأ≠ الصواب.

الإحسان≠ الإساءة.

وقوله أيضا:« إنَّكَ لاَ تستطيعُ أنْ تطلبَ منَ الشِّعر **مالاَ يكْرَه**، حتَّى تلتبسَ **بمَا يُكْرَه**».[2]

لا يكره ≠ يكره (طباق سلب).

ويقول:« والمقياسُ الّذِي لاَ يَعْرِفُ **صحيحٌ** منْ **سقيمٍ**، حتَّى يُرْجَعَ إليهِ».[3]

صحيح ≠ سقيم.

ويقول في نص آخر:« واْعلمْ أنَّكَ لا تشفِي العلَّةَ ولا تنتهِي إلَى ثلجِ اليقينِ، حتَّى تتجاوزَ حدَّ العلمِ بالشيءِ **مجملاً**، إلَى العلمِ بهِ **مفصَّلاً**».[4] مجملا≠ مفصلا.

جمع الجرجاني في خطابه بين المتضادّات، ليضفي على خطابه بعدا تداوليا وحجاجيا يتجلّى في إقناعه السامع/ المخاطب، فأهمّية الطباق تكمن في أنّها:« تخلق صورا ذهنيّة ونفسيّة متعاكسة، يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه، فيتبيّن ما هو حسن منها، ويفصله عن ضدّه(...) وهذا النّوع من الفن البديعي يستوي بحدّ ذاته معرضا للمعاني الذهنيّة والنفسيّة والعقليّة المتنافرة، فيترك في الشعور آثارا عميقة بأسلوبها الموازن المقارن».[5]

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص37.

[2] المصدر السابق، ص26.

[3] المصدر نفسه، ص28.

[4] نفسه، ص260.

[5] أحمد مطلوب، كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق، ص443.

2- المقابلة وبعدها الحجاجي:

تعدّ المقابلة بديعا معنويا[1]، وهي أن يأتي المتكلّم بلفظين متوافقين فأكثر بأضدادها أو غيرهما على الترتيب.[2] كما أنّ المقابلة هي علاقة تقابل عكس/ تبديل.[3] وقد عمد الجرجاني إلى ذكر الأضداد في خطابه مرتّبة في علاقة عكسيّة، خاضعة لمحور التّقابل والتّبديل في مثل قوله:« فإذَنْ ربَّ هَزْلٍ صارَ أداةٍ في جدٍّ، وكلامٌ جرَى فِي باطلٍ ثمَّ اُسْتُعِينَ بهِ علَى حَقٍّ، كمَا أنَّهُ ربَّ شيءٍ خسيسٍ، تُوُصِّل بهِ إلَى شريفٍ».[4]

ويقول أيضا:« وممَّا يَشْهَدُ لذلكَ أنَّكَ ترَى الكلمةَ تروقُكَ و تُؤْنِسُكَ في موضعٍ، ثمَّ تراهَا بعينِها تثْقِلُ عليكَ وتُوحشُكَ فِي موضعٍ آخرٍ».[5]

وفي نص آخر يقول:« ثمَّ ترَى هذَا قدْ فرعَ السماكَ، وترَى ذاكَ قدْ لَصِقَ بالحضيضِ».[6]

ويقول:« فلستَ بواجدٍ شيئًا يرجعُ صوابُه إنْ كانَ صوابًا، وخَطَؤُهُ إنْ كانَ خطأً إلَى النظمِ».[7]

ويقول أيضا:« وأعْلَمْ أنَّ ممَّا أغْمَضَ الطريقَ إلَى معرفَةِ مَا نحنُ بصددِهِ، أنَّ ههُنا فروقاً خفيَّةً تجهلُهَا العامَّةَ وكثيرٌ منَ الخاصّةِ، ليسَ لأنَّهمْ يجهلُونها فِي موضعٍ ويَعْرِفونَها في آخرٍ، بلْ لاَ يَدْرُونَ أنَّها هي، ولاَ يَعْلَمُونَهَا فِي جملةٍ ولاَ تفصيلٍ».[8]

تمكّن الجرجاني من توظيف الأقوال المتضادّة، لدعوة المخاطب إلى إعمال الفكر والعقل، فالتّقابل بين الملفوظات اللّغوية يجعل العلاقة العكسيّة قائمة في ذهن المتلقي، ممّا يؤكّد من حتميّة بلوغ الحجّة من طرف المحاجج، وتأثيره في المتلقي.

---

[1] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النصيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، د.ط، 1998، ص124.

[2] عبد القادر حسين، فن البديع، ص49.

[3] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النصيّة، ص152.

[4] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص14.

[5] المصدر السابق، ص46.

[6] المصدر نفسه، ص48.

[7] نفسه، ص82.

[8] نفسه، ص315.

3- الجناس وبعده الحجاجي:

يعرّف الجناس على أنّه:« اشتباه في اللّفظ، واختلاف في المعنى» .[1] يقول الجرجاني:« أم تُرى الجاحظَ حين قالَ في كتابِ النبوّةِ: ولوْ أنَّ رجلاً قرأَ علَى رجلٍ منْ خُطَبائِهم وبُلَغَائِهم سورةٌ واحدةٌ، لَتَبيَّنَ لهُ فِي نظامِهَا ومَخْرَجها، منْ لَفْظِهَا وطَابَعِهَا أنَّه عاجزٌ عنْ مثلِهَا، لوْ تُحُدِّى بهَا أبلغُ العربِ لأظهرَ عَجْزَه عنهَا، لغَا ولَغَطَ، فليسَ كلامُه هذَا ممَّا ذَهَبُوا إليهِ في شيءٍ».[2] ويتّضح استخدامه للجناس في قوله: "لغا" و" لغط" وهو جناس ناقص.

- لغا: يلغو أتى باللّغو في الكلام، وهو ما لايعتدُّ بهِ، ولا يحصل منه على فائدةٍ ولا نفعٍ.
- لَغَطَ يلغَطُ لَغَطًا: أتى بأصوات مبهمة، وألفاظ ذات جلبة لا يفهم لها معنى.[3]

جنّس الجرجاني في خطابه بهذين اللّفظين في معرض حديثه عن إعجاز القرآن، ورأى أن الجاحظ لغا ولغط فيما ذهب إليه في تفسيره للإعجاز، فاستعمل القول المجنّس لما له من دور في اجتلاب الأذهان، واجتداع الأفكار.

4- الموازنة بين الجمل.

تعدّ من بين الأساليب البلاغية الّتي اعتمدها الجرجاني،« وتنتهي إلى نوع من التجانس الصوتي، والّذي يسمّى التوقيع، وتأتي فيه الألفاظ معادلة لا تنتهي إلى السجع، ولكنّها تنتهي إلى التوازن الصوتي الدقيق».[4] ويتّضح ذلك في قوله:« ثمَّ إنَّكَ لاَ ترَى علمًا هوَ أرسخَ أصلاً، وأبسقَ فرعًا، وأحلَى جنًى، وأعذَبَ وِرْدًا، وأكرَمَ نِتَاجًا، وأَنْوَرَ سِراجًا، منْ علمِ البيانِ».[5] ويقول أيضا:« وابتَغَى الشَّرَفَ، وطلبَ محاسِنَ القولِ والفعلِ، منارًا مرفوعًا، وعَلَمًا منصوبًا، وهادِيًا مرشدًا، ومُعَلِّمًا مُسَدِّدًا، وتجدَ فيهِ للنَّائِي عنْ طَلَبِ المآثرِ، والزَاهِدِ فِي اِكتسابِ المحامدِ، داعيًا ومُحَرِّضًا، وبَاعثًا ومحضِّضًا، ومذكِّرًا ومعرِّفًا، وواعظًا

[1] أحمد مطلوب، كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق، ص449.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص389.

[3] المصدر السابق، ص389.

[4] فتيحة لعلاوي، الحجاج عند الجاحظ، ص104.

[5] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص5.

ومُثَقِّفًا».[1] ويقول أيضا:« (...) حتَّى يَعْرِفَ كلاًّ منهُ بشاهِدِه ودليلِهِ، ويَعْلَمَهُ بتفسيرِه وتأويلِهِ، ويَوْثُقَ بتَصويرِه وتمثيلِهِ».[2]

نلاحظ من خلال هذه النصوص، أنّ الجرجاني اعتمد على التجانس الصوتي، في معرض حديثه عن علم البيان، حيث استعمل أسلوب الموازنة بين الجمل، وذلك من أجل حمل المستمع على الإقناع ، فهذا النوع من الأساليب يترك أثرا لدى المتلقي، والّذي يتمثّل في استمالة المخاطَب.

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص16.

[2] المصدر السابق، ص40.

خاتمة

- **خاتمة:**

حاولنا من خلال هذه الدّراسة، استجلاء أهم الآليات الحجاجيّة الّتي وظّفها الجرجاني في خطابه دلائل الإعجاز، و بعد قراءتنا وتحليلنا للمدوّنة استخلصنا مجموعة من النتائج منها:

- شكّل الحجاج السوفسطائي في الفكر اليوناني فجوة عميقة في تاريخ الفلسفة، حيث تأسّس على أسس غير علميّة، وتميّزت ممارسة السوفسطائيون للحجاج بخداع المستمع بمقاييس تظليليّة، بالإضافة إلى مضايقة الخصم، إلاّ أنّ هناك من الباحثين من عدّ الحجاج السوفسطائي محفّزا لميلاد المنطق، وأنّه حمل بذورا لتفكير حجاجي.
- في حين هاجم أفلاطون أفكار السوفسطائيين المظلّلة والمموّهة، من خلال محاورتي جورجياس "Gorgias "وفيدر"Phèdre"، حيث خصّصت المحاورة الأولى لمناقشة موضوع الخطابة، فيما خصّصت المحاورة الثانية، لتحديد خصائص الحجاج البديل فكانت له أسباب ودوافع في مهاجمته للسوفسطائيين وهي: انكسار طموحه السياسي وفشله في بناء أكاديميته، لذا دعا إلى دمج الفلسفة في البلاغة.
- أمّا ما يتعلّق بنضج الفكر الحجاجي، فيتجلّى ذلك من خلال أعمال أرسطو المنطقيّة، حيث عالج في كتابه الطوبيقا "Les topiques "كل ما يخصّ الجدل وموضوعاته، وتطرّق في كتابه الخطابة"Rhétorique "، إلى علاقة الخطابة بالجدل، الّتي ترمي إلى الإقناع بتظافر الإيتوس والباتوس واللّغوس، محدّدا أنواع الخطب من مشوريّة وتثبيتيّة ومشاجريّة. لأنّ الخطابة الأرسطيّة توخّت البناء الإقناعي للخطاب، بالاعتماد على التصديقات الصناعيّة، والغير الصناعيّة، والّتي تهدف إلى إقناع الجمهور مع مراعاة أحوال السّامعين ومقاماتهم، ويتحقّق ذلك بعناصر حجاجيّة متنوّعة: كالمثل والاستقراء والاستدلال والقياس المضمر.

– وعن دور الحجاج في الفكر الإسلامي، فقد كان موضوعا هامّا تناولته العديد من المصنّفات، سواء ما تعلّق منها بعلوم القرآن أو علم التفسير أو علم أصول الفقه أو علم الكلام.

– أمّا الحجاج في البلاغة العربية، فكان له نصيب وافر، حيث اهتمّ الجاحظ في كتابه" البيان والتبيين" بالخطابة، لأنّها بواسطتها يتحقّق الإقناع الّذي يبنى على عمليتي الفهم والإفهام، واعتنى بالخطاب وشروط تحقّقه، لذا اكتسبت بلاغته بعدا تداوليا.

– في حين نحت بلاغة ابن وهب في برهانه طابعا حجاجيا، يستدعي إعمال العقل والفكر وقواعد الاستدلال والقياس. غير أنّ السكاكي دافع في مفتاحه عن بلاغة مقصديّة ومقامية تقوم على الاستدلال.

أمّا عن نتائج الفصل النظري:

– تجمع جلّ المعاجم اللّغوية أنّ مفهوم الحجاج يكون في معنى الخصومة ويفيد الجدال بين طرفين، ويتمّ ذلك بتقديم الحجج والبراهين. ونظرا لتنوّع ميادين الحجاج وتعالقه بمجالات معرفية مختلفة من فلسفة ومنطق وقضاء، فإنّه يصعب تحديد مفهوم شامل له، لذا تعدّدت مفاهيمه من حقل معرفي إلى آخر، غير أنّنا ما يمكن أن نستخلصه أنّ الحجاج يشتمل المنطوق والمكتوب، بالإضافة إلى الملصقات والصور واللّوحات الإشهارية والدواوين الشعرية، وغيرها من الخطابات الّتي تحمل في طيّاتها سمات حجاجيّة، كما يخضع الحجاج للأبعاد السياقيّة والمنطقيّة واللّغوية، لأنّ الخطاب الحجاجي بوصفه ممارسة، ناتج عن تفعيل الكفاءة الحجاجيّة في الإطار التواصلي العام، كما يختلف الحجاج عن البرهنة. فالحجاج يتجاوز البرهنة والاستدلال وتدخل فيه عمليّات أخرى كالسياق والفاعلين (أطراف الحجاج).

– فيما يخص مفهوم الإقناع، تتّفق جميع التعاريف على أنّه عمليّة تتمّ بين طرفين من أجل إيصال رسالة هادفة لتغيير موقف فكري أو نفسي، لأنّه بمثابة

نشاط عقلي يستهدف التأثير العقلي والوجداني، ويتمّ عن طريق تبني موقف ما إيجابا أو سلبا. كما أنّ الحجاج أعمّ من الإقناع، والعلاقة بينهما علاقة متداخلة ومتكاملة تحدّدها طبيعة النص ووظيفته.

– أمّا عن الفرق بين الحجّة والدليل، فيرى الشريف الجرجاني في كتابه" التعريفات" أنّ لا فرق بينهما. غير أنّ هناك من الباحثين من يفرّق بين الحجّة والدليل، منهم الباحث" حافظ إسماعيل علوي" الّذي يرى أنّ الدّليل أشمل من الحجّةّ، ويعدّ أغنى مضمونا من صور الاستدلال الأخرى، ويتميّز الدليل بصفة الحقيقة.

– وذهب الباحث" طه عبد الرحمان" إلى أنّ الدليل أعمّ من الحجّة لأنّه يتضمّن مقصدية العمل ونتيجته، ويكون في موضع خصومة وغيرها، وأنّ كل حجّة ينبغي أن تدعّم بإثبات أو دليل للبرهنة على مدى صحّتها أو بطلانها. ونستنتج من خلال هذا التفريق أنّ الحجّة توجّه لإثبات أطروحة معيّنة أو دحضها باستخدام الدليل الّذي يحدّد صدق الحجّة وكذبها.

– كما اقتصرت نظرية الحجاج عند بيرلمان على تأسيسه لبلاغة جديدة قائمة على أنقاض البلاغة القديمة، وذلك من خلال قراءته للنّصوص السياسيّة والفلسفيّة والخطابيّة، من أجل البحث عن تمظهر الحجاج في الخطاب. لأنّ الهدف من نظريّته دراسة التّقنيات الخطابيّة الّتي تسمح بتغيير الاعتقادات، وتجعلها تسلّم بالأطروحات المعروضة عليها، وهذه التّقنيات تتجلّى في طرائق الوصل والفصل الّتي حدّدها في: المثل والقياس والشاهد والتّعدية... ، وتقوم هذه النظريّة على منطلقات فكريّة منها: رفض العقلانيّة الديكارتيّة.

– وما يتعلّق بنظرية الحجاج في اللّغة، فإنّها تبحث في البنية اللّسانية للملفوظات الحجاجية؛ أي أنّها تقف عند حدود الخطاب ولا تتجاوزه إلى ما يتعلّق بالمتلفظين وأحوالهم النفسية والاجتماعية، وانبثقت هذه النظرية من نظريّة الأفعال اللّغوية.

– أمّا عن نظرية المساءلة فانبثقت من الفكر اليوناني، والّتي ترى أنّ السؤال هو

أساس المعرفة، لأنّ الحجاج عند ميشال مايير علاقة ثنائية بين المتكلّم والمتلقي قائمة على السؤال والجواب. كما أنّ آراءه حول الحجاج والبلاغة جاءت في إطار فلسفي إبستمولوجي.

– وتحدّدت آراء تولمن في رفضه كل ما يتعلّق بالمنطق في شكله الصوري، لذا دعا إلى حجاج يقوم على الاستخدام اليومي، واشتهر بنموذجه في تأسيس نظريّته.

– ومن خصائص الخطاب الفلسفي، أنّه يقوم على الحوار والمناظرة ويتميّز ببعده التداولي والاستدلالي، لأنّ الحجاج له خاصّية تأثيرية في مساندة أطروحات ودحض أخرى، ويتمّ ذلك عن طريق الاستدلال، كما أنّ إضفاء طابع التداولية على الحجاجيّة الفلسفيّة يجعلها تتجاوز المنطق الداخلي للخطاب إلى السّياقات الخارجيّة المختلفة.

– ويشتمل الخطاب الحجاجي البلاغي، على البعد الاستدلالي والبعد الأسلوبي، بالإضافة إلى الدّور الّذي تخلقه الصّور البلاغيّة في إحداث التّواصل والإقناع والتأثير في الغير.

– وتنحصر خصائص الخطاب الحجاجي التداولي، في قيامه على مبدأي التّفاعل والحواريّة، والّتي تتأسّس بدورها على المقام والتشخيص. كما يتميّز الخطاب الحجاجي بخصائص منها: خاصّية البناء والدينامية، وخاصّية التفاعل والالتباس والتأويل، والاعتقاد والانتهاض إلى العمل. فالخطاب الحجاجي خطابا موجّها غائيا مبنيا وهادفا.

– وبما أنّ عمليّة المحاججة تفترض مجموعة من الآليات الّتي لها دور في تحقيق عمليّة الإقناع، فإنّ هذه الآليات تختلف من لغويّة وبلاغيّة وآليات شبه منطقيّة. وتحتكم عمليّة التداول الحجاجي إلى مجموعة من الشروط والضوابط يلتزم بها المحاجج.

وعن نتائج الفصل التطبيقي:

– تبيّن لنا أنّ الخطاب الجرجاني خطاب سجالي، أراد من خلاله الدّفاع عن إعجاز النص القرآني الّذي ينحصر في النظم.

– كذلك ينتمي الخطاب الجرجاني إلى صنف الحجاج التقويمي، والّذي يشتمل على فعلي الإلقاء والتلقي.

– بالإضافة إلى مقدّمة خطاب" دلائل الإعجاز"، الّتي كانت منطلقا حجاجيا لما حوته من قرائن حجاجية، حيث وردت وفق نسق حجاجي من أجل استمالة الجمهور وإذعانه على الطاعة واستكشاف فحوى خطابه.

– كما وظّف في خطابه آليات استدلاليّة متنوّعة، انسجمت مع المقتضيات البيانيّة للخطاب الطبيعي، فمزج بين الصورة والمضمون من أجل تحصيل الإقناع، واستعان الجرجاني بالمقولات المنطقيّة وطوّعها حسب طبيعة خطابه، ومن بين الآليات الاستدلالية الّتي ميّزت الخطاب الجرجاني: علاقات الشرط والسببيّة والقياس، والاستقراء والاستنباط، كما وظّف الآليات الاستدلاليّة الاعتراضيّة، فكان مناظرا في نقل المضامين إلى جمهور المتلقين، واعتمد على مجموعة من الحجج القائمة على علاقة وظيفيّة، كالحجّة السببيّة والنفعيّة وحجّة الاتّجاه، بالإضافة إلى حجّة الشاهد: كالاستدلال بالنّص القرآني، والحديث النبوي الشريف، والشعر وأقوال اللّغويين، والاستشهاد عن طريق النقل(الرواية)، والاستشهاد بالدّليل اللّغوي والمصادر اللّغوية. فكان الاستدلال الطبيعي أغنى مضمونا في الكشف عن مضمرات الخطاب.

– أمّا بالنسبة إلى الآليات اللّغوية، كان لها حضورا مكثّفا كأدوات الرّبط الحجاجية، والعوامل الحجاجية وألفاظ التعليل، والتعليل باستخدام لفظ السبب، وحروف العطف والصفات(اسم الفاعل، وصيغ المبالغة، وأسماء التفضيل) بالإضافة إلى الموجّهات اليقينية والتشكيكية(أفعال القلوب)، والّتي وجّهت الخطاب الحجاجي لما لها من طاقة تأثيريّة على جمهور المتلقين.

– وأفرز السلّم الحجاجي تدرّجا للحجج، ومدى ضعف الحجج وقوّتها. أمّا البنية الحجاجية، فكان لها دورا هاما في بيان ترتيب الحجج وانتظامها، وعلاقة الحجج فيما بينها عن طريق أدوات الربط الحجاجية .

– وأدّت الأفعال الكلاميّة في الخطاب الجرجاني دورا كبيرا في صنع الأحداث، ونقل المعاني من مستوى التلقي إلى مستوى الفعل والتجسيد: كالادّعاء والتدليل والمنع. والّتي تشكّل أفعال تكلّم من الصنف التّصويري.

– استعان كذلك، بأفعال قوليّة من أجل تحقيق أغراض إنجازيّة، تتجسّد في أساليب الإنشاء والخبر.

– ورد التركيب الاستفهامي في الخطاب الجرجاني مشحونا بطاقة حجاجيّة، لأنّه يلزم المخاطب/ المتلقي بالمشاركة في الحوار، ممّا يجعل الخطاب ذو بعد تفاعلي يهدف إلى تحقيق النجاعة المرجوّة، بالإضافة إلى فعل الأمر.

– كان هناك حضورا للبنية القائمة على السؤال والجواب، والّتي تشكّل أحد الأنساق المعرفيّة والنظم الفكريّة، من أجل حمل المستمع على الإقرار، فضلا عن مدى استعداده وقابليّته لفك شيء من الترابط بين عناصر الكلام.

– ومن الآليات البلاغية الّتي وردت في الخطاب الجرجاني لتقوية جانبه الإقناعي، وتدعيمه بالحجّة، اعتماده على مجموعة من الوسائط البلاغيّة: كالاستعارة والكناية في توطيد خطابه.

– استعان كذلك بالمجاز الاستعاري، وخاصّة عند حديثه عن النظم. واتّضح أنّ الخطاب الجرجاني يحمل طاقة استعاريّة وظّفت كآليّة حجاجية، لكي يمكّن بها خطابه ويركّزه في أذهان المتلقين.

– كما اعتمد على الكناية في خطابه لتقوية جانبه الإقناعي، لأنّ الصورة الكنائية تؤكّد من نجاعة الخطاب لما تحمله من مضمرات تجعل الذهن يؤوّل ويذعن بصحّة الحجج المبثوثة في الخطاب. فالمعنى المضمر يعدّ شكلا من أشكال

الخطاب اللّغوي الطبيعي التواصلي، تمارس فيه حيويّة العناصر التداوليّة واستراتيجيّاتها الخطابيّة.

– واستدلّ بالتمثيل في خطابه، ما جعله ممارسة استدلاليّة خالصة.

– ومن بين الآليات البلاغيّة الّتي اعتمدها الجرجاني، آلية التفريع، واستثماره للمحسّنات البديعيّة في خطابه لما لها من دور في عمليّة الإقناع، كالطّباق الّذي يضفي على الخطاب بعدا تداوليا وحجاجيا، ويتمثّل دوره في خلق صور ذهنيّة ونفسيّة متعاكسة، وكذا المقابلة، لأنّ الأقوال المتضادّة تدعو المخاطب إلى إعمال الفكر والعقل، وأنّ التقابل بين الملفوظات اللّغوية يجعل العلاقة العكسيّة قائمة في ذهن المتلقي، ممّا يؤكّد من حتمية بلوغ الحجّة من طرف المحاجج، وتأثيره في المتلقي، بالإضافة إلى الجناس وأسلوب الموازنة بين الجمل.

غير أنّ هذه الدراسة تحتاج إلى تعميق أكثر، خاصة وأنّ خطاب دلائل الإعجاز مؤسّس على خطاب سابق، وتتجلى فيه كل مظاهر النزعة العقدية، فالخلفية الدينية للجرجاني والتي تحيلنا إلى كيفية حدوث الكلام النفسي، ترجعنا إلى مسألة اللفظ والمعنى الذي شكل جدلا كبيرا بين مختلف المذاهب والنحل. ومن هذا المنطلق يمكن التعامل مع كتاب دلائل الإعجاز كخطاب ديني، على اعتبار أنّ تحليلنا للمدوّنة كان من جانبها الشكلي من أجل استكشاف أبرز الآليات الحجاجية الموظّفة في أسلوب الجرجاني.

- مصطلحات علمية ولغوية:

L’argumentation	الحجاج
Persuasion	الإقناع
Argument	الحجة
Syllogisme	القياس
L’enthymème	القياس المضمر
Démonstrations	البراهين
Déduction	الاستنباط
Induction	الاستقراء
Répertoiredes ideés admises	ثبت المشهورات
Topöi	المواضع
Le problème dialectique	المطلوب الجدلي
Définition	الحد
Accident	العرض
Genre	الجنس
Properté	الخاصة
Discoures	الخطاب
Ethose	الإيتوس
Pathos	الباتوس
Logos	اللّغوس
Discours délibératif	الخطبة المشورية
Discours Epidictique	الخطبة التثبيتية

Discours judiciaire	الخطبة المشاجرية
Raisonnement analytique	الاستدلال التحليلي
Raisonnement dialectique	الاستدلال الديالكتيكي
Raisonnement par induction	الاستدلال الاستقرائي
Points de déparde de l’argumentation	نقاط الانطلاق للحجاج
Acte d’argumenter	فعل المحاجة
Les faits	الوقائع
Réalité	الحقائق
Presomptions	الافتراضات
Valeurs	القيم
Actes locutoires	الأفعال القولية
Actes illocutoires	الأفعال الإنجازية
Enoncé	الملفوظ
Intentionnalité	القصدية
Personnification	التشخيص
Dialogisme	الحوارية
L’interaction	التّفاعل
Controverse	المناظرة
Le questionnement	المساءلة
Les données	المعطيات
La garantie	الضامن
Support	السند
Conclusion	الدعوى/ النتيجة

Syllogisme catégorique	القياس الحملي
Les arguments fondés sur une relation quasi-logique	الحجج القائمة على علاقة شبه منطقية.
Contradiction	التناقض
Identité totale-partielle	التماثل التام أو الجزئي.
La comparaison	المقارنة
Les arguments fondés sur des relation de L'assimilation	الحجج القائمة على علاقة التماثل والتشابه
L'illustration	التبيين
Le modèle	النموذج
L'assimilation	المماثلة
La métonymie	الكناية
Les argument fondés sur une relation fonctionnelle	الحجج القائمة على علاقة وظيفية
Argument Pragmatique	الحجّة النفعية
Argument' Autorité	حجّة السلطة
L'argument de causalité	الحجّة السببية
L'argument de direction	حجّة الاتّجاه
Les argument par dissociation des notions	الحجج القائمة على مبدأ الفصل المفهومي
Les liaisons de succession	روابط التتابع
Les liaisons de coexistence	روابط التعالق
Les connecteurs Argumentatifes	أدوات الربط الحجاجية

Les opérateurs Argumentatifes	العوامل الحجاجية
L’échelle argumentative	السلم الحجاجي
Syllogisme exceptife	القياس الشرطي
Proposition conjonctive	القضية الشرطية المتصلة
Proposition disjunctive	القضية الشرطية المنفصلة
Proposition modale	القضية الموجهة
Restriction	الاستثناء
Croyance	الاعتقاد
Confusion	الالتباس
L’interprétation	التأويل

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

- **المصادر:**

[1] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز. تح: محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط3، 1992.

[2] أسرار البلاغة. قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، دار المدني، جدّة، ط1، 1991.

- **المراجع:**

[3] ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، ج1.

[4] أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1992.

[5] استستيه، سمير شريف، اللّسانيات(المجال والوظيفة والمنهج)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2008.

[6] أدواري، العياشي، الاستلزام الحواري والتداول اللّساني، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011.

[7] بن عاشور، محمّد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج1، ج5، ج12، د.ط، 1984.

[8] ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. قدّمه وعلّق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ج2، ط2، د.ت.

[9] الباجي، أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج. تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1987.

[10] البوشيخي، الشاهد، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1995.

[11] البعزاتي، بناصر، الاستدلال والبناء(بحث في الخصائص العقلية والعلمية)، المركز الثقافي العربي، دار الأمان، الرباط، ط1، 1999.

[12] الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيين. تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط7، 1998.

[13] الجرجاني، الشريف، التعريفات. تح: إبراهيم الأنباري، دار اللّسان العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1992.

[14] حمداوي، جميل، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2014.

[15] حسين، عبد القادر، فن البديع، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1983.

[16] الحميري، عبد الواسع، شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

[17] ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، د.ت.

[18] الحباشة، صابر، التداولية والحجاج(مداخل ونصوص)، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2008.

[19] الحمد، علي توفيق، الزعبي، يوسف جميل، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، إربد، الأردن، ط2، 1993.

[20] الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

[21] الخالفي، حسين، البلاغة وتحليل الخطاب، دارالفارابي، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.

[22] الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي(من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنياته وأساليبه)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008.

[23] الرمّاني، علي عيسى، معاني الحروف. تح: عرفان حسونة، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005.

[24] الراضي، رشيد، الحجاجيات اللّسانية والمنهجية البنوية، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته(دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة). إعداد

وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج2: مدارس وأعلام، ط1، 2010.

[25] الريفي، هشام، الحجاج عند أرسطو، مقال ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف: حمّادي صمّود، كلية الآداب، منوبة، تونس، مجلّدxxxix، 1998.

[26] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج1، ج2، 1972.

[27] السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

[28] بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة. تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البوني الحلبي وشركاه، ج2، ط1، 1965.

[29] السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم. ظبطه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

[30] السيّد، شفيع، فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 2002.

[31] الشاطبي، أبي إسحاق، الموافقات. تقديم وتعليق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار عثمان بن عفان للنشر، المملكة العربية السعودية، مجلد2، ط1، 1997.

[32] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

[33] آليات الحجاج وأدواته، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته(دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة). إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج1، حدود وتعريفات، ط1، 2010.

[34] الشعبان، علي، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيات). تقديم: حمّادي صمّود، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

[35]- صولة، عبد اللّه، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته(دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة). إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث،إربد، الأردن، ج1: حدود وتعريفات، ط1، 2010.

[36]- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج" الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه"، مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف: حمّادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، مجلّدxxxix، 1998.

[37]- صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)، منشورات كلية الآداب واللّغات، منوبة، تونس، ط2، 1994.

[38]- من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1999.

[39]- صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب(دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

[40]- ضيف، شوقي، البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، الإسكندرية، ط9، د.ت.

[41]- الطلبة، محمّد سالم محمّد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة(بحث في بلاغة النقد المعاصر)، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

[42]- مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته(دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة). إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج2: مدارس وأعلام، ط1، 2010.

[43]- طه، عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط2، 2000.

[44] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000.

[45] التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د.ط، د.ت.

[46] تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، د.ت.

[47] علوي، حافظ إسماعيل، الحجاج مفهومه ومجالاته(دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة). التقديم، ج1: حدود وتعريفات.

[48] عيد، محمّد عبد الباسط، في حجاج النص الشعري، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013.

[49] عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغيّر(مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج)، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2006.

[50] عشيراني، سليمان، الخطاب القرآني(مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1998.

[51] عبد المجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النصية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، د.ط، 1998.

[52] عادل، عبد اللّطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013.

[53] العمري، محمّد، في بلاغة الخطاب الإقناعي(مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأوّل نموذجا)، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002.

[54] البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1999.

[55] البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012.

[56] العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

[57] اللّغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006.
[58] الحجاج في اللّغة، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته(دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة). إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج1: حدود وتعريفات، ط1، 2010.
[59] العبد، محمّد، النص والخطاب والاتّصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005.
[60] العاكوب، علي عيسى، الشتيوي، علي سعد، الكافي في علوم البلاغة العربية(المعاني، البيان، البديع)، منشورات الجامعة المفتوحة، د.ط، 1993.
[61] غبار، مليكة، وآخرون، الحجاج في درس الفلسفة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
[62] غريب ملام، عبد العاطي، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
[63] الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية. مراجعة: عبد المنعم خفاجي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1، ط28، د.ت.
[64] فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992.
[65] قدامة، بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1980.
[66] قوقام، رشيد، أسس المنطق الصوري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
[67] القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب خوجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3، 1986.
[68] القارصي، محمّد علي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماييز، مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف: حمّادي صمّود، كلية الآداب، منوبة، تونس، مجلّدxxxix، 1998.

[69] كوّاز، محمّد كريم، البلاغة والنقد(المصطلح والنشأة والتجديد)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

[70] الكاتب، ابن وهب، البرهان في وجوه البيان. تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ط، 1969.

[71] مطلوب، أحمد، حسن كامل البصير، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1999.

[72] مقبول، إدريس، الأفق التداولي(نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.

[73] مدقن، هاجر، الخطاب الحجاجي(أنواعه وخصائصه)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

[74] مراد، وليد محمد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللّغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983.

[75] محمود، إبراهيم، قراءة معاصرة في إعجاز القرآن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2002.

[76] المبخوت، شكري، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010.

[77] دائرة الأعمال اللّغوية(مراجعات ومقترحات)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

[78] الحجاج في اللّغة، مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف: حمّادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، مجلّدxxxix، 1998.

[79] المتوكّل، أحمد، قضايا اللّغة العربية في اللّسانيات الوظيفية(بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، د.ط، 2001.

[80] المسدّي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، د.ت.

[81] المرادي، أبو محمد بدر حسن، الجنى الداني في حروف المعاني. تح: فخر الدين قباوة، محمد نعيم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992.
[82] ناصر، عمارة، الفلسفة والبلاغة(مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي)، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
[83] النّويري، محمّد، علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب، دار محمّد علي حامي للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2001.
[84] هويدي، يحي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، د.ت.
[85] الولي، محمّد، تأمّلات في محاورتي أفلاطون(جورجياس وفيدر)، مقال ضمن كتاب البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمّد مشبال، دار الأمان، الرباط، ط1، 2014.
[86] يوسف، أحمد، البلاغة السوفسطائية وفاتحة الحجاج(تهافت المعنى وهباء الحقيقة)، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته(دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة). إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج2، مدارس وأعلام، ط1، 2010.
[87] يعقوبي، محمّد، أصول الخطاب الفلسفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009.

- **المراجع المترجمة للّغة العربية:**

[88] أوستين، جون، نظرية الأفعال الكلامية(كيف ننجز الأشياء بالكلام). تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 1991.
[89] أرمينغو، فرانسواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د.ط، 1986.
[90] بروتون، فيليب، جوتيه، جيل، تاريخ نظريات الحجاج. تر: محمّد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جدّة، ط1، 2011.
[91] بلانشي، روبير، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل. تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنشر والتوزيع، لبنان، د.ط، د.ت.

[92] بارت، رولان، قراءة جديدة في البلاغة القديمة. تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، 1994.

[93] بليث، هنريش، البلاغة والأسلوبية(نحو نموذج سيميائي لتحليل النص). تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

[94] بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان. تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007.

[95] دايك، فان، النص والسياق(استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي). تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000.

[96] دلاش، الجيلالي، مدخل إلى اللّسانيات التداولية. تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992.

[97] سيرفوني، جان، الملفوظية. تر: قاسم مقداد، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، د.ط، 1998.

[98] شارودو، باتريك، الحجاج بين النظرية والأسلوب(عن كتاب نحو المعنى والمبنى). تر: أحمد الوردني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

[99] شارودو، باتريك، مانغونو، دومينيك، معجم تحليل الخطاب. تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمّود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.

[100] لايكوف، جورج، جونسن، مارك، الاستعارات الّتي نحيا بها. تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2، 2010.

[101] موشلر، جاك، ريبول، آن، القاموس الموسوعي للتداولية. تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين مجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010.

- **المعاجم اللّغوية:**

[102] ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلّد4، مجلّد13، مجلّد 7، ط1، د.ت.

[103] إبراهيم، مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدّعوة، ج1،ج2، ط2، 1972.

[104] الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة. تح: محمّد باسل عيون السود، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998.

[105] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس. تح: نوّاف جراح، دار الأبحاث، الجزائر، ج4،ج7، ج5، ط1،2011.

[106] الفيروز أبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، نسخة مصوّرة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية، ج1، 1980.

[107] مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج3، د.ط، 1987.

[108] وهبة، مجدي، المهندس، كامل، معجم المصطلحات البلاغية والعربية في اللّغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1994.

- **الدوريات والندوات:**

[109] أزابيط، عيسى، من تداوليات المعنى المضمر، مقال ضمن كتاب اللّسانيات واللّغة العربية بين النظرية والتطبيق، سلسلة ندوات، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1992.

[110] أعراب، حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي(عناصر استقصاء نظري)، عالم الفكر، الكويت، ع1، سبتمبر، 2001.

[111] بن عيسى، عبد الحليم، المرجعية اللّغوية في النظرية التداولية، دورية بحثية متخصّصة في الدراسات الأدبية، الجزائر، ع1، ماي، 2008.

[112] الراضي، رشيد، السفسطات في المنطقيات المعاصرة(التوجّه التداولي الجدلي نموذجا)، عالم الفكر، ع4، مجلّد36، أفريل، 2008.

[113] العمري، محمّد، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، مجلّة دراسات سيميائية أدبية ولسانية، ع5، 1991.

[114]- قويعة، حافظ، سياق الحجاج في دلائل الإعجاز، مقال ضمن كتاب عبد القاهر الجرجاني(أعمال ندوة)، منشورات كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس.

[115]- الولي، محمد، مدخل إلى الحجاج(أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان)، عالم الفكر، الكويت، ع2، مجلّد40، أكتوبر، ديسمبر، 2001.

- **الرسائل الجامعية:**

[116]- فتيحة، لعلاوي، الحجاج عند الجاحظ، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، الجزائر، 2012.

- **المراجع الأجنبية:**

117- Amossy, Ruth, L'argumentation dans le discours, Armand colin, paris, 2012.

118- Armengaud , Françoise, La pragmatique, Que sais-je ?, Université de Remes.

119- Oléron, pierre, L'argumentation, Que sais-je ?, presses universitaires de Françe, 5édition, paris, 2001.

120- Plantin ,Christain, L'argumentation (Histoire, Théories et Perspectives), Que sais-je ?, puf, Paris, 2005.

121- Perelman , Chaïm, et Olbrechts, Lucie Tyteca, Traité de L'argumentation (La novelle Rhétorique), éditions de L'université de Bruxelles, 5éme éd, 1988.

- فهرس المحتويات:

- المقدّمة:.....1
- المدخل: الحجاج من المنظور اليوناني والعربي القديم:.....5
1- الحجاج في التراث اليوناني:.....5
1-1 الحجاج السوفسطائي:.....5
1-2 الحجاج عند أفلاطون.....7
1-3 الحجاج عند أرسطو:.....10
2- الحجاج في الفكر الإسلامي:..... 15
2-1 في علوم القرآن.....15
2-2 علم التفسير..... 16
2-3 علم أصول الفقه..... 17
2-4 علم الكلام.....18
3- الحجاج في البلاغة العربية:.....19
3-1 الحجاج عند الجاحظ.....19
3-2 الحجاج عند ابن وهب.....23
3-3 الحجاج عند السكاكي.....27
- الفصل النظري: الحجاج: مفهومه وأنواعه ونظرياته وآلياته.....
- تمهيد..... 31
- أولا: مفهوم الحجاج:..... 32
1-المعنى اللغوي:..... 32
2-المعنى الاصطلاحي:.....32

- ثانيا:الإقناع..... 35
- ثالثا:الحجة والدليل..... 38
- رابعا: نظريات الحجاج الحديثة:..... 39
4-1 البلاغة الجديدة: بيرلمان وتيتيكاه..... 39
4-2 نظرية الحجاج عند بيرلمان..... 41
4-3 ملامح الحجاج وخصائصه عند بيرلمان..... 42
4-4 الحجاج: البناء والمكوّنات..... 42
4-5 دور المقام في توظيف عناصر الحجاج..... 43
4-6 أساسيّات البلاغة الجديدة..... 44
4-7 تقنيات الحجاج عند بيرلمان.....45
- أولا: طرائق الوصل..... 45
1- الحجج شبه المنطقية:..... 45
2- الحجج المؤسسة لبنية الواقع 47
- ثانيا: طرائق الفصل في الحجاج (الفصل بين المفاهيم)..... 50
4-2 الحجاج في اللغة..... 50
1- السلالم الحجاجيّة..... 54
2- الروابط والعوامل الحجاجية..... 56
4-3 نظرية المساءلة.....56
1- مفهوم الحجاج في نظرية المساءلة..... 57
2- أبعاد نظرية المساءلة.....57
3- مبادؤها.....58
4- البلاغة والحجاج في نظرية المساءلة.....58
5- الحجاج والمفاوضة حول المسافة..... 59

6- المسافة الحجاجية.....59
4-4 نظرية الحجاج عند تولمن..... 60
1- الفرضيات الرئيسية التي تأسست عليها النظرية.....60
2- الحجة: التبرير في السياق..... 61
- خامسا: أنواع الخطاب الحجاجي وخصائصه..... 64
5-1 الخطاب الحجاجي الفلسفي..... 65
5-1-1 خصائص الخطاب الحجاجي الفلسفي..... 65
1- المناظرة..... 65
2- الحوار..... 65
5-2 الخطاب الحجاجي البلاغي..... 66
5-2-1- الخصائص الأسلوبية للخطاب الحجاجي البلاغي.....67
5-3 الخطاب الحجاجي التداولي..... 68
5-3-1 خصائص الخطاب الحجاجي التداولي..... 71
1- المقام..... 71
2- التشخيص..... 72
5-4 الخصائص العامّة للخطاب الحجاجي..... 73
- سادسا:آليات الإقناع:..... 75
- الفصل التطبيقي: الآليات الحجاجية في أسلوب عبد القاهر الجرجاني من خلال كتاب "دلائل الإعجاز" .....
- تمهيد..... 78
- أولا : التعريف بصاحب دلائل الإعجاز..... 79
- ثانيا: التعريف بمدوّنة البحث" كتاب دلائل الإعجاز".....80

- ثالثا: سياق الخطاب.....81
- رابعا: نوع الخطاب.....83
- خامسا:الآليات الحجاجية في كتاب دلائل الإعجاز.....84
1- الإطار الحجاجي.....84
2- المنطلق الحجاجي.....87
3- الآليات الحجاجية.....91
3-1 الحجج القائمة على علاقة شبه منطقية.....91
1- القياس الشرطي.....91
2-القياس الحملي.....96
3-الآليات الاستدلالية الاعتراضية.....100
4- الحجاج بالاستقراء.....104
5- الحجاج بالاستنباط.....106
3-2 الحجج القائمة على علاقة وظيفية.....108
1- الحجج التتابعية.....108
2- الحجج المتعالقة.....111
3-3 الحجج القائمة على علاقة التماثل والتشابه.....113
1- حجة الشاهد.....113
2- حجة المثال.....115
3- الأنموذج.....116
3-4 الحجج القائمة على مبدأ الفصل المفهومي.....117

4- الآليات اللغوية.....119
4-1 أدوات الربط الحجاجية.....119
4-2 العوامل الحجاجية.....129
4-3 الصفات.....131
4-4 التكرار.....132
4-5 اسم الفاعل.....133
4-6 صيغ المبالغة.....134
4-7 أسماء التفضيل.....135
4-8 أفعال القلوب..... 138
4-9 الأفعال الكلامية.....143
1-الادعاء.....143
2- المنع.....144
3- التدليل..... 144
4-9-1 البعد الحجاجي للاستفهام.....148
4-9-2 البعد الحجاجي لفعل الأمر..... 149
4-9-3 الزوج سؤال/ جواب.....153
5- الآليات البلاغية.....155
5-1 حجاجية الاستعارة.....155
5-2 حجاجية الكناية.....159
5-3 حجاجية الاستدلال التمثيلي.....162
5-4 التفريع أو تقسيم الكل إلى أجزائه.....166
5-5 حجاجية المحسنات البديعية.....167

1- الطباق وبعده الحجاجي..... 167
2- المقابلة وبعدها الحجاجي.....169
3-الجناس وبعده الحجاجي.....170
4- الموازنة بين الجمل.....170
- خاتمة 172
- مصطلحات علمية ولغوية.....180
- قائمة المصادر و المراجع.....184
- فهرس المحتويات..... 195
- الملخص باللغة الأجنبية.....201

- **ملخص باللّغة الأجنبية:**

La présente étude porte sur une approche pragmatique du discours chez Al-jurjani, à travers l'élucidation des mécanismes argumentatifs les plus importants que ce dernier avait employé dans son discours, si l'argumentation est consédiré comme un thème important et un domaine riche pour diverses études, vu sa relation avec différents domaines de connaissances, comme la philosophie, la logique, la rhétorique et l'éloquence...le discours argumentatif lui, en tant que pratique, est le résultat de l'activation de la compétence argumentative dans le cadre communicatif général. Il est aussi considéré comme une conception de la lecture de la réalité, et cela en se basant sur certaines données spécifiques à chacun des arguments et du contexte duquel résulte le discours.

C'est la raison pour laquelle j'ai utilisé la théorie de l'argumentation afin de l'appliquer sur le liver « Dala'il al-i'jaz » (les signes des miracles) de son auteur abd el-kahar Al-jurjani, dans le but d'illustrer les manifestations de l'argumentation et ses mécanismes dans la pensée Al-jurjani à travers sa défense du texte coranique et son éloquence.

La recherche menée nous a conduit à adopter la méthode descriptive analytique dans la présentation des idées et dans la lecture et l'analyse du livre, en partant d'un groupe de problématiques imposés par la nature de la recherche.

En analysant le livre dans le but d'extraire les mécanismes argumentatifs qu'implique le discours, il s'est avéré que le discours Al-jurjani est un discours polémique, à travers lequel son auteur a voulu défendre le miracle du coran qui se limite à la composition de celui-ci l'introduction de son discours a été un point de départ argumentatif, rédigée selon un système argumentatif intégral pour endoctriner le public, le mener à obéir et découvrir le contenu du discours.

Aussi, Al-jurjani a employé dans son discours, divers mécanismes d'inférence qui se sont harmonisés avec les exigences rhétoriques du discours naturel, dans son discours Al-jurjani a combiné l'image avec le contenu afin de convaincre. Aussi, il a fait appel aux catégories logiques et les a soumis à la nature de son discours. Alors, l'inférence naturelle avait un contenu plus riche en matière de découverte des implicites du discours.

Aussi, il a eu recours aux exemples qui ont rendu son discours une pure pratique inférentielle, en plus de son utilisation d'un groupe de mécanismes linguistiques et rhétoriques, qui visent à renforcer la conviction et à donner des arguments, comme la métaphore, la métonymie, les figures de style, pour leur rôle dans la conviction.

Aussi, les relations inverses confirment l'indispensabilité d'atteindre l'argument par l'argumentateur et son influence sur le récepteur.